عدد ممتاز
بمناسبة العام الهجري الجديد

العـــدد ١ - الســنة ٤٢
المحرم ١٤٠٤هـ - أكتوبر ١٩٨٣م
مع العدد هدية
• الفردوس «مجلة الطفل المسلم»
الثمن ٢٥ قرشا

منبر الإسلام

باللغات الست
العربية - الانجليزية - الفرنسية - الألمانية - الإسبانية - البرتغالية

"إلا تنصروه فقد نصره الله"

بسم الله الرحمن الرحيم

بنك مصر

للمعاملات الإسلامية

- فرع الحسين
- فرع الزقازيق
- فرع دمنهور
- فرع المنيا
- فرع أبو العباس "الإسكندرية"
- فرع طلعت حرب "المحلة الكبرى"
- فرع مكة المكرمة "بورسعيد"

وحدات تزاول نشاطها وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية

تقدم الخدمات المصرفية فى مجالات الاستثمار والعمليات التجارية وفقاً للأسس المقررة شرعاً

تقبل جميع أنواع الودائع بالعملة المحلية والعملات الأجنبية

يمكنك التعامل مع هذه الوحدات من خلال

حساب الاستثمار الإسلامى

- الحد الأدنى لفتح الحساب ٥٠٠ جنيه مصرى أو ٥٠٠ دولار أو ٥٠٠ جنيه استرلينى أو ٢٠٠٠ مارك ألمانى أو ٥٠٠٠ فرنك فرنسى
- يتم الإيداع بالحساب بأية مبالغ وفى أى وقت ويستحق العائد باستكمال الودائع لكل ٢٥٠ جنيه مصرى أو ٢٥٠ دولار أو ٢٥٠ جنيه استرلينى أو ١٠٠٠ مارك ألمانى أو ٢٥٠٠ فرنك فرنسى أو مضاعفاتها
- مدة المشاركة ٦ أشهر تتجدد تلقائياً
- يتم احتساب العائد فى نهاية السنة المالية فى ٦/٣٠ من كل عام بذات عملة المشاركة
- يتم إضافة العائد عن كافة المبالغ المشارك بها والمستحق له حتى ٦/٣٠ وذلك عن فترة الإيداع لكل منها

تخصم قيمة الودائع من وعاء الضريبة العامة على الإيراد فى حدود ٣٠٪ من صافى الدخل بحد أقصى ٣٠٠٠ جنيه أو ما يعادلها من العملات الأجنبية وذلك طبقاً للقانون

الإيداعات تخصم من ضريبة الإيراد العام طبقاً للقانون

بنك مصر للمعاملات الإسلامية فى خدمة الاقتصاد الإسلامى

منبر الإسلام

يصدرها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية وزارة الأوقاف

رئيس مجلس التحرير
الشيخ ابراهيم الدسوقى
وزير الدولة للأوقاف
ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس التحرير
الدكتور جمال الدين محمد محمود
أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مجلس التحرير
المستشار عبد الحليم الجندى
الدكتور أبو الوفا التفتازانى
الدكتور عبد الله عبد الشكور كامل

مدير التحرير
فؤاد هيبه

تصدر فى غرة كل شهر عربى
العدد ١ السنة ٤٢ المحرم ١٤٠٤ هـ
اكتوبر ١٩٨٣م الثمن ٢٥ قرشا

الاشتركات فى جمهورية مصر العربية :
٢٤٠٠ مليم والهيئات والمؤسسات والطلبه والعمال
١٨٠٠ مليم الدول العربية ٤٨٠٠ مليم الدول الأخرى
١٨٠٠٠ مليم .

العنوان : ٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى القاهرة تليفون : ٢٨١٥٦
تلغرافيا : منبر الاسلام .. القاهرة

منبر الاسلام تصدر باللغات الست :
العربية — الانجليزية — الفرنسية — الالمانية — الاسبانية — البرتغالية .

غلاف الشهر

بسم الله الرحمن الرحيم

« الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

صدق الله العظيم

في هذا العدد

منبر الإسلام

تصدر في غرة كل شهر عربي

● أفتتاحية العدد
الذكرى العطرة وآمال الغد . . . . . بقلم فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى . . . ٣
● من الهجرة حسن السلوك . . . . . فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق . . . ٥
● الهجرة وبداية امة . . . . . الدكتور جمال الدين محمود ٨
● عيد الهجرة . . . . . الشيخ عبد اللطيف حمزة ١٠
● أسباب الهجرة . . . . . الشيخ عبد الله المشد ١٣
● الهجرة لون ايجابى من مناهج الدعاة . . الشيخ محمد عبد الواحد أحمد ٢٠
● فى رحاب الهجرة . . . . . الأستاذ أحمد حلمى عبد الرحمن ٢٣
● فلسفة الهجرة . . . . . الأستاذ عبد الغفار الدلاش ٣١
● رعاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فى الهجرة الدكتور سمير عبد العزيز ٣٥
● الا تنصروه فقد نصره الله . . . . . الأستاذ صلاح أحمد الطنوبى ٣٩
● الهجرة سنة الأنبياء والمرسلين . . . . الأستاذ محمود مصطفى الأعصر ٤٢
● من وحى الهجرة . . . . . الأستاذ أحمد عبد الرحيم السايح ٤٦
● قبس من الهجرة . . . . . الشيخ فكرى حسن اسماعيل ٥٠
● سراقة بن مالك . . . . . الشيخ محمد على الطعمى ٥٢
● مفهوم الهجرة . . . . . الشيخ عبد الوهاب الساكت ٥٥
● الهجرة الى المدينة . . . . . الدكتور الحسينى هاشم ٥٩
● مكانة الهجرة الى المدينة . . . . . الشيخ مصطفى عبد الحليم الجندى ٦٣
● المدينة المنورة وآثارها الطيبة . . . . الشيخ منصور الرفاعى عبيد ٦٧
● هلال المحرم . . . . . الأستاذ محمد حليم غالى ٧١
● فى رحاب القرآن والسنة . . . . . .
— المنهج الأمثل فى تفسير القرآن الكريم . . الدكتور محمد أبو النور الحريرى ٧٢
— تفسير سورة المائدة . . . . . الدكتور عبد الغنى الراجحى ٧٦
— وفى أنفسكم أفلا تبصرون . . . . . الدكتور محمد السعدى فرهود ٨٠
— شيوع التدوين بعد الامام الزهرى . . . الدكتور محمد الطيب النجار ٨١
— وأنذر عشيرتك الأقربين . . . . . الدكتور موسى شاهين لاشين ٨٤
— فلسفة مصدرها الاسلام . . . . . الدكتور محمد عبد المنعم القيعى ٨٧
— الكناية والتصريح فى اللغة القرآنية . . . الدكتور رمضان عبد التواب ٩٠
اهلا بالعام الهجرى الجديد . . . . . الأستاذ أحمد عثمان المراغى ٩٢
● قضايا الشباب فى ميزان الاسلام . . . . اعداد : امام المصرى ، فؤاد هيبه ، حامد المرسى ٩٣
— الكلمة وأثرها فى الاسلام . . . . . الدكتور مصطفى شحاته ٩٤
— المشرك والموحد . . . . . الدكتور على يوسف السبكى ٩٦
— الحكمة بين السلوك والبيان . . . . . الدكتور محمد كامل الفقى ٩٨
— الالزام الخلقى . . . . . الدكتور طه الدسوقى ١٠١
— الرشوة جريمة اجتماعية . . . . . الشيخ عبد المنصف محمود ١٠٦
— المرأة فى الاسلام . . . . . المستشار توفيق وهبه ١٠٨
— من القيم الحضارية فى الاسلام . . . . . الأستاذ محمود عاشور ١١٠
— الهجرة النبوية الشريفة باقلام المؤرخين ١١٢
— العروة الوثقى . . . . . الأستاذ أحمد فهمى خطاب ١٢٨
— الهجرة اصرار على الحق . . . . . الأستاذ عبد الغنى أحمد ناجى ١٢٩
● الاسلام والشعر والشعراء . . . . . الدكتور مصطفى الشورى ١٣٠
● استطلاع لاحوال المسلمين فى أمريكا وكندا . الدكتور محمد بهى الدين سالم ١٣٦
● فلسفة القيم الأخلاقية والمبادىء السماوية . الأستاذ السيد أحمد المخزنجى ١٤١
● يا سارى الليل . . . . . الأستاذ محمد عبد السلام عطا ١٤٤
● النص الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح الدكتور زكى مشعل ١٤٥
● ومن يوق شح نفسه . . . . . الدكتور أبو زيد جعفر ١٤٨
● مؤلفات ابن النفيس . . . . . الأستاذ عبد المنعم عمر ١٥٢
● يا قومنا أجيبوا داعى الله . . . . . الشيخ محمد حافظ سليمان ١٥٥
● فى ذكرى الهجرة . . . . . الأستاذ محمد عبد المنعم ابراهيم ١٥٩
● أخبار العالم الاسلامى ١٦١
● من وحى الهجرة . . . . . الأستاذ محمود شاور ربيع ١٦٥
● الفتاوى الاسلامية . . . . . الشيخ عطية صقر ١٦٦
● مع القراء . . . . . يحرره فؤاد هيبه ١٦٩

العدد افتتاحية

الذكرى العطرة وآمال الغد

فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى

بقلم
فضيلة الشيخ
إبراهيم الدسوقى
وزير الدولة للأوقاف
ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

مع هلال المحرم فى كل عام تشرق على المسلمين فى شتى بقاع الأرض الآمال الطيبة والأمانى الجميلة فى عام جديد تملأ جو الحياة فيه أسباب الطمأنينة والسكينة وترفرف فى سمائه ألوية الحب والتراحم والتعاطف وتعيش فيه أمة الاسلام صفا واحدا كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا بعد أن ودعنا عاما مليئا بالأسى والمصاعب . قد تنازعت فيه المسلمين الأهواء ، ومزقت شملهم الأطماع والأغراض ، وأصبحوا شيعا وأحزابا . كل لايرى الا نفسه ولا يكاد يحس بغيره بل انه ليذهب الى أبعد من ذلك حين تسول له نفسه الأمارة بالسوء ، أن يستبيح فى سبيل هذا دم أخيه وأرضه وماله ومقدرات حياته ، والجميع يعلم ويدرك تمام الادراك مالهذا من أثر على المسلمين فى داخل أقطارهم وفى خارجها ، ففى داخل أقطار الاسلام اهتزت الموازين واختلت القيم ، وساد الناس جو من القلق والاضطراب والوهن . وتهددهم الخوف من مستقبل يحمل فى طياته الشدائد والفاقة ، ووراء هذا ذل الحاجة للغير ، والتحكم فى أقدارهم وشئون حياتهم ، وحملهم على ارتكاب كل صعب فى سبيل الوصول الى الضرورى الذى يقيمون به أودهم ، ويبقى على وجودهم ، ويجنبهم الفناء الذى ينتظرهم .

أما فى الخارج فقد تغيرت النظرة اليهم وصاروا حديث الناس فى جميع أقطار الأرض وفى المحافل الرسمية وغير الرسمية . تلوكهم الألسن بما لا يتفق وما لهم من مكانة وتاريخ وأصالة ، وتتندر بسيرتهم المحافل الدولية . كما يسود جو الحياة فى محيطهم .

ويمتطى العدو صهوة جواده ملوحا بشارات النصر والغلب التى يقدمها له المسلمون والعرب وهو هادىء البال مطمئن الخاطر . فما كان يؤمل أن يصل الى أكثر من ذلك مهما بذل من جهد وقدم من تضحيات .

عناصر الامل :

كل هذا ومقومات الحياة المتاحة للأمة الاسلامية لاتكاد تتوافر لغيرهم فالقوة البشرية بحمد الله من الوفرة بمكان . والقوى المادية اراد الله لها أن تحتل مكان الصدارة فى العالم سواء من حيث الزراعة او المواد الخام للصناعة او ما تخرجه الأرض من معادن او مايسمى بالذهب الأسود ومصارف العالم متخمة بعائد هذه الخيرات .

ومع كل ذلك فانه بسبب مانعيش فيه نتطلع دائما الى الغير ونركن اليه يشد ازرنا ويمد بالعون يده الينا ونحن فى شغل بما نعيش فيه عن السير فى طريق الاكتفاء بما حبانا به الله . ليتنا بدل أن نعيش عالة على هؤلاء فيما يقدمون لنا نراجع انفسنا فنعمل لخيرات بلادنا وشعوبنا متعاونين بروح المؤمنين الذين عاشوا اخوة متراحمين متحابين متآلفين وانتصروا على انفسهم فى هذه المناسبة التى واكبتها حياة الأمن والاستقرار والاستعلاء على مآرب النفس ومطالبها فهجروا الديار والأموال وجميع مقدرات الحياة فى مكة وآثروا الدعوة الاسلامية والولاء الكامل للايمان بالله ورسوله وبمثل ذلك كله كتب الله لهم السلامة والنجاة من كيد المشركين ومكرهم وعصم نبيه من شرهم وحفظهم الله وأيدهم بنصره العظيم .

نعم انه النصر الذى امتن الله به على نبيه صلى الله عليه وسلم ، فى قوله سبحانه : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

واى نصر اعظم من هذه النتيجة التى خيب الله بها آمال عدو جمع عدته وحيله للكيد له صلى الله عليه وسلم ثم باء صنيعه بالفشل فى جميع ماتمنى وعصمة الله لنبيه منه .

واى نصر اعظم مما يحمله مدد السماء لنبى الله صلى الله عليه وسلم من عزة ومنعة ورفعة وكرامة بعد أن ناصبته قوى البغى فى الأرض العداء .

اى نصر اعظم مما تحمله هذه الذكرى للمؤمنين بالبشرى حين يسلمون لله وجوههم بمدد الله لهم وأخذه بيدهم ودفاعه عنهم وتحقيق ماتصبو اليه انفسهم فى حياتهم .

لقد كانت الهجرة الى المدينة وكان المهاجرون والأنصار بها نواة الدولة الاسلامية التى شاء الله لها ان تشرق بنورها على الدنيا وكان قوامها هؤلاء المؤمنين الذين جمع الله بينهم بالايمان أولا وبالأخوة فى الله التى ذابت فى بوتقتها القيم المادية كلها حتى أظلتها روح التضحية والايثار ونكران الذات والتفانى فى الخير والبذل والعطاء . بالمال بل وباغلى شىء يملكه الانسان وهو الفداء بالحياة .

سبيل النجاة

ان هذه الذكرى تهيب بنا نحن المسلمين ان ننسلخ من قيم الدنيا التى فرقت وحدتنا ونشرت الخراب والدمار فى كثير من أوطاننا ، وعرضت للفناء والضياع مقدراتنا وجعلت منا لقمة سائغة سهلة لعدونا .

انها تهيب بنا أن نستجيب لنداء الحق تبارك وتعالى وهو يقول :

« ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » .

وأن نعتصم بحبل الله المتين والله يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وان نلوذ بجناب الحق تبارك وتعالى ونتأسى بحبيبه صلى الله عليه وسلم ونتدبر قوله سبحانه : « واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين » .

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : « ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا » .

والله الموفق .

من الهجرة

حسن السلوك

لصاحب الفضيلة الامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال :

قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — :

« المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه »

أخرجه الخمسة الا الترمذى .

فى هـذا الحديث قاعدتان هامتـان لسلوك المسلم ينبغى أن نتدبرهما ، فعليهما مـدار بنـاء المجتمع الاسـلامى ، بل والانسانى .

القـاعدة الأولى : مجملهـا : كف الأذى عن الناس ، وليس المراد من جملة (المسـلم من سلم المسلمون من لسـانه ويده تحـديد معنى المسلم تحديدا كاشفا لمقوماته ، ومكوناته ، أو تحديد أصل الاسلام ، لأنها لم تحو سوى شعبة واحدة من الشعاب العملية للاسلام . تلك هى : كف الأذى عن الناس ، لكنها مع هـذا شعبة فرعية تصلح عنوانا ومعيارا يميز الخبيث من الطيب ويتعرف بها على المسلم الصادق الذى وصفه الحديث بصفة مطردة تقول : اذا رأيتم الرجل يمتنع عن الاضرار بالمسلمين بيده ولسانه كان هو المسلم ، واذا رأيتموه يسعى الى مضارة المسلمين من بين الناس جميعـا ، امـا بآفات اللسان كالغيبة والشتم والقذف والنميمة واللمز ، واما بيده بضرب واغتصـاب حق أو قتل ، أو اطـلاع على عـورات واشاعتها ، والمشى فى المضرات ، وأكل الطعام بغير اذن صاحبه وغير هذا وذاك من أنواع المضارة ، والاضرار ، فان كان الرجل أو المرأة متصفا أو محترفا لشىء من ذلك فليس من الاسلام فى شىء وان انتسب الى الاسلام والمسلمين ، ذلك أن الذى يكف الأذى عن المسلم بوصف كونه مسلما انما هو المسلم . هكذا جاء الوصف فى قوله تعالى (رحماء بينهم) . ولا يؤذى المسلم الا من ليس مسلما فى واقعة (وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ) (ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها) (ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة) (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا) ومن هذه الآيات من القرآن الكريم يتضـح لنا أن هـذه الجملة من الحديث الشريف جـاءت ترجمة لمعـانى هـذه الآيات وغيرها ، الداعية لحسن السـلوك فى المجتمع .

هذا وليس التقيد بالمسلمين مقصودا به عدم المسالمة مع غيرهم مطلقا ، بل يجب كف الأذى عن كل من يسالم المسلمين ويعايشهم ، سواء من أهل الذمة أو المعاهدين أو المهادنين أو المستأمنين، لكن الحديث الشريف جعل مسالمة المسلمين وكف الأذى عنهم واجبا أصليا على كل مسلم ، وكانت مسالمة غير المسلمين تبعا لهم .

أما المحاربون أعداء المسلمين ، فلا يجب كف الأذى عنهم ، بل الواجب رد عدوانهم والخوف من التورط فى علاقات معهم قد تضر بالمسلمين ، ولا يظن أحد أن هذه القاعدة (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) هى كل أمر الاسلام، وانما هى — كما تقدم — واحدة من شعبه أو قواعده الواجبة ، وكأنها من باب ما لا يتم الشىء الا به ، ومن ثم فلا يركن الى هذا الحديث بعض أولئك المفرطين فى جنب الله ، الذين اذا دعوا الى الصلاة وقيل لهم أركعوا لايركعون ، أو الى الزكاة وقيل لهم أنفقوا اذا هم يكنزون ، ثم يقولون مجاهرين : مادمنا لانؤذى أحدا فنحن خير ممن يصلى ومن يزكى ، ومن يصوم ، وكأنهم يقولون ان من أحسن المعاملة مع الناس لاضير عليه ان لم يحسن المعاملة مع الله:

ان هذا ليس مقصودا من الحديث الشريف ولا يؤدى اليه ، لا بالمنطوق ولا بالمفهوم الشرعى .

القاعدة الأخرى فى هذا الحديث (والمهاجر من هجر مانهى الله عنه) .

جاءت لتقرير معنى الهجرة المستمرة فى الاسلام ، بعد أن كانت الهجرة المكانية من فروضه ، فقد كانت عناية الاسلام فى بدء البعثة المحمدية بأن الهجرة من دار الشرك الى دار الاسلام أمرا حتما ، مما جعل لفظ الهجرة والمهاجر اذا أطلق لا ينصرف الا الى هذا المعنى، حتى قد ظن أن فضل المهاجرة يحصل لصاحبها بمجرد هذا الانتقال ، ولو لم يعمل بعدها شيئا من أمور الاسلام ، فجاءت هذه القاعدة تنبيها على خطأ هذا الظن أو الفهم ، وعلى تخطئة من يعتنقه أو يدعو اليه ، مبينة أن الهجرة لا يحرز فضلها الا من أعرض بجوارحه وقلبه عن كل ما نهى الله عنه من الآثام الظاهرة ، والباطنة ، ومع هذا فلم تترك هذه القاعدة الهجرة المكانية اذا لزمت ، بل انها تصبح أمرا شاملا جامعا للهجرتين المعنوية والحسية لأن كلمة (ما نهى الله عنه) تمتد وتتناول الاقامة فى ديار الشرك غير المأمونة على الاسلام ، كما تتناول الالزام بفرائض الاسلام ، وسننه وآدابه ، فليست قاصرة على امتناع المسلم عن مقارفة الذنوب ، بل شاملة لكل المعاصى سلبا أو ايجابا .

هذا : ولقد كانت الهجرة الى دار الاسلام واجبة على من أسلم ، لقلة المسلمين يومئذ بالمدينة وحاجتهم الى التجمع ، فلما فتح الله مكة ودخل الناس فى دين الله أفواجا سقط فرض الهجرة ، وكان الجهاد والسنية والمثابرة ، وكانت هجرة ما نهى الله عنه ولعل من أخطر مافى عصرنا مما ينبغى هجره والدعوة الى نبذه والحذر منه ، هذه المشاكلة والمشابهة التى يقلد فيها أهل الاسلام غيرهم ، فانها وان كانت ظاهرية لكنها توجب وتجر الى مشابهة ومشاكلة فى أمور أخرى تصرف عن حقائق الاسلام الى أباطيل خصومه ، وتوجب تنسيقا وتآلفا ، وفى ذلك اضعاف لشخص المسلم وازهاق لميزاته ومميزاته .

فمن الهجرة المطلوبة الآن فى الاسلام أن نهجر تقاليد غيرنا ، وأن نتحفظ فى تقليدهم فى أمورهم الظاهرة حذرا من متابعتهم فى أمورهم الباطنة ، ولعلى أوجه هذه الكلمة لمن فتنوا من المسلمين ، وافتتنوا بمحاكاة الأمم غير المسلمة فى عاداتهم وأزيائهم وسلوكهم ، حتى فيما ينافى المروءة والغيرة تحسبونه هينا وهو باب خطر داهم ، ليس فى أمر الاسلام عقيدته وشريعته فقط بل وفى أمر هذه الحياة ، اذ ان هذه المتابعة دون حذر وترو طريق انحلال الأمم وفنائها ، وتسلط غيرها عليها بعد ذوبان مقوماتها .

ومن هنا ونحن نحتفى بذكرى هجرة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة ينبغى أن نعيد قراءة سيرتها متحرين أهدافها ومقاصدها ، وما كان لها من دوافع وما تم من تخطيط ، ودراسة أمر هؤلاء الذين شاركوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى رحلته

أو امداده أثنـاء مسيرته بحاجاته ، أو باخفـاءطريقه وصرف العيون عن متابعته أو ملاحقته حتى يبلغ مأمنه ، اذ هؤلاء مدرسة أو مدارس نتلقى منها وعنها كل الخير فى الدين والدنيا .

لقد جمع هذا الحـديث الشريف قاعـدتين أساسيتين فى السلوك الاسـلامى والانسـانى ينبغى أن نفىء اليهما ، وأن نتبعهما وهما بالهجرة الصق ، هجرة السوء وتركه أيا كان نوعه أو وضعه ونسقه ، ومهاجرة الى الخير بكل طرقه ، هجرة الى الله بعبادته كمـا فرض وأمـر ، وبالاحسان فى معاملة خلقه كما أرشدنا رسول الله ـ صـلى الله عليه وسـلم ـ فى كثير من أقـواله ، بل وفى سـلوكه ، ومودته ومحبته للناس وايثاره اياهم بكل خير ، والوقوف معهم فى كل محنة ، والنزوع بهم الى كل سلوك حميد أو محمود .

فأنعمـوا النظر أيهـا المسلمون فى هاتين القاعدتين الجامعتين ، ففيهما دواء لعلل المجتمع الاسلامى بل والانسانى ، وأسلموا لله تسلموا ، واهجروا الخيانة ماظهر منها ومابطن فى الأقوال والأفعال ، واصدقوا مع الله ومع رسوله تنعموا فى دنياكم ويوم لقياكم بربكم ، وليصدق القول العمل ، وكونوا من الذين يستمعون القـول فيتبعـون أحسنه ، ولا تكونوا من هـؤلاء وأولئك الذين استمرأوا الجدل فى كل شىء والانفلات من كل القيم والمبادىء القيمة التى جـاء بها القـرآن وجرت بها سنة رسول الله ، فانه لاصلاح لهذه الأمة الا بما صلح به أولها ، فانبذوا الشقاق ، فقد أنهك الأمة وجعلها نهبا لأعدائها ، وكونوا مع كتاب الله ففيه الهدى والرشاد ، ومع سنة رسول الله وسلوكه ففيها الاستقامة والخير ، وخذوا بأسباب الصلاح والاصلاح ، فقد أضاعتنا الأمنيـات والأمـانى ، واللـه معكم ولن يتركم أعمالكم .

وبعد : فليدرس هـذه السيرة ـ سيرة الهجرة ـ أهل الاختصاص فى العلوم المتنوعة ، فسيجد كل أولئك نبراسا يهدوننا به فى حياتنا المعاصرة التى أسرعت بها الخطى نحو التهـور والتدمير ، وليدرس أهل الاسلام ـ الهجرة . درس استنباط يأخذون منها الهدى والحل لهذه الأزمات المتلاحقة التى حاقت بالمسلمين ، وليأخذوا منها العزم والحزم فى مواجهة الصعاب بثبات المؤمنين ، مستعينين بالله ، محتسبين الأجـر عند الله ، لا يقعدهم اليأس عن مواجهة البأس ، وليذكروا أن الكيد للاسـلام والمسلمين يأخـذ صنوفا من الألوان والشعارات ، فلا ينخدعوا ، ولا يستسلموا ، ولا يفـرطوا فى حقـوقهم فى أوطانهم ، وليتجمعوا فان يد الله مع الجماعة ، وقديما قال قائلهم : انما يأكل الذئب من الغنم القاصية .

ولكن بالحكمة والروية والايثار ـ وليس الأثارة ـ واجه قادة المسلمين تلك الأزمات بهذه الأسلحة . فلننظر الى هذا التاريخ تاريخ أولئك الذين شاركوا رسول الله وحملوا معه ومن بعده عبء هـذا الدين ونشره ، كيف لم تـروعهم الخطـوب ، وكيف كانت شجاعتهم فـوق كل مداهمهم ، فارتفعوا بها فوق النكبات ، فانقلبت الفرقة وحدة ، والتمزق تجمعا ، كان ذلك حين باعدوا بين أنفسـهم وبين المـآرب والنزوات الشخصية ، وتجردوا من الأنانية رعاية لمصلحة الأمة وصونا لوحدتها ، وتوحيدا لكلمتها .

انما يتذكر أولو الألباب ، فلنستذكر دروس هجرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى هذه المحن التى نعيشها ، ولنجتمع على قلب رجل واحد نرأب الصدع ، ونجمع الشمل ، لا غالب ولا مغلوب ، وانما : احـدى يـدى أصـابتنى ولم تـرد .

اللهم نشهد أنك الحق بيدك الملك واليك الأمر . اللهم اهدنا اليك ، واجمعنا حول كتابك وشرعك علما وعملا ، وانزع البغضاء والأحقاد من قلوب قادة المسلمين وساستهم حين يفيئون الى أمرك ويستمعون الى ندائك وقولك الحق (محمد رسول الله والذين معه أشـداء على الكفار رحماء بينهم) .

الهجرة وبداية أمة

الدكتور جمال الدين محمود

بقلم المستشار الدكتور جمال الدين محمود

أمين عام المجلس الأعلى

للشئون الاسلامية

● لم يخطىء المسلمون قط ولا بالغ الخليفة عمر بن الخطاب حين جعل من هجرة النبى صلى الله عليه وسلم مبدأ للتاريخ الاسلامى ، فالهجرة التى يحتفل بها المسلمون كل عام ليست حدثا وقع وانتهى أثره بمجرد وقوعه ولا هى مجرد انتقال من بلد الى بلد ، ولكنها سنة الأنبياء وطريقة باقية للاصلاح فى المجتمعات الانسانية ، وأظهر مايميز هجرة النبى صلى الله عليه وسلم أنها — فى أيام الهجرة — ولياليها القليلة العدد — استطاعت أن تحول الدعوة الى الله الى دولة للاسلام وأن تحول المؤمنين الصابرين الصامدين فى مكة الى دعاة وهداة ، وحين ظفر الاسلام بذلك التحول بعد الهجرة الى المدينة بدأت طلائع نصره ، فالحق لا يهاجر من أرضه ضعفا أو يأسا ولا يترك أرضا كان فيها ليسودها الضلال ، وانما تكون الهجرة طلبا للنصرة من أهلها حتى يعود الحق الى أرضه بقوة من ناصروه وأيدوه ويختفى الضلال من الأرض التى ساد فيها فيترك مكانه مرغما ذليلا وهى سنة من سنن الحياة .

● وفى هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة يبدو الحق المهاجر من بلده الى حين ، فلم يغادر الرسول صلى الله عليه وسلم مكة وسط جيشه ولا بين جنده

ولا حتى مع الآلاف من أصحابه الصابرين على أذى الضلال واضطهاده وظلمه ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم غادر مكة وهى بلده — وأول بلد نزل فيها قرآن يتلى — وليس فى يده وفى قلبه سوى الحق الذى جاء به وأراد أن يصلح به القلوب والنفوس والعقول فرفض المجتمع المكى الدعوة وآذى صاحبها وأرهق أتباعها ، وليس ذلك بغريب على مجتمع انسانى صاغ حياته وأرسى تقاليده فى غيبة التوجيه الالهى فاضطربت موازينه حين ينظر الى معانى الحق والعدل والمساواة ، ولذلك صدمت الدعوة الاسلامية قلوبا غافلة وعقولا ضالة ونفوسا غليظة وصار الصراع بين الحق القادم والضلال الغارب ضرورة لا محيص عنها .

وقد تمثلت فى هذا الصراع صفات أهل الحق من الرغبة فى الاصلاح والتسامح والعفو والحرص على البلاغ كما تمثلت فيه سمات أهل الباطل من ايثار العنف والبعد عن الحق وايذاء الداعى الى الهدى واستمر ذلك سنوات طويلة لم يصبح فيها المجتمع المكى مجتمع الحق ولكنه تلقى من الصدمات ما جعله فى حيرة من أمره فى كل حياته ، فقد آمن المستضعفون رغم قسوة السادة ، وآمن كثير من السادة كأبى بكر وعمر وغيرهم برغم المصالح والروابط مع سادة هذا المجتمع وبدا لأهل مكة أن الذين يصلون الى الحق أشد حرصا عليه من الحرص على الحياة ذاتها ، وكان المشركون من أهل مكة قبل الهجرة أشد الناس حيرة أمام جلال القرآن وعظمة النبى صلى الله عليه وسلم وصمود الأتباع واسلام المستضعفين ولم يكن فى قلب هذا المجتمع ولا فى عقله ما يحميه ولم يبق له سوى هوى النفس الذى يحرك بعض ساداته .

● ومع ضعف مجتمع مكة فى أخريات أيامه قبل الهجرة لم يلجأ المسلمون فيه الى الاضرار به أو تخريبه ، بل تحملوا فى أناة وصبر ظلم الأقوياء بمالهم وسلطانهم ولعل المؤمنين فى مكة كانوا يعلمون علم اليقين أن هؤلاء الأقوياء أضعف الناس حين توزن الأمور بميزان الحقيقة ومقاييس الايمان ، ويخطىء من يظن أن الطغاة والمستبدين يحسون بالقوة وهم يمارسون طغيانهم على أصحاب العقيدة وأهل الايمان ، لأن أشد مايواجه الطغاة والمستبدين ليس سلاحا بسلاح أو مالا بمال أو سلطانا بسلطان ولكنه الايمان الذى يجعل صاحبه قلعة حصينة لا يضرها ما يأتى من خارجها ، وهكذا كان المسلمون فى أول أمر الاسلام أمام سادة مكة وزعمائها ، وحين كان أحد السادة يضع أحد المؤمنين بالله على لهيب الصحراء وصدره مشتعل بالحجارة المحماة قاصدا فتنته عن دينه كان لسان هذا المؤمن وقلبه أقوى من الظلم والعذاب حين كان يردد : أحد أحد .

● ان درس الهجرة قائم حتى اليوم ، هجرة الحق الى حين وعودته مظفرا بعد حين ، هجرة الباطل وأمله فى المجتمع حتى يعود الى الاستقامة والرشاد ، والصبر على مشاق الدعوة وتحمل تضحياته حتى يتم أمر الله لها بالنصر ، والثبات فى وجه الاستبداد حتى يأذن الله بزواله فليس أحق من المسلم بأن يعيش فى أرض الأمل مستظلا بوعد الله تعالى للمؤمنين « كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ان الله لقوى عزيز » .

عيد الهجرة

بقلم فضيلة الشيخ عبد اللطيف حمزة
مفتي جمهورية مصر العربية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد .

فان هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة لم تجيء عفوا وانما كانت لها أسباب ومقدمات . أسباب الهجرة ومقدماتها : فقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قومه بمكة معرضون عما جاء به فقد أخذتهم العزة بالاثم وأخذتهم الحمية لأصنامهم من أجل ذلك أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم يعرض الاسلام على القبائل . ويدعوهم الى دين الله الحنيف — فكان لا يسمع برجل قدم مكة وله شرف وذكر ومكانة فى قومه الا لقيه وعرض عليه أمره . وكان فى الموسم يقف على منازل القبائل الوافدة الى مكة للحج ويقول (يابنى فلان . انى رسول الله اليكم . يأمركم أن تعبدو الله ولا تشركوا به شيئا وأن تتركوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد . وأن تؤمنوا بى وتصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به) فلا يلبث أبو جهل أن يظهر من خلفه فيقول : (يابنى فلان : ان هذا انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم فلا تطيعوه . ولا تسمعوا اليه) وكانت نار العداوة مضطربة بين القبيلتين العظيمتين فى المدينة : وهما قبيلتا الأوس والخزرج . وطالما نشبت بينهم الحروب الحاصدة للأرواح كان لم تكن بينهم قرابة ولم يجمعهم نسب . وقد بلغ من أمرهم واشتداد الخلاف بينهم أن استعان كل فريق منهم بأحلاف من اليهود . وقد كان اليهود بالمدينة يستفتحون على غيرهم من العرب بنبى يبعث فى هذا الزمان ويتوعدونهم بنصرته . والاستظهار على العرب به . ونيل العز والشرف بالانضواء تحت لوائه .

ورغب الأوس فى محالفة قريش للاستظهار بهم على الخزرج فأوفدوا الى مكة أبا الحيسر أنس بن رافع فى فتية من قومه . فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لهم : هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ قالوا وما ذاك ؟) قال : أنا رسول الله بعثنى الى العباد أدعوهم الى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وأنزل على الكتاب) ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم شيئا من القرآن . فقال اياس بن معاذ الأوسى وكان غلاما حدثا (أى قوم . والله هذا خير مما جئتم له) فأخذ أبو الحسين حفنة من التراب فضرب بها وجه اياس . والتفت الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : (دعنا منك . فوالله لقد جئنا لغير هذا) وفى موسم آخر قدم جماعة من الخزرج حجاجا وهم ستة نفر . فلقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (أفلا تجلسون حتى أكلمكم) ؟ فقالوا : بلى — فعرض عليهم الاسلام وتلا القرآن عليهم . وكان القوم قد لصق بأذهانهم ما ذكره من أن نبيا يبعث من العرب قد قرب زمانه . وأنهم متابعوه ومقاتلو العرب معه . فقال بعضهم لبعض :

(لتعلمن والله أنه النبي الذى توعدكم به اليهود . فصدقوه وقبلوا منه ما عرضه عليهم من الاسلام وقالوا : (لقد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم . عسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى أمرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك) .

وانقلب القوم الى أهليهم راجعين . فذكروا رسول الله لقومهم ودعوهم بدعوته ففشا ذكر الاسلام فى دور الأنصار . وكانوا لم يسموا أنصارا بعد . فلما كان الموسم المقبل أم مكة اثنا عشر رجلا من المدينة عشرة من الخزرج واثنان من الأوس فلقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عند العقبة وبايعوه على الا يشركوا بالله شيئا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم . ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصونه فى معروف . فأن وفوا فلهم الجنة وان غشوا من ذلك شيئا فأمرهم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء عذب . وبعد أن قضى القوم مناسكهم رجعوا الى أهلهم . وقد أوفد النبى صلى الله عليه وسلم معهم مصعب ابن عمير من بنى عبد الدار . وعبد الله بن أم مكتوم يعلمانهم الاسلام ويقرآنهم القرآن ويفقهانهم فى الدين ويؤمانهم فى الصلاة وقد اقتضت حكمته عليه الصلاة والسلام أن يرسل هذين الأثنين من الصحابة فجعل واحدا منهما للأوس والآخر للخزرج وذلك لأن مافى قلوبهم من الحقد لم يكن قد زال أثره تماما — ولم يأت موعد الحج المقبل الا وكان الدين الاسلامى قد انتشر فى المدينة ودخل فيه كثير من أشرافهم حتى لم يبق فى المدينة دار الا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات .

تحول اهتمام الرسول للمدينة :

عند ذلك رأى النبى صلى الله عليه وسلم أن يحول كل اهتمامه للمدينة بعد أن رأى ان الوعظ والارشاد والاقناع لم يزحزحا قريشا عن عبادتها القديمة — ثم بعد ذلك قدم الى مكة كثير من الأوس والخزرج يريدون الحج وبينهم كثير من المشركين وأعد المسلمون لهم مقابلة مع النبى صلى الله عليه وسلم ضربوا لهم موعدا ليليا مبالغة فى اخفاء الاجتماع عن قريش لئلا يطلعوا على الأمر فيعمدوا من جانبهم الى احباطه ولما فرغوا من الحج تسللوا الى مكان الاجتماع عند العقبة رجلا اثر رجل حتى بلغ عددهم ثلاثا وسبعين منهم اثنان وستون من الخزرج واحد عشر من الأوس ومعهم امرأتان هما نسيبة بنت كعب من بنى النجار وأسماء بنت عمرو من بنى سلمة . وقد وافاهم هناك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وكان لم يسلم بعد فقدم لهم العباس رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : (يامعشر الخزرج أن محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه . فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وأنه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فأن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه، فأنتم وماتحملتم من ذلك وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم . فمن الآن دعوه فأنه فى عز ومنعة من قومه وبلده وقال متكلم من الخزرج (قد سمعنا ما قلت : فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ماأحببت) فتلا عليهم الرسول القرآن ودعا الى الله ثم قال : (أبايعكم على أن تمنعونى بما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) فأخذ سيدهم البراء بن معرور بيده ثم قال : (نعم والذى بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أزرنا . فبايعنا يارسول الله فانا والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر) وقال أبو الهيثم بن التهيان : (يا رسول الله . أن بيننا وبين الرجال (يعنى اليهود) حبالا وانا لقاطعوها . فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا) ؟ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (الدم الدم الهدم الهدم . أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم) ثم قال : (اخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم فيما فيهم) فأخرجوا له تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس . وكان أول من ضرب بيده على يد الرسول مبايعا البراء بن معرور — على أن أسبقية المبايعة كانت مفخرة بين الأوس والخزرج فأدعى بنو النجار أن أول من بايعه كان منهم ، وكذلك أدعى بنو عبد الأشهل — ولما علمت قريش بخبر هذه المبايعة قامت قيامتهم وعمدت الى المبالغة فى اضطهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وزادهم تماديا فى الاضطهاد ماوصل الى علمهم من أن النبى صلى الله عليه وسلم يفكر هو وأتباعه القرشيون فى الهجرة الى المدينة — ازاء هذه المعاملة الجديدة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج الى المدينة والهجرة اليها ليلحقوا بأخوانهم الأنصار وقال لهم (أن الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها) فخرجوا رجالا ونساء الى المدينة .

أمر السماء بالهجرة :

وبعد هذا جاء أمر السماء الى الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى رجال البيعة وأخذت قريش من جانبها تتحسس أمره . وقد استقر رأيهم على أن يقتلوه قتلة تفرق دمه فى القبائل وكانت الليلة التى أتم الله فيها لرسوله وسائل الهجرة فضرب القوم حول بيته نطاقا من الحديد والنار . وهنا ندع أرباب الايمان يفكرون فى مبلغ التضحية التى بذلتها تلك القلة الفدائية التى لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة أبو بكر الذى أعد الراحلة وصاحب الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى الغار . وباذل ماله ونفسه . وعلى الفدائى الأول الذى تسجى ببردة الرسول مفترشا سريره وعبد الله بن أبى بكر صاحب المخابرات المكية وتدبير القوم ضد الرسول صلوات الله وسلامه عليه — وأخته أسماء ذات النطاقين التى تأتيهما بالطعام والشراب . وعامر ابن فهيرة مطعم اللحم واللبن فى الغار . ومخفى الأثر بالغنم التى كان يرعاها لأبى بكر الصديق رضوان الله عليه — هذه التضحية التى لم يضعف من حدتها قرب الوقوع فى يد الأعداء الذين راحوا يبذلون كل ما يستطعون فى سبيل الحصول على محمد ومن معه — هذه التضحية التى قامت بها القلة فيها الرجل والصبى . وفيها الرجل والمرأة . وفيها الرجل وموارده . وفيها قريب النسب وبعيده . لنعلم أن الجهاد والتضحية شأن المسلمين عامة . يسقط فى حسابها القرب والبعد تمت الهجرة ولم تكن هجرة الفارين الهاربين . وانما كانت تنفيذا لخطة مرسومة ونزولا على حلف أخذت فيه العهود والمواثيق بالدماء والأرواح وبذل المهج دون الرسول صلى الله عليه وسلم ودون الايمان بالله وتطهير العالم من الشر والطغيان — ألا وان الايمان الحق متى امتزج بالقلب ملأه محبة صادقة . والمحبة الصادقة تورث الغيرة الصادقة والغيرة الصادقة تدفع صاحبها الى التضحية الغالية — وقد امتلأ هؤلاء ايمانا ومحبة وغيرة . فجادوا فى سبيلها بالأهل والولد والمال والنفس وكان الله ورسوله أحب اليهم مما سواهما .

تمت الهجرة وكانت نعمة أمتن الله بها على رسوله (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الآية ٣٠ من سورة الأنفال . تمت الهجرة وكانت نصرا من الله لرسوله . استنفر به المؤمنين للقتال ورفع به مكانة صاحبه أبى بكر رضى الله عنه . « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم) الآية ٤٠ من سورة التوبة . تمت الهجرة واستقر محمد صلى الله عليه وسلم فى المدينة وآخى بين المهاجرين والأنصار . حتى جرت بينهم أنهار السخاء والايثار . ثم رتب شأنه ورسم خطته . خطة تطهير بيت الله من عبادة غير الله . خطة انقاذ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين تركهم فى مكة تصب عليهم ألوان العذاب ولا يملكون سوى أن يقولوا : (ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا) الآية ٨٥ من سورة النساء — وماوافت السنة السادسة من الهجرة حتى اعترف المكيون بالكيان الدولى للمسلمين وجرت بينهم مفاوضات وتمت بمعاهدة صلح اعتبرها الله سبحانه وتعالى فتحا مبينا ولم تكد تنتهى السنة الثامنة حتى جاء نصر الله والفتح . وعاد جند الله الى بيت الله . ودخل محمد وصحبه مكة فاتحين . وهنا تتجلى الانسانية فى أروع مراتب الكمال يخرج محمد وأصحابه من مكة وليس لديهم سوى الايمان تزدحم آماله فى قلوبهم ويدخل مكة وقد صارت اليه كل أسباب القوة ومع هذا لم تأخذه نشوة الفاتحين ولا صلف المنتصرين ولا يفكر الا فى أنه المبعوث رحمة للعالمين والداعى من لدنه الايمان به والأمن فى رحابه — فيبدأ قومه وقد التفوا حوله : ماتظنون أنى فاعل بكم ؟ فيقولون أخ كريم وابن أخ كريم — فيقول قولته المأثورة التى لا يزال صداها يرن فى سمع الزمان (لاتثريب عليكم . اذهبوا فأنتم الطلقاء لا قصاص ولا عقاب ولا تهديد ولا وعيد ولا انتقام — ولا غرو يارسول الله فأنت الرحمة المهداة والنعمة المسداة ولقد صدق من سماك الرؤوف الرحيم — فاية حادثة أروع من حادثة الهجرة . وأى عهد أقدس من عهد الهجرة . وأى يوم عند الأمة الاسلامية أعظم من يوم الهجرة — أما كان فاتحة لاعلاء كلمة الله . وبداية لظهور الاسلام ووسيلة لنشر السلام على الأرض — وصلاة الله وسلامه على صاحب هذه الذكرى العطرة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

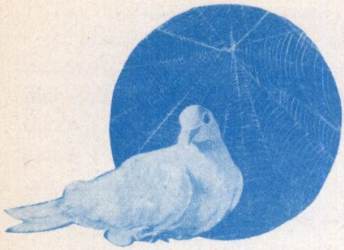

أسباب الهجرة

فضيلة الشيخ عبد الله المشد
رئيس لجنة الفتوى بالأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية

صفاته :

كان عليه السلام منذ نشاته ، شابا مفكرا ، كثير الصمت ، يسكت حيث لا موجب للكلام ، فاذا نطق فما شئت من حكمة وسداد ، لا يتناول غرضا فيتركه الا أزال شبهاته ، وكشف ظلماته وابان حجته وكشف دفينته ، كان صارم العزم ، بعيد الهمة ، ثابت المبدا ، كريم النفس .

وكان أجود مايكون فى رمضان ، وكان حلو الحديث والايناس يمزح ويداعب ولا يقول الا حقا ، سهلا لين العريكة يضىء وجهه ابتسامة مشرقة عن فؤاد صادق ، له عينان تنبئان عن شخص عظيم بفطرته ، لم تثقفه مدرسة ، ولم يهذبه معلم ، وله قلب كبير ، ملىء بالرحمة والخير والحنان وكان نقيا تقيا حميد العشرة تقول عنه السيدة عائشة رضى الله عنها (كان خلقه القرآن) وكان ابعد ما يكون عن التفكير فيما يطمح اليه غيره من السلطة والجاه وزخرف الحياة ، لا نفراده بنفس عظيمة مشغولة بحقائق الأمور وسر الكائنات والوجود فقد صنعه الله على عينه ، وهياه لرسالته ، واصطفاه من خلقه ، واثنى عليه بقوله (وانك لعلى خلق عظيم) بذلك وبغيره كان اعظم رسول ، جاء بأكمل رسالة لخير امة ، (كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) (وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

التماسه الحقيقية :

كان مشهورا بين قومه بالأمين اى: رجل الصدق والوفاء فى الفعل والقول ، وكان معتادا اعتزال الناس فى شهر رمضان كل عام بغار حراء مكتفيا بقليل الزاد ، متأملا متعبدا على ملة ابراهيم عليه السلام ، ملتمسا الهداية الى الحق والحقيقة فى الكون المحيط به ، وسمائه ونجومه ، شمسه وقمره ، وما وراء ذلك مما يتصل بالوجود ، ليصل الى ان مافيه قومه من شئون الحياة ، وما يتقربون به الى آلهتهم ان هو الا ضلال واباطيل ، وبينما هو فى الغار جاءه جبريل: فقال له : اقرأ فاجاب ، ما انا بقارىء فكرر عليه ذلك ثلاثا ، وهو يجيب بمثل ماأجاب — اخيرا قال الملك (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) .

فقراها النبى صلى الله عليه وسلم ، وانصرف الملك عنه ، فخرج فزعا يتلفت يمنة ويسرة ، فلما ذهب عنه الروع وعاد الى بيته حدث خديجة بما رأى ، فقالت : أبشر ياابن عم ،

فو الذى نفسى بيـده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، والله لا يخزيك الله أبدا ، انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقـرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فاطمأن روعه وألقى على خديجة نظرة كلها ود ومحبة ، وشكر من أعماق نفسه ، ثم ذهبت خديجة الى ابن عمها ورقة بن نوفل ، ، وكان قد تنصر وعرف الانجيل ، ونقل بعضه الى العربية ، فلما حدثته بما رأى محمد عليه السلام ، قال : لئن صدقتنى ياخديجة ، لقد جاءه الملك الأكبر الـذى كان يأتى موسى ، فقولى له فليثبت ولا يخش شيئا) ولما رآه عند الكعبة وسمع عنه ما رأى وسمع ، قال له ورقة (والله الذى نفسى بيده ، انك لنبى هذه الأمة ، ليتنى أعيش لأنصرك حين يعاديك قومك ويخرجونك من بلدك ، فما جاء نبى برسالة من عند ربه مثل ما جئت به الا عاداه قومه ، وأخرجوه من بلده ، ثم فتر الوحى عنه .

ثم نزل قـول الله عليه (يأيها المـدثر قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فأهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فأصبر) ثم نزل بعدها قـول الله تعالى (والضحى والليل اذا سجى ماودعك ربك وماقلى) السورة فامتلأ قلب النبى صلى الله عليه وسـلم وزوجه بالسكينة والغبطة ، وزال ماكان يساورهما من شـكوك ووساوس ، واتجه الى الدعوة الى الله وحده الـذى تخر له الجبـاه ويسـجد له كل من فى السموات والأرض ودعا الى أن كل ما عـدا الله باطل .

فأسلمت خديجة وعلى وأبو بكر ، وتبعهم عثمان ، وابن عوف ، وطلحة ، وابن أبى وقاص والزبير بن العوام وأبو عبيدة وكان المسـلمون الأولون يستخفون خشيه قريش وكان الرسـول ينظر اليهم جميعا نظرة أبوة وبر ، وعطف ورحمة وود ، وكان سلوكه فى عباداته ومعاملاته مما يجعلهم أحرص على اسلامهم ، وأشد تمسكا بايمانهم ، فآمن به عليه السلام فريق من تجار مكة وأشرافهـا ممن عرفوا بطهـارة النفوس والنزاهة ، والمغفرة والرحمة كما آمـن به الضعفاء المحرومون وانتشر الاسلام بمكة واستمر ثلاث سنوات يدعو أهل مكة الى الاسلام سرا وعلى الرغم من الخفاء والسرية فى الدعوة فقد علم فريق من قساة الأكباد من أهل مكة بدعـوة محمد عليه السلام ومدى انتشارها ولكنهم ظنوا أن حديثه عنها لن يزيد عن حديث الكهان ولن يؤثر على كيان عقيدتهم ومكانة آلهتهم فى قومهم .

وبعد ثلاث سنوات من بـدء الرسالة أمر عليه السـلام بالجهر وبـأن ينذر أولا عشيرته الأقربين بقوله تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فدعاهم النبى الى داره وأولم لهم ليتناولوا الطعام عنده فحضر من بنى هاشم والمطلب نحو أربعين رجلا كان فيهم عمه عبد العـزى (أبو لهب) وحين انتهى الطعام وتهيأ النبى للكلام بادر أبو لهب فقال على مسمع منهم : يامحمد هؤلاء عمومتك وبنو عمك وقد بلغنا أنك خرجت على دين قومك ودعوت الى دين جديد ، فلا تعرض قومك لغضب العرب فليس لنا قدرة على حربهم وارجع الى دين آبائك وأجدادك فهو خير لك ، والا حبسناك حتى تشفى من مرضك ، ونحن أولى بتأديبك من أن يؤدبك غيرنا فيصبح ذلك عارا علينا ، فبهت القوم من مفاجأة هذا الرجل الخبيث ثم انصرفوا وبعد أيام دعاهم النبى الى وليمة أخـرى فحضر معهم أبو لهب فلما فرغوا من الطعام وقف فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا ، الحمد لله ، أحمده ، وأستعينه وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد ألا اله الا الله وحده لاشريك له أمـا بعد .

فان الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، والله الذى لا اله الا هو ، انى لرسول الله اليكم خاصة والى الناس عامة وقد أمـرنى الله أن أدعوكم اليه فقـال (وأنذر عشيرتك الأقربين) أدعوكم الى شهادة ألا اله الا اللـه وأنى رسـول الله يابنى عبد المطلب والله ما اعلم شابا جاء قومه بأفضـل مما جئتكم .

فقام أبو طالب : خشية أن يسارع أبـو لهب بالكلام قبله فقـال للنبى : هـؤلاء قومك مجتمعون وانمـا انـا كاحدهم وان كنت أكثرهم معرفة بك ـ أنت والله الصادق الأمين ما جربت عليك كذبا قط ، فاذهب لما أمرت به لانتخلى عنك أبدا غير أنى لا أريد أن أفارق دين عبد المطلب ، فأبدوا موافقتهم ، وثارت ثائرة أبى لهب ، وقال تبـا لك ألهذا جمعتنـا ؟ .

الجهر بالدعوة :

ثم نزل قول الله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فكان أمـرا بأن يجهر بدعوته للعرب وقومه قريش ، ويصدع السرية وينذر الناس علانية بعد أن انذر عشيرته الأقربين

فصعد على جبل الصفا ونادى قبائل مكة بأسمائها فلما اجتمعوا قال لهم : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقى، قالوا : نعم ما جربنا عليك كذبا قط قال (فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد) .

سخرية قريش وايذاؤهم للمسلمين :

كان لهذا الصوت الجهير بالدعوة الى الله والى الحرية المطلقة ، والى الحب والتسامح والزهد فى الاكثار من المال والتكالب عليه وأن الانسان سيسأل يوم القيامة عما قدم فى دنياه من خير وشر ، وأنه ستجزى كل نفس بما كسبت ، كان لكل هذا أثر بالغ فى نفوسهم ، فقابلوه بالهزء والسخرية والايذاء فبدأ أبو لهب وأبو سفيان وأشراف مكة وأرباب الأموال يحاربون المسلمين ، بتكذيبهم والحط من شأنهم ،ويغرون بهم السفهاء والشعراء يهجونهم ، ويرد عليهم شعراء المسلمين ، وفى ذلك يقول الله تعالى (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون، واذا مروا بهم يتغامزون ، واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين ، واذا رأوهم قالوا أن هؤلاء لضالون) ثم اتجهوا الى سبيل آخر أشد فى السخرية والاحتقار ليصلوا بذلك الى القضاء على تلك الدعوة الجديدة فأخذوا يطالبون محمدا بالمعجزات المادية التى تثبت رسالته ، وأطلقوا لأنفسهم العنان فى اقتراح مايخطر على بالهم من المعجزات التى حكاها الله تعالى فى قوله (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا ،أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى ، هل كنت الا بشرا رسولا) وطال بهم اللجاج والمهاترة فبدأ عليه السلام بعيب آلهتهم ، وكشف حجاب الهيبة عنها ، والقداسة التى كانت لها فى قلوبهم ،بالتحقير والاستهزاء ردا على استهزائهم بالله المسلمين ، هناك عظم الأمر على قريش وثارت نفوسهم وبدأت أشباح الخوف تتراءى لهم على دينهم ومراكز سيادتهم ، ثم رأى أشراف قريش أن يرفعوا أمر النبى الى عمه أبى طالب وخيروه بين أن يكف عن طريقته التى سفه بها عقولهم وعاب آلهتهم ، وبين أن يخلى بينه وبينهم ، فردهم أبو طالب ردا جميلا ، غير أن محمدا مضى يشتد فى دعوته ومضت قريش تتآمر بصاحب الدعوة ، فعرضوا الأمر مرة أخرى على أبى طالب فى صورة من الانذار والتهديد فقالوا له : (سألناك أن تنصفنا من ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك حتى يهلك أحد الطرفين) .

قال أبو طالب لمحمد : يا ابن أخى ان قومك قد حدثونى بما علمت فابق على نفسك ولا تحملنى من الأمر مالا أطيق قال : ياعم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ماتركته) بالعظمة الحق وجلال الايمان به ، وقف أبو طالب مدهوشا أمام هذه القوة القدسية ،والارادة السامية ، فوق كل ما فى الحياة ، وقام محمد ولم يملك نفسه من البكاء ، فقال له عمه (أذهب يابن أخى فقل ما أحببت فو الله لا أسلمك لشىء أبدا) .

بهذا الموقف لاح شبح الحرب الأهلية بين قبائل مكة وامتلأ جوها بالمخاطر التى لو تم تنفيذها لقضت على نفوذ عشيرتهم الى الأبد فحاولت قريش محاولة جديدة بينها وبين النبى ، عن طريق الاغراء بعد أن فشلت عن طريق التحذير والتهديد فعرضت عليه المال والسلطان فباءت بالخيبة وسوء المصير ، اعتصم محمد بعمه وبعشيرته من أذى قريش ، كما اعتصم فى بيته من هم نفسه بوفاء خديجة وصدق ايمانها وعظيم حبها .

ازدياد حركة الاضطهاد والتعذيب :

سارت قريش الى القبائل تحرضهم على المسلمين أينما وجدوا ، وما كان محمد والذين اتبعوه طلاب مال ولا جاه ولا سلطان ، وانما كانوا طلاب حق وعدل وحرية وايمان وكان محمد طالب هدى للذين لا يحررون أنفسهم من ربقة الوثنية الوضيعة التى تنحدر بالنفس الانسانية الى الهوان ، لهذا وثبت كل قبيلة على من أسلم فيها ، يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، واشتعلت نار الغضب والسخط على القلة المسلمة ، وحمل لواء التعذيب والترويع والقمع طغاة من قريش ، وشباب من مغامريهم ، استحلوا دماء المسلمين وأموالهم ، وروعوهم فى البلد الحرام والأشهر الحرام ، ولم تضعف حركة السخرية والاستهزاء لاضعاف قوى المسلمين وتحطيم روحهم المعنوية

وكانت فتنة المسلمين فى دينهم ليعيدوهم الى ملة آبائهم ، وممن عذب لاسلامه من أشراف قريش بعد رسول الله أبو بكر ، وعثمان ، وطلحة بن عبيد الله ، وسعد بن أبى وقاص ، والزبير بن العوام .

واذا كانت قريش قد آذت أبناءها هذا الايذاء الأليم ، فقد كانت أشد بطشا ونكالا به وبالمستضعفين من المسلمين الذين لا يملكون الدفاع عن أنفسهم ، فلقد قست قريش على هؤلاء الضعفاء ، ولقد كان من صور الأذى والتعذيب ، أن يعرى المسلمون ويطرحون فوق الرمال والصخور الملتهبة من حرارة الشمس وتوضع فوق صدورهم وبطونهم الصخور الثقيلة، ويمنع عنهم الماء والطعام ، وتقيد أيديهم وأرجلهم بقيود من حديد ويجلدوا بالسياط حتى يفقدوا الحركة ، ومن النساء من تعرضن للأذى والفتنة حتى زهقت أرواحهن فى سبيل ايمانهن ، وممن عذب فى دينه عمار بن ياسر وأبوه وأخوه وأمه حتى مات هو وأمه ، وخباب بن الأرت وبلال يقول ابن عباس (والله لقد كانوا يضربون أحدهم ويجيعونه ويبطشون به حتى ما يقدر أن يستوى جالسا حتى يعطى ماسألوه من الفتنة) .

يقول غوستاف لوبون :

((لكن ماذا ينفع الكيد بعقيدة استقرت فى النفوس ، لقد جعل الاضطهاد من الجماعة الصغيرة المؤمنة كتلة قوية باتحادها وايمانها ، وأثار عصبية أهلهم وعاطفتهم الى الاسلام ، وجعل منهم مدافعين عن حملة راية الاسلام ، ووحد بينهم فى الآلام والآمال)) .

وقال : ان الايمان ليزحزح الجبال عن مواضعها ، وان المؤمن لا يتمكن من اقناع الخصم الا اذا سكر بخمر المذهب ، وهؤلاء هم الذين يستطيعون أن يولدوا فى النفوس القوة الهائلة ، لذلك كان من جلال موقف محمد ومن اتبعه بعد هذا الهوان والتعذيب أن ازداد بنو هاشم وبنو المطلب منعا له ودفعا للأذى عنه ، مر أبو جهل يوما بمحمد فآذاه وشتمه ونال منه مايكره ، فعلم عمه حمزة وكان فى سنه وعلى دين قومه ، وكان قويا يحب الصيد فقصد الى الكعبة فوجد أبا جهل عندها فضربه بقوسه فشجه شجة منكرة فاراد بنو مخزوم أن ينصروا أبا جهل فمنعهم حسما للشر ، وأعلن حمزة اسلامه .

هجرة الحبشة :

وعندما اشتدت حركة الاضطهاد بالمسلمين بمكة ، وزاد مانزل بهم من الأذى ، وبلغ منهم القتل والتعذيب والتمثيل ما بلغ وكان النبى صلى الله عليه وسلم بمنجاة من شدتها بمكانته من قومه ، ومنعته بعمه أبى طالب وبنى هاشم وبنى المطلب ، فكر فى تخليص المسلمين من هذا العذاب فأشار عليهم أن يتفرقوا فى الأرض ونصح اليهم أن يذهبوا الى بلاد الحبشة فخرجوا اليها فى هجرتين فرارا بدينهم وكانوا فى الهجرة الأولى احد عشر رجلا وأربع نسوة ثم عادوا الى مكة حين علموا أنهم بمأمن من بطش قريش فلما وجدوهم على ماهم عليه من عنت وأذى للمسلمين ، عادوا الى الحبشة فى ثمانين رجلا غير النساء والأطفال ، فبعثت قريش الى نجاشى الحبشة ـ عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة بهدايا ثمينة ليقتنعوا برد المهاجرين من المسلمين اليهم ، فسأل النجاشى المهاجرين من المسلمين ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم ، ولم تدخلوا به فى دينى (النصرانية) فتكلم جعفر بن أبى طالب وقال :

(أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل القوى الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والصيام والزكاة فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به من عند الله ، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا ، وحرمنا ماحرم علينا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان ، فلما قهرونا وظلمونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك ، ورغبنا فى جوارك ثم قرأ جعفر عليه من سورة مريم ، (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) الآيات قال النجاشى لرسولى قريش : انطلقا والله لا أسلمهم اليكما .

فسأل النجاشي جعفرا ماتقولون في عيسى ابن مريم ؟ قال : هو عبد الله ورسوله ، وروحه وكلمته ، فأحسن النجاشي والبطارقة وفادتهم ، وكان النجاشي رجلا عدلا سديد الرأى وقد مهدت هذه الهجرة الى الهجرة الكبرى للمدينة ، وأقنعت قريشا بأن هذه القلة المؤمنة ، تستطيع أن تتخطى جميع الصعاب ولن يثنيها تحمل صنوف الأذى في سبيل ايمانها ومقاصدها الشريفة وغاياتها النبيلة ، وأنها مصرة عليها حتى الموت بعد أن ألقوا بأنفسهم ونسائهم وأطفالهم في أرض غريبة ، وشعب ليس من جنسهم ولا من دينهم دون تفاوض سابق معهم أو عهد أو ذمة أو ضمان أو جوار أو استناد الى ما يطمئنهم على مصيرهم أو يحميهم في مستقبلهم الا ثقتهم في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، وايمانهم بدينهم الجديد لذلك لقبوا بالسابقين الأولين .

تغير ميزان القوى في مكة باسلام عمر وحمزة :

وكان لانضمام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب الى الاسلام دوى بالغ الأثر في محيط مكة وما حولها وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم أعز الاسلام بأحد العمرين يعنى عمر بن الخطاب أو أبا جهل عمرو بن هشام وكانت الدعوة لاتزال تعمل من قاعدتها السرية (دار ابن أبى الأرقم) وكان عمر ابن ست وعشرين سنة قوى الشكيمة حاد الطبع سريع الغضب .

وكان من أشد قريش أذى للمسلمين غير أنه شعر عند هجرتهم الى الحبشة وحماية النجاشي لهم بألم لفراقهم ، دخل على أخته في بيتها فسمعها تقرأ مع زوجها شيئا من القرآن فهاج اذ ذاك وضربها فشجها ، ثم قرأ الصحيفة التى عندها فأخذه اعجازها فخرج وقد لان قلبه واطمأنت نفسه ، وقصد الى مجلس محمد فأعلن اسلامه ، فكبر المسلمون لاسلامه ووجدوا فيه وفى اسلام حمزة منعة للمسلمين وحمى ، وأضعف ذلك من مركز المشركين في مكة وفت في عضدهم .

عودة مهاجرى الحبشة :

لم يخف عمر اسلامه ولم يستتر كغيره بل ذهب يعلنه على الملأ من قومه ، ويقاتلهم في سبيله ولم يرض عن استخفاء المسلمين وأدائهم لصلاتهم خفية ، بل طلب منهم أن يؤدوها بالكعبة جهرة ، واستمر على عداء قريش ونضالهم ، وشجع المسلمين على الصلاة معه في الكعبة . فأيقنت قريش أن الاستمرار في أذى محمد وأصحابه سيثير حربا أهلية فمن الخير أن يقف صراعهم معهم عند حد .

فلما علم بذلك المهاجرون في الحبشة عادوا الى مكة وأقبل الناس على الدخول في دين الله ليحتموا بعمر وحمزة أو بالحبشة التى تحسن لقياهم .

صحيفة المقاطعة :

وائتمرت قريش من جديد واتفقوا فيما بينهم بعد أن شعروا أن الاسلام أخذ يعلو وينتشر ، وأن وسائلهم في محاربته قد باءت بالفشل .

فأعادوا النظر في موقفهم وفكروا في أن يكتبوا وثيقة فيما بينهم عرفت في التاريخ باسم : الصحيفة ، تنص على (مقاطعة بنى هاشم وبنى المطلب جميعا — عدا أبى لهب — في البيع والشراء والمصاهرة وألا يكلموهم وألا يقبلوا منهم صلحا أبدا حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلوه) وعلقت الصحيفة في جوف الكعبة في هلال المحرم سنة سبع من البعثة وأقامت قريش على حصار المسلمين وبنى هاشم وبنى المطلب سنتين أو ثلاثا .

فلم يزد ذلك محمدا الا اعتصاما بحبل الله ولم يزد أهله وعشيرته والذين آمنوا الا دفاعا عنه وعن دين الله ولم يحل ذلك دون انتشار الدعوة وخروجها من مكة الى المدينة والقبائل العربية المجاورة بل الى شبه الجزيرة العربية كلها ، على الرغم مما بذلت قريش من جهود جبارة للقضاء على هذه الدعوة من تهديد لزعيمها وأهله وأعمامه ، وتهكم به وبدعوته ، وسخرية وتعذيب لمن اتبعه ، وبعد أن عرضوا عليه الجاه والسلطان والملك وكل ما يطمح اليه غيره من الناس .

ثم شردت أنصاره عن أوطانهم وأصابتهم في أموالهم وأرزاقهم وتجارتهم ، ثم ها هى ذى تحاصرهم لتقتلهم جوعا حتى لا تفقد سيادتها الدينية المتوارثة وتضيع عزتها وأمجادها ، .

وأقاموا عليهم الحراس والعيون حتى لا يتصل بهم أحد ، أو يصلهم طعام من مكة أو خارجها ، فكان الرجل منهم لا يجد زاده فى الأسواق فيعود الى أطفاله خالى اليدين ، فيصرخون من الجوع فيسكن جوعهم وآلامهم ببعض نبات الصحراء وأوراق الشجر ، فيأكلونه على كره منهم ، وكان المار الى جوارهم فى الشعب يسمع صراخ أطفالهم فى النهار أو أنينهم بالليل ، ومع ذلك لم يذلوا لقريش ولم يسألوها الرحمة ، حتى أحس بالذنب جماعة من خيارهم تولدت فى قلوبهم نوازع العطف والشفقة : منهم حكيم بن حزام وهشام بن عمرو العامرى ، وأبو البحترى بن هشام وزهير بن أمية المخزومى والمطعم بن عدى .

فاتفقوا على تمزيق الصحيفة ، وجاهروا بنقض ما فيها ، فأخبرهم العباس بن عبد المطلب أن محمدا قد اطلعه الله ، أن الأرضة قد أكلت الصحيفة وأبقت ما بها من ذكر الله ، فنظروا فكانت الصحيفة كما أخبر ، وأطلعت قريش عليها ، فلم يزدها ذلك الا كفرا وضلالا ، وأمعنت فى الأيذاء حتى بلغت بهم القسوة والقحة ، أن يضع أحدهم قدمه فوق عنق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد فى صلاته ، وأن يلقى عليه آخر فرث جزور وهو يصلى بالحرم .

الدعوة فى مواسم الحج :

كان النبى صلى الله عليه وسلم يغشى المجامع والأسواق كعكاظ ومجنة وذى المجاز يدعو الناس الى عبادة الله وحده لا يشركون به شيئا وكان عمه أبو لهب يتتبعه ليصرف الناس عنه وينفرهم منه .

ولما قرب موسم الحج تشاورت قريش والوليد بن المغيرة فيما تعده من الدعاية ضد محمد ودعوته ، للقادمين الى موسم الحج ، حتى لا يختلف بعضهم على بعض ويكذب بعضهم بعضا ، فاقترح الوليد عليهم أن يقولوا للحجاج من العرب أن محمدا ساحر البيان يفرق بسحره بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته ، فانتشروا يحذرون الحاج أن يصيبهم ما أصاب أهل مكة من محمد ، ثم زعموا أن جبرا النصرانى هو الذى يعلم محمدا أكثر ما يدعو به ، وفى ذلك يرد الله عليهم (لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) .

وكان من أسباب حنق قريش ونقمتهم أنه قدم الى مكة عشرون رجلا من النصارى حين بلغهم خبر دعوته ، فجلسوا اليه وسألوه واستمعوا منه ، فاستجابوا وآمنوا به وصدقوه ، ففاظ ذلك قريشا حتى سبوهم فزادهم سباب قريش ايمانا وتصديقا .

عاد محمد ومن معه من الشعب بعد تمزيق الصحيفة فجعل من جديد يذيع دعوته فى مكة وفى القبائل التى تجىء اليها فى الأشهر الحرم وفى الأسواق ، ومع ماذاع من أمره وكثرة من اتبعوه فانه ظل لا يسلم أصحابه من أذى قريش ـ ولا يستطيع لهم منعا .

عام الحزن :

ولم تمض الشهور على نقض الصحيفة حتى حلت بمحمد مصيبتان كبيرتان اهتزت لهما نفسه هما وحزنا موت عمه أبى طالب ، وزوجته خديجة .

وقبل موت أبى طالب مشى اليه أشراف قريش وقالوا له : (يا أبا طالب أنت منا حيث علمت وحضرك ماترى وتخوفنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادعه فخذله منا ، وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه) .

فقال محمد : (كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم ، قال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات ، قال : تقولون لا اله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه) فرفضوا وانطلقوا ، وتوفى أبو طالب ، ومن بعده ـ توفيت خديجة التى كانت سند محمد بما توليه من حبها وبرها ، ورقة نفسها ، وطهارة قلبها ، ازدادت قريش فى ايذائها لمحمد بعد وفاة عمه وسخريتها منه ، حتى انهم ليلقون التراب على رأسه وهو سائر فى الطريق فيدخل بيته وتغسله عنه ابنته فاطمة وتبكى ، ومع كل هذا لم يزدد الا مضاء بقلبه الى الله ، ويقول : والله ما نالت منى قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب .

خروجه الى الطائف :

خرج الى الطائف وحيدا فريدا لا يعلم أحد بأمره عسى أن يجد قلوبا ترق لسماع دعوته ، وليلتمس من ثقيف النصر فلم يسمعوا له ، بل أغروا به صبيانهم وسفاءهم ، يسبونه ويصيحون

به ليخرجوه من أرضهم ، فجلس الى ظل شجرة خارج بلدهم ورفع رأسه الى السماء ضارعا فى شكاية وألم وقال : (اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، الى من تكلنى ، الى بعيد يتجهمنى أو الى عدو ملكته أمرى ، ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو أن تحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ولاحول ولا قوة الا بك) ولما علمت قريش بذهاب محمد الى ثقيف يستنصر بها كان موقفه يدعو الى الرثاء فقد علم أن قريشا لن تمكنه من دخول مكة وستحول بينه وبين داره وأهله فطلب من المطعم بن عدى أن يجره ، ثم أخذ يعرض نفسه فى المواسم على العرب وعلى قبائل كندة وكلاب وبنى عامر وبنى حنيفة فى منازلهم فلا يجد الا صدودا وردا .

بدء اسلام الأنصار :

أصبح محمد وأتباعه فى عزلة بما أحاطته به قريش من عداوة تجعل كل نصير له عدوا لها فازدادت أعراضا عنه ، ومع اعتزازه بحمزة وعمر ، ومع ثقته بأن قريشا لن تنال منه أكثر مما نالت لمنعته بقومه من بنى هاشم وبنى المطلب ، فان دعوته تقف فى دائرة من اتبعه وهم لقلتهم وضعفهم يمكن أن يهلكوا ، أو يفتنوا عن دينهم اذا لم يأت نصر من الله وفتح قريب وظلت ثقته بالله وبنشر دينه ونصره واعلاء كلمته تدفعه الى التفكير والعمل .

بيعة العقبة :

عقد فى هذا المكان اجتماعان هامان فى تاريخ الاسلام فى موسمين متتاليين من مواسم الحج أولهما كان سنة اثنتى عشرة من البعثة والثانى كان سنة ثلاث عشرة من البعثة وقد فتحا بابا واسعا من الأمل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أغلق أوكاد فبدت له طلائع الفوز ونياشين النصر تلوح من يثرب فى أفقها البعيد ، فلما جاء موسم الحج الثانى حضر من أهل يثرب اثناعشر رجلا التقوا بالنبى صلى الله عليه وسلم سرا وبايعوه بيعة العقبة الأولى .

وفى بيعة العقبة الثانية سنة ثلاث عشرة من البعثة :

حضر كثير من أهل يثرب وكان من بينهم خمسة وسبعون مسلما منهم امرأتان ، فاتصل عليه السلام بزعمائهم سرا ، وواعدهم اللقاء عند العقبة منتصف الليل أيام التشريق ، وكان مع النبى عمه العباس وهو لا يزال على دين قومه ، وكان أول من تكلم فقال : (يامعشر الخزرج ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه وهو فى عز من قومه ، ومنعة فى بلده ، وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم ، فان كنتم ترون أنكم وافون له فيما دعوتموه اليه ، وما نعوه ممن خالفه فانكم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم مسلموه وخاذلوه بعد خروجه اليكم فمن الآن فدعوه) .

قال أهل يثرب :

(سمعنا يا عباس ما قلت ، فتكلم يارسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت) .

فأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن تلا القرآن ، ورغب فى الاسلام (أبايعكم على أن تمنعونى مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) .

وبعد أن مدوا اليه أيديهم وبسط يده وفرغوا من البيعة اختاروا اثنى عشر نقيبا منهم فكانت بيعتهم الثانية عن الأوس والخزرج وقالوا (بايعنا على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا ، وأن نقول الحق أينما كنا ، لا نخاف فى الله لومة لائم .

تلك هى أسباب هجرته صلى الله عليه وسلم ودوافعها التى هيأت له وللمسلمين السابقين رضوان الله عليهم الانتقال الى القاعدة الثانية الكبرى التى شع منها نور الاسلام على شبه الجزيرة العربية ثم انتقل منها الى الآفاق البعيدة التى سعد أهلوها بعقائده الصافية ، وتشريعاته الحكيمة .

الهجرة

لون إيجابى

من مناهج الدعاة

فضيلة الشيخ محمد عبد الواحد أحمد

يدور الفلك دورته وتطوى الأيام لحظاتها وأنفاسها ويهل علينا شهر المحرم بطلعته فياضا بأعظم الذكريات الاسلامية والمواقف الخالدة التى سجلها تاريخ الاسلام على مدى الأزمان عميقة المعنى بالغة الأثر بقدر ماأثرت فى العالم الانسانى والمجتمع الاسلامى وبقدر ماصاحبها من أحداث عظام غيرت تاريخ البشرية على يد أعظم المصلحين وخاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، انها ذكريات خالدة تحفز الهمم وتجدد العزائم وترسم لنا آمالا عريضة وتفتح أمامنا مغاليق الزمن وأبواب المستقبل .

انها مدرسة الجهاد الفذ نتعلم منها العزائم التى لا تلين فتنصهر النفوس فى بوتقة الجهاد والصبر فتنتصر العقائد الخالدة على العقائد البائدة وكيف يرتفع صرح اليقين على أنقاض الكفر المبين وكيف يجود صاحب المبدأ واليقين بالمهج والأرواح فى سبيل الحق الوضاح وكيف نهتدى بالأسوة الحسنة نحو تلك المعانى النبيلة ممثلة فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الأبطال الذين تحملوا مسئولية الدعوة من بعده وواصلوا المسيرة على الطريق دون تعثر أو تحول عن هدفهم الأسمى رغم ما أقيم أمامهم من حواجز وما اعترضهم من صخور وأشواك لأن عقيدتهم خالطت قلوبهم ويقينهم امتزج بوجدانهم فقدموا دنياهم بسخاوة وصدق طلبا لربح غال وكسب عزيز وخلود دائم فى جنات النعيم .

أنهم أبرموا الصفقة وجادوا بالفانى ليفوزوا بالخالد الباقى فربحت تجارتهم ونجحت صفقتهم وضمنوا الفوز بخيرى الدنيا والآخرة .

انهم قرأوا وتدبروا وأيقنوا ان ما عند الله باق وما عندهم الى فناء وزوال وبادرهم الله تعالى بالبشرى والعطاء الخالد الذى لا يزول ولا يفنى فقال لهم مباركا ومبشرا (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .

ان الهجرة لون فريد من الجهاد اذن الله تعالى فيه للأنبياء من قبل عندما استيأسوا وظنوا أنهم فى حاجة الى أرض خصبة تستقبل هذا الغيث بترحيب وتعاطف — وكم رأينا أرضا ندت عن الرى فظلت مجدبة قاحلة يحيط بها الشوك والكلأ ويكتنفها الصخر والحجر فدفعت ما جاءها من ماء الحياة فى صورة المطر الذى يحمل الحركة والبركة والنماء الى أرض أخرى قد تجاورها وقد

تبعد عنها وبمضى زمن قليل أو كثير واذا بالغيث قد تحول الى خضرة مشرقة وظل وارف وثمار دانية القطاف قريبة المنال وكذلك القلوب منهاما يستقبل الموعظة ويهش للكلم الطيب فيستقر كل ذلك فى مكان حريز يضم القلب عليه جوانحه وتحتضنه جوارحه فتستجيب النفوس وتستقيم الأركان ويسلم السبيل فاذا بها على الجادة آمنة فى مسيرتها مستقيمة فى اتجاهها قد لاح لها الهدف واستبان القصد وتحققت الغاية .

نعم لم تكن الهجرة بدعا من الرسول الكريم ولم تكن خروجا على نهج الأنبياء والمرسلين وانما هى امتداد لجهاد الدعاة الهداة الذين اصطفاهم الله لحمل رسالته وابلاغها الى الناس على مدى ثلاثة عشر عاما متواصلة بذل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهده وطاقته ما تلين معه الجبال يدعو الى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة وهو صابر مصابر يتابع مجالسهم ويدير الحوار معهم ويلزمهم الحجة تلو الحجة ويفحمهم بالمنطق الرشيد وبما عرفوه فى كتبهم ومن أحبارهم من صدق هذه الدعوة التى أشرقت على البشرية بالحق والعدل والمساواة واستنقذت الضعفاء من الأقوياء وانصفت الفقراء من الأغنياء وأظلت المجتمع الانسانى بروح التعاطف والرحمة .

ومع وضوح الحق وانبلاج الصبح والزامهم بالحجة التى لا تقبل الجدل ولا يحوم حولها الشك او الارتياب كانوا عتاة فى خصومتهم فجارا فى جفائهم قاطعوه وأهله ومنعوا عنهم حقهم فى الطعام والشراب ، وحاصروهم فى مساكنهم بلا هوادة ولا رحمة ، وهو القوى بدعوته الواثق من نصر الله له ، وهو الأمين على ما حمله الله من شريعة هذا الدين الذى وعد الله بنصره (هو الذى أرسل **رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا) .**

ومن عجب ـ انهم كانوا يعرفون أن دعوة الاسلام هى بشرى الأنبياء من قبل . **(يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)** ومع هذا العلم الذى تواتر عندهم كابروا وجحدوا وجمدوا عقولهم وبصائرهم على القديم الذى تحققوا من فساده وبطلانه ولم يجدوا دفعا لهذه العقيدة التى فيها شرف الانسان ولا دفاعا عن بغيهم وظلمهم سوى أنهم قالوا :(انا وجدنا أباءنا على أمة وانا على أثارهم مقتدون) (الزخرف الآية ٢٣) .

كيف قابل الرسول صلى الله عليه وسلم عناد القوم ؟ :

ولقد قابل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم هذا العناد منهم بالرفق ، وحاول أن يجد منهم آذانا صاغية وقلوبا واعية ولم يطلب من الله تعالى كما طلب اخوانه الأنبياء الذين أوذوا من قبله أن يعاجلهم بالعقوبة والعذاب ولو طلب من الله عز وجل لاستجاب ولو فعل ما تعدى الحق فهو مقابلة السوء ببعضه ولكنه كان الرؤوف الرحيم والتمس لهم الأعذار وهم الموغلون فى العداء والتمس من ربه الهداية لهم واستعطف مولاه فى العفو عنهم واذا به يطلق هذا البيان الخالد ويتجه الى ربه بعزم الضارع وسؤال الخاشع **(اللهم أهد قومى فانهم لا يعلمون) رواه البخارى ومسلم .**

ولكن الزمن يمضى ودعوة الحق تنتشر ونور الاسلام يشرق واسع الخطا عريض الجناحين ويسمع الناس بالدين الجديد وبالداعى الجديد واستمرت الدعوة فى انتشارها حتى أدرك القوم انه لابد من الاسراع بضربة قاضية توقف زحف هذه الدعوة التى شغل بها الناس وكانت حديث مجالسهم ومدارسة جموعهم .

وأجمعوا أمرهم على مبادرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتل واختاروا لذلك أقوى شباب البغى من أهل مكة .

ولكن الله تعـالى أعمى أبصارهم وأظلم بصائرهم بزيفهم عن الحق والهدى فخرج الرسول العظيم آمنا من شرهم متوجها الى قلوب عاهدته على اتباعه وحماية دعوته والدفاع عن هذا الدين الجديد بكل ما يملكون من نفس ونفيس .

ولم تكن مسيرة الهجرة على أرض معبدة أو طريق ممهدة بل صاحبها معاناة نفسية تحير الحليم وتأخذ بلب الرشيد .

ولكن الرسول المختار كان المهاجر المنتصر وكان العزيز المسافر. وكان على قمة الثقة فى الله عز وجل .

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما أن أبابكر الصديق رضى الله عنه **قال : نظرت الى أقدام المشركين ونحن فى الغار وهم على رءوسنا فقلت يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا فقـال : (ما ظنك باثنين . الله ثالثهمـا)** . وأشرق وجه الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم على مشارف المدينة المنورة وتزاحم أهلها يفتحون قلوبهم لمن اسعدهم بالقدوم واستجاب لدعوتهم وودوا لو وضع كل منهم نفسه وما ملكت بين يدى رسول الله عليه الصلوات وأفضـل التسليم وودوا لو أصبحت بيوتهم بيتا واحـدا مفتح الأبواب ليسعد كل بيت ببركات رسول الله.

وابتدأ النبى صلى الله عليه وسلم فى ارساء قواعد دولة الاسلام التى لم تشأ مكة أن تحرص على اقامة قواعدها الأولى بين جدرانها وهى التى شهدت فجرها مولدا ورسالة ولكنه فضل الله يؤتيه من يشـاء .

ان الهجـرة أوجبت على المسلمين مهمة انشاء دولة لم يسبق لها مثيل فهى بداية للجهاد الشاق والمواجهة الصريحة مع أعداء هذه الدعوة تبعتهـا حروب وغزوات وصاحبها قتـال ونزال وواكبها دماء أريقت ونفوس بذلت وأرواح طارت الى ربها فرحة راضية .

كانت هذه الدماء دماء شهداء بدر وأحـد وحنين عطرت الأرض وروت ثراها بأطيب رى وأكرم سقاء وكانت هذه النفوس والأرواح ، أرواح عمار وحمزة ومن سار على دربهم من ملوك الجنة الأبرار .

انها ذكرى يعيشها المسلمون وقدوة يقتدى بها المؤمنون وتذكرة لمن ألقى السمع وهو شهيد .

فكم من التاريخ قرأنا ثم زال التاريخ ولفه الزمن ونسيه الناس ولكن الهجـرة نداء يهتف بالغافلين ويذكر اللاهين ويشد من أرز اليائسين وينادى على المجاهدين **(ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم)** فالحق باق منتصر والباطل زاهق منهزم والعقيدة اذا خالطت قلوب المؤمنين سرت أنوارها فى الجـوارح فلا تقبل الضيم ولا ترضى بالذل فهم أعـزاء بدينهم أقوياء بربهم ولابد دون الشهد من أبر النحل ومن خطب الحسناء لم يغلها المهر والحسناء قريبة لمن أعد لها زادها والمهر صدق فى النية وبذل للطاقة واستعانة بالله والحسناء جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

وسلام عليك يا امام المجـاهدين يا أشرف الأنبياء والمرسلين ، ورحمة الله ورضوانه على أصحابك الميامين .. والحمد لله رب العالمين ..

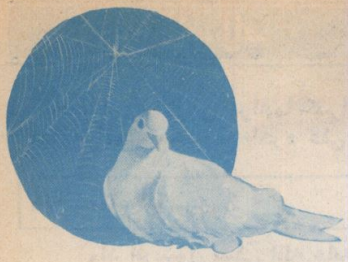

في

رحـــاب الهجرة

الأستاذ أحمد حلمى عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فالهجرة سبيل الانبياء من قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، يرتادون فيها الأرض الخصبة التى تحتضن الدعوة ، ويبحثون أثناءها عن البذور الطيبة الصالحة للاخصاب .

فابراهيم عليه السلام أبو الانبيـــاء يدعو قومه الى التوحيد الخالص والعقيدة الصحيحة ، فيتآمرون عليه ويكيدون له ، ويتعصبون ضـــد دعوته ، فيترك بلده الذى ضاق به ، ويودع أهله الذين تآمروا عليه ويفر من كوثى فى سواد الكوفة الى حران ثم الى الشام ، والقرآن الكريم يقص علينا ذلك فيقول : (فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين ، وقال انى ذاهب الى ربى)(١)

ولوط عليه السلام ، لمـــا رأى أن النار لم تحرق عمه ابراهيم عليه السلام ، وأنه خرج منها كأنه لم يدخلها آمن لابراهيم عليه السلام ، وصدقه فيما جاء به ، وخرج معه مهاجرا ، فآمن له لوط وقال : (انى مهاجر الى ربى ، أنه هو العزيز الحكيم)(٢) .

وموسى يتآمر عليه فرعون . ويضايقه فى دينه ، فيأمره الله تعالى أن يترك هذا البلد الذى لم يستطع فيه تبليغ دعوته ، وأن يهاجر بقومه الى حيث يمكنه عبادة ربه وأداء رسالته ، قال الله تعالى : ((فأسر بعبادى ليلا انكم متبعون ، واترك البحر رهوا ، انهم جند مغرقون))(٣) . صدق الله العظيم .

لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من هاجر من الرسل ، بل سبقه بالهجرة رسل كرام على الله ، خرجوا بدينهم امتثالا لأمر الله عز وجل ، فسنوا بذلك الهجرة لمن أتى بعدهم من النبيين والمصلحين حتى لا يعتذر معتذر ببغى الباغين واضطهاد الظالمين ، ولقد ثبت بالتجربة أن الهجرة من أنجح الوسائل لنشر الدعوة ، وأن الدعاة الى الله متى ما هاجروا بدينهم مخلصين لله هجرتهم ، لا يبغون من ورائها الا ارضاء الله تبارك وتعالى يجرى الله على أيديهم ، فتنفتح لهم القـــلوب ، ويجتمع عليهم النـــاس ، فيؤازرون دعوتهم وينشرون عقيدتهم . ويوسع الله لهم فى أرزاقهم ويسبغ عليهم نعمته ، قال تعالى : (بسم الله الرحمن الرحيم . ومن يهاجر فى سبيل

---

(١) الصافات : ٩٨ — ٩٩
(٢) العنكبوت : ٢٦
(٣) سورة الدخان : ٢٣ ، ٢٤

الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ، ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ، ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وكان الله غفورا رحيما)(١) صدق الله العظيم .

مكة — أم القــرى :

ولد الرسول صلى الله عليه وسلم فى مكة، وقضى شبابه فى ربوعها ، وتزوج سيدة نسائها ، وكان فيها محبوبا. كل أهلها يقدره ويجله، ويرون فيه جميعا انموذجا للشباب الطموح ، حيث كان يترفع عن التافة من الأمور .

كانت ولا زالت مكة تتميز عن قرى الجزيرة كلها بقدسية لم تطمع فيها قرى تفوقها جمالا ، وتمتاز بنسيمها العليل .

فقد اختارها الله تبارك وتعالى ، لتكون محل بيته العتيق ، وجعلها حرما آمنا ليس للانسان فقط ، ولكن الانسان والحيوان والطير والنبات . فى كنفها يأنس المستوحش ، وبين جنبيها يجــد الحائر السكينة .

عرف العرب لأم القرى تلك المكانة فقدسوها وادركوا انها لا يبغى فيها ظالم الا قصمه الله ، عاش اهلها فى ظل بيت الله آمنين فى وقت كان الناس يتخطفون من حولهم . وقد ذكرهم الله عز وجل بتلك النعمة ، فقال عز من قائل : (او لم يروا انا جعلنا حرما آمنا ، ويتخطف الناس من حولهم ، افبالباطل يؤمنــون ، وبنعمــة الله يكفرون)(٢) صدق الله العظيم .

وكانت مكة فى الجاهلية لا يقر فيها ظلم ولا بغى ، ولا يبغى فيها احد الا اخرجه الله منها ، ولا يريدها ملك يستحل حرمتها الا هلك مكانه ، فيقال ما سميت بكة الا لأنها تبك اعناق الجبابرة اذا أحدثوا فيها(٣) .

وبلغ من احترام العــرب لمكة انهم كانوا لا يبنون بها بيتا الى جوار بيت الله ، وانهم كانوا لا يبيتون فيها ولا يستحلون الجنابة بها تعظيما لشأنها (٤) .

وظل هذا البلد الأمين يتمتع بتلك القدسية ، لا يستحله الا فاجر ، وكان العرب احيانا يستحلون الشهر الحرام ، ولكنهم لا يستحلون مكة، وقد وجد بعضهم مخرجا من حرمة الأشهر الحرام بالنسىء ، فكانوا يقدمون ويؤخرون ليوطئوا عدة ما حرم الله .

وقد رأينــا فى حــرب الفجار أن هوازن قاتلت قريشا قتالا شديدا حتى اذا دخلت قريش الحرم امسكت هوازن عنهم(٥) ، وانذرتهم الحرب بعكاظ من العام المقبل(٦) .

ولم يرو لنا التاريخ أن أحدا انتهك حرمة البيت وافلت من الهلاك فى الدنيا قبل الآخرة ، ولعل أبرهة كان أول المعتدين عليه بعد جرهم ، وتهيأ لدخول مكة ، وعبأ جيشه ، ولكن الله كان له بالمرصاد ، سلط عليه من صده واهلــكه ، قال عز وجل : (وارسل عليهم طيرا ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل ، فجعلهم كعصف ماكول)(٧) .

وزادت تلك الحادثة من مكانة مكة فى نفوس العرب اذ ثبت لهم بما ليس فيه ريب حفظ الله لبيته واهلاكه من ارادوه بسوء .

---

(١) سورة النساء : ١٠٠
(٢) سورة العنكبوت : ٦٧
(٣) مختصر سيرة الرسول لابن هشام ١ : ١٠٥
(٤) العصامى — ١ : ١٦٢/١٦١
(٥) ابن هشام — ١ / ١٧٠
(٦) هيكل — ١١٧
(٧) سورة الفيل : ٣ ، ٤ ، ٥

ذكريـــات :

عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مكة ذلك البلد الأمين قضى فيه طفولته وصباه ، وشبابه وكهولته ، وشطرا كبيرا من شيخوخته ،وله فيه ذكريات عزيزة ، هذه المروج التى كان يخرج اليهـا يرعى فيها الغنم ، وذكرى زواجه بالسيدة خديجة رضى الله عنها وما قضاه معها من أيام طويلة وجميلة لا تزال ماثلة أمام عينيه ،يرى فيهـا سعادته بزوجـه الرءوم ، واولاده الصغار الأبرياء .

وانه صلى الله عليه وسـلم ليذكر يوم اشتراكه فى بناء الكعبة المشرفة ، ويوم رضيه المتخاصمون حكما ينهى بقضائه ما نشب بينهم من نزاع ، وتسميتهم له بالصادق الأمين ، فترتاح نفسه ، ويطمئن قلبه ، ولكن ما بالهم الآن يتآمرون عليه ، أو ليس هو هو ؟ ما الذى حـدث حتى يحاولوا قتله ؟ وماذا جرى حتى يتربصوا به ؟.

وتدور براسه صلـى الله عليه وسلم كلمة ورقة بن نوفل : (ليتنى أكون حيا اذ يخرجك قومك) ويتذكر سؤاله له : (أو مخرجى هم ؟)ويجيب ورقة اجابة الواثق المتأكد : (نعم . لم يات رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى . وان يدركنى يومك انصرك نصرا مؤزرا) .

انه صلى الله عليه وسلم جاء قومه بالحق ،ولكنهم يكرهون الحق الذى جاء به ، وانه ليدلهم على طريق الخلاص ، ولكنهم يتمنون أن يمطروا بحجارة من السماء ولا تكون نجاتهم على يديه ، لقد أعماهم الحقد ، وغشى أبصارهم الحسد .ولم يعد يدور بخلدهم الا التفكير فى التخلص من محمد وما جاء به صلى الله عليه وسلم .

المؤامرة :

ضاق القوم ذرعا بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ووجـدوا أنفسهم قد فشـلوا فى كل محاولاتهم ، فشلت وسائل التعذيب والارهاب ،كما فشلت أساليب الخـداع والاغراء ، رأى المشركون بأعينهم انتشار الاسلام فى كل مكان وعلموا بما تم بين الرسول صلى الله عليه وسلم وأهل المدينة من البيعة على النصرة والايمان ،فأزعجتهم تلك الاخبار ، وحز فى نفوسهم أن يتغلب محمد صلى الله عليه وسلم عليهم بعد هذا العناد الطويل .

تواعد القوم أن يلتقوا فى دار الندوة(١) ،وأن يطرحوا هذا الموضوع الذى شغل بالهم على بساط البحث ، وعزموا على أن يتخذوا فيه قرارا حاسما مهما كلفهم ذلك .

لقد ماتت خديجة (رضى الله عنها) التى كانت تقف دونه بمنزلتها ومن يؤازرها من عشيرتها، ومات عمه أبو طالب الذى كان يفديه ويدافع عنه،لم يكن هناك ما يحول بينهم وبين الايقاع به فلماذا يترددون ؟ .

بدأت الجلسة بحماس لم تعرفه دار الندوة من قبل ، ان المسألة فى نظرهم مسألة كرامة لقد سفه محمد صلى الله عليه وسلم عقولهم ، وعاب آلهتهم ، وعرض بآبائهم فماذا بقى لهم .

قال أحدهم فى انفعال شـديد : ارى أن تحبسوا محمدا فى الحديد ، وتغلقوا عليه بابا ، ثم تتربصوا به ما أصاب الشعراء من أشباهه .

ورفض الاقتراح لأنهم يعتقدون أن اصحاب محمد لا تعجزهم فرصة فى اطلاق سراحه .

وقال آخر : خير لكم أن تنفوه من بلادكم ،فاذا خرج عنا فلن نبالى اين ذهب ولا حيث وقع وحينئذ تعود الينا الفتنا كما كانت .

ولم يكن هذا الاقتراح خيرا من سالفه فقد رفض لأول وهلة ، لأنه لو خرج من بينهم يكون

---

(١) موضع كانت قريش فى جاهليتها تجتمع فيه للمشاورة والتداول فى شئونها المنجد ط ٢٢ ص ٢٧٨

خطره عليهم أشد ، وتهديده لعقيدتهم أقوى ،حيث يستطيع أن يجمع من الاتباع ما يمكنه بهم أن يجتاح عليهم ديارهم .

عندئذ قام أبو جهل وقال أن لى رأيا ما أراكم وقعتم عليه ، وقال الحاضرون فى لهفة : هاته يا أبا الحكم ، قال أبو جهل : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطى كل واحد منهم سيفا صارما . ثم يعمدوا اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه ، فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فيرضوا منا بالعقل فنعقله(١) .

وفرح القوم برأى أبى جهل ، وايدوه من غير مناقشة،وهم لم يجتمعوا الا ليتخلصوا من محمد. ان اقتراح أبى جهل هذا قد كشف عن قبح الاقتراحين السابقين وسخفهما بقدر ما كشف عن حمق صاحبيهما ، لا شك أن حبس محمد فى الحديد سيثير عاطفة بنى هاشم أن لم يحرك عاطفة كثير من الناس الذين يرونه مكبلا بالحديد من غير جرم ولا جريرة ، كما أن نفيه من البلاد سلاح رهيب يستطيع صلى الله عليه وسلم أن يستغله ضدهم ، فيؤلب عليهم القبائل وهم جميعا على أتم استعداد ليستمعوا اليه لولا أن قريشا تحول بينهم وبين ذلك .

لهذا رأى الجميع فى رأى أبى جهل الفرصة التى ينشدونها ، فيجب الا يضيعوها ، وغادروا دار الندوة ، وقد أجمعوا أمرهم على تنفيذ اقتراح أبى جهل .

الأمر بالهجـرة :

أوحى الله الى نبيه ما بيت القوم له ،وأمره بالهجرة ، وكان الطريق قد تمهد من قبل ببيعة الانصـار وهجـرة المسلمين الى المدينة المنورة ، وقد وجدوا فيها وطنا بدلا من وطنهم ، ولقوا فيها أهلا خيرا من أهلهم ، وعاشوا فيها آمنين على أرواحهم وايمانهم .

اجتمع شباب قريش وفتيانها فى الليلة التى حددوها لتنفيذ المؤامرة ، واحدقوا ببيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والسيوف فى أيديهم تخطف الأبصار ببريقها ، يترقبون خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لينهشوه بتلك السيوف.

وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرج من بين هذه الجموع المحتشدة ، وكان عليه كذلك أن يضللهم حتى لا يفطنوا لخـروجه فيتبعوه ، ويفسدوا عليه خطته ، عندئذ أمر عليا رضى الله عنه ، أن ينام فى مكانه ، وأن يتغطى بالبرد الحضرمى الاخضر ، فامتثل على لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونام فى مكانه مضحيا بنفسه يفدى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وضرب على بذلك أروع أمثلة التضحية والفداء .

نام على على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونظر المشركون من خصاصة الباب فاطمأنوا على سلامة خطتهم ، وظلوا يتحينون فرصة خروجه ليضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل .

وهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج من بيته ، كانت لحظة خطيرة فالمشركون على باب الرسول صلى الله عليه وسلم وسيوفهم مشرعة فى أيديهم كأنها الحباب تتلمظ لتنهش فريستها .

وحانت لحظة الوداع ، فودع الرسول صلى الله عليه وسلم عليا ، وطمأنه قائلا : لن يخلص اليك شىء تكرهه منهم(٢) وأوصاه أن يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس(٣) .

---

(١) ابن هشام (٢/٩٠ — ٩١) والعقل ، الدية .
(٢) ابن هشام ٢ : ٩١
(٣) ابن هشام ٢ : ٩٣

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وكله ثقة فى الله عز وجل ، وفتح باب بيته ليجد فتيان قريش يغطون فى نوم عميق ، وكأنهم لم يناموا منذ زمن بعيد ، وقد حضر معهم سادة قريش : أبو جهل والحكم بن أبى العاص ، وعقبة بن أبى معيط ، والنضر بن الحارث ، وأمية بن خلف ، وربيعة بن الأسود ، وطعيمة بن عدى ، وأبو لهب ، وأبى بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج)(١) .

لقد أخذ الله أبصارهم ، وضرب على قلوبهم حتى خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يروه ، انها احدى المعجزات ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من تراب فجعلها على رءوسهم ، وهو يتلو قوله تعالى : (يس . والقرآن الحكيم ، انك لمن المرسلين) الى قوله تعالى : (فأغشيناهم فهم لا يبصرون)(٢) فلم يبق أحد منهم الا قد وضع على رأسه ترابا(٣) .

ويمر بالقوم رجل فينبههم ، فاذا التراب على رؤوسهم ، والخزى يجلل وجوههم ، وينظرون من خلال الباب ، فيرون النائم وعليه البرد الحضرمى الأخضر ، فيقولون : هذا محمد نائم على فراشه ، وظلوا فى حصارهم ينتظرونه ، حتى أصبحوا ، فقام على رضى الله عنه ، عن الفراش ، فقالوا : قد صدقنا والله من حدثنا(٤) . وخاب أمل القوم ، وضل سعيهم ، وانهم مهما دبروا فالله من ورائهم ولكن : (ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)(٥) .

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم من بيته على النحو الذى ذكرت متوجها الى بيت أبى بكر ، وكان قد أخبره بالهجرة وبالموعد الذى سيغادران فيه مكة ، وأمره أن يكتم عليه ، ومن أوفى من أبى بكر بعهد قطعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى بيت أبى بكر وضع الرسول صلى الله عليه وسلم خطة كاملة للهجرة ، لأنه صلى الله عليه وسلم يعلم أن اتخاذ الأسباب أمر يقتضيه كمال الايمان وحسن التوكل ، وعلى هذا الأساس وضع برنامج الهجرة .

سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه طريقا غير مألوفة حتى لا يعترضه أحد من أعدائه فاستأجر لذلك الدليل ، عبد الله بن أريقط ، وكان ماهرا يعرف الطريق معرفة جيدة ، وكان عبد الله مشركا ، ومع ذلك ائتمناه على هذا السر الخطير ، ووفى الرجل بعهده فلم يخن ولم يغدر .

رصدت قريش مائة ناقة لمن يأتى بمحمد حيا أو ميتا(٦) ، وأبت نفس ابن اريقط أن يربح هذه الجائزة على حساب رجل ائتمنه ، ورضى بأجره المتفق عليه .

وكان لابد أن يختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة عن أعين الناس حتى يهدأ الطلب وتفتر الهمم اقتفاء أثره ، فيتمكن من السير وهو آمن .

فأدلج الى غار ثور ، وأقام فيه ثلاثة أيام ، ولم ينس رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدبر أمر الطعام والشراب والاخبار فى تلك الفترة التى سيقضيها فى الغار . فجعل اسماء بنت أبى بكر — رضى الله عنها — لاعداد الطعام والشراب تأتيهما ليلا حتى لا يراها أحد(٧) .

وجعل على اخبار القوم عبد الله بن أبى بكر — رضى الله عنه — كان يسمع ما يدور فى مجالس القوم نهارا ويعيه ، فاذا جن الليل أتاهما بأخبار الناس وأعلمهما بما يتكلمون به ، وعلى أساس هذه الأخبار يخطط للبقاء فى الغار أو لمغادرته .

---

(١) مختصر السيرة : ١٦٥
(٢) سورة يس : ١ : ٩
(٣) ابن هشام : ٢ : ٩١
(٤) ابن هشام : ٢ : ٩٢
(٥) سورة المطففين : ١٤
(٦) مختصر السيرة : ١٦٩
(٧) ابن هشام : ٢/٩٣

وكان صلى الله عليه وسلم يخشى أن يرى أحد من المشركين آثار أقدام عبد الله بن أبى بكر واخته أسماء فيستدل بها على مكانهما ، فأمر عامر بن فهيرة مولى أبى بكر أن يسرح بالغنم مبكرا على آثارهما فيعفى عليها ، ويزيل ما قد يكون سيبقى معرفة مكانهما ، كما كان يريح الغنم عليهما ليلا ، فيذبحان منها ويحلبان ويشربان .

ومع كل هذه الاحتياطات وصل القوم الى الغار ، ورأى سيدنا أبو بكر — رضى الله عنه — اقدامهم ، فقال : يا رسول الله : لو أن أحدهم نظر تحت قدميه أبصرنا ، والرسول صلى الله عليه وسلم يهدىء من روع أبى بكر ويقول :((يا أبا بكر . ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ لا تحزن ان الله معنا))(١) .

وتولى الله صرف المشركين عن الغار . اما كيف ؟ وبماذا ؟ فهذا لم يخطر لأحد على بال ، أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار ، وارسل حمامتين فباضتا عليه .

وبهذا الأمر الكريم نسجت العناكب فوق ما يتصوره عقل الانسان ، وباضت الحمائم على وجه الغار ، وهكذا صرف الله عن نبيه اعداءه بأوهى الأسباب وأضعف المخلوقات (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب) صدق الله العظيم .

الى المدينة :

مضت على الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه الأيام الثلاثة وهما فى الغار ، ويئس المشركون ، واطمأن الدليل براحلتيهما ، وغادر رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار مع صاحبه فى رعاية الله وحفظه .

وسلك الدليل بهما طريقا لا يعرفها كثير من أهل مكة امعانا فى تضليل المشركين وضمانا لسلامة المهاجرين ، وكان السائرون فى هذا الدرب أربعة : رسول الله صلى الله عيه وسلم وأبو بكر وعامر بن فهيرة — مولى أبى بكر — صحبهما ليقوم بخدمتهما ، ثم عبد الله بن أريقط دليلهما .

ورغم امعان الدليل فى التضليل ، ورغم الجهد المبذول فى التخفى الا ان سراقة بن مالك ادرك المهاجرين ، وخاف أبو بكر مرة أخرى وقال : هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله ، وأجاب الرسول صلى الله عليه وسلم بكل ثقة واطمئنان :((لا تحزن ان الله معنا)) .

وفرح سراقة عندما رأى الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، وهمز سراقة فرسه ليدرك الركب ، وجد فى السير ، وأجهد فرسه ، ولكن حيل بينه وبين ما يشتهى ، فكيف حصل هذا ؟ ولنترك سراقة يحدثنا بما حصل له ، قال سراقة :(فلما بدا لى القوم ورأيتهم عثر بى فرسى فذهبت يداه فى الأرض وسقطت عنه ثم انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالاعصار ، قال : فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع منى ، وأنه ظاهر)(٢) .

ان سراقة رجل قد أراد الله به الخير فهداه الى الحق ، وادرك أنه ما دام لم يستطع الوصول اليه وهو أمامه فلابد أن يكون له شأن ، وادرك سراقة سر هذه الحيلولة فآمن بالله ورسوله واخذ على نفسه أن يرد عن الركب كل ما يطلبه .

وقف سراقة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعرض عليه الزاد والمتاع ، واخبره بما يريد به الأعداء ، فلم يقبل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم زادا ولا متاعا وأمره أن يخفى ولا يخبر أحدا به(٣) .

والتفت الرسول صلى الله عليه وسلم الى سراقة وقال : ((كيف بك اذا لبست سوارى كسرى))(٤) (انها كلمة لا يقولها فى مثل هذا الموقف الا رجل عظيم تام الثقة بالله عز وجل فى نصره المبين) .

---

(١) مختصر السيرة : ١٦٨
(٢) ابن هشام : ٩٦ — ٩٧
(٣) صحيح البخارى .
(٤) الاصابة : ٢/ ٠٩

ويعود سراقة بهذه البشارة الطيبة وبكتاب امان كتبه له ابو بكر بأمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويعود فوق ذلك بايمان ملأ قلبه ، فكان ذلك عنده خيرا من الف ناقة .

ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أم معبد وهى امرأة من خزاعة كانت تجلس فى خيمتها تطعم وتسقى من يمر بها ، فسألاها عن شىء يشترونه ، فاجابت : لو كان عندى ما أعوزكم القرى .

وراى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جانب الخيمة شاة فقال : « ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ » فقالت : هى شاة خلفها الجهد عن الغنم .

فاستأذن منها ، وحلبها ، فتفاجت فدرت ، وملأ الرسول صلى الله عليه وسلم منها اناء يكفى الرهط فسقاها ثم سقى اصحابه ، ثم شرب آخرهم ، ثم حلب فى الاناء مرة اخرى حتى ملأه وتركه عندها وغادرها .

وهكذا يضرب الرسول صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى فى حب الخير للناس لقد كان يستطيع ان يرحل عن أم معبد دون ان يحلب لها ويكفى انه سقاها وسقى اصحابه ، ولكنه صلى الله عليه وسلم كان حريصا على ان يصل الخير الى الناس جميعا ولعلها لا تجد ما تطعم منه زوجها اذا حضر فتجد عندها ما تستعين به على ذلك .

وفى الطريق لقى الركب الزبير بن العوام(١) — رضى الله عنه — قادما من الشام فى تجارة له ، ومعه بعض المسلمين ، فكسا الرسول صلى الله عليه وسلم وابا بكر ثيابا بيضاء مما جلبه من الشام .

وسار الركب المبارك ميمما شطر المدينة ، وعلم الانصار بمقدمه فخرجوا لاستقباله وقد لبسوا سلاحهم ، وتلقوه بظهر الحرة المعروفة بحرة الوبرة — الحرة الغربية — فمال بهم صلى الله عليه وسلم ذات اليمين متجها الى قباء حتى نزل فى بنى عمرو بن عوف ، وكان ذلك يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول ، فأقام بها خمسة أيام دعا فيها الى الله تعالى وتلا القرآن وعلم المؤمنين دين الله تعالى وصلى بالناس .

أول مسجد فى الاسلام :

وبنى مسجد قباء فكان أول مسجد بنى فى الاسلام ، وترك منازل بنى عمرو بن عوف قاصدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فصلاها فى حى بنى سالم بن عوف بالمسجد الذى يعرف الآن بمسجد الجمعة بواد يقال له (رانوناء) فكانت أول جمعة تصلى فى دار الهجرة ، وعرضت له رجالات أحياء الأوس والخزرج كل يطلب النزول اليه ويقول : أقم عندنا فى العدد والعدة والمنعة والرسول صلى الله عليه وسلم يأبى عليهم ذلك ، وكلما اعترضوا ناقته لينيخوها بأحيائهم ، يقول لهم : « دعوها فانها مأمورة » حتى وصل الى حى بنى النجار من أخواله(٢) فبركت الناقة والقت بجرانها(٣) فى المكان الذى بنى فيه المسجد النبوى الشريف على مقربة من دار أبى أيوب خالد بن زيد الأنصارى — رضى الله عنه — والذى نزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفا ، وبقى بمنزله حتى بنيت الحجرات الشريفة ، فسكنها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة بناء مسجده الشريف ، والذى شارك فى حمل حجارته وهو يرتجز يقول : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة .. فاغفر للأنصار والمهاجرة » وتم بناء المسجد والحجرات خلال تلك السنة وأول خطبة خطبها رسول الله صلى الله

---

(١) الزبير بن العوام هو حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج أسماء بنت أبى بكر (ذات النطاقين) .
(٢) لأن أم عبد المطلب والد عبد الله أبى الرسول صلى الله عليه وسلم أمه سلمى بنت عمرو من بنى عدى بن النجار .
(٣) الجران ، ما يصيب الأرض من صدر البعير وبطنه .

عليه وسلم بالمدينة تلك التى رويت عن ابى سلمةبن عبد الرحمن ونصها : أنه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو اهله ، ثم قال : أما بعد ..أيها الناس فقدموا لأنفسكم،تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ، ثم ليقولنله ربه ، وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه : ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وآتيتك مالاوأفضلت عليك فما قدمت لنفسك ؟ فلينظرن يمينا وشمالا ثم لينظـــرن قدامه فلا يرى غير جهنم ،فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجـــد فبكلمة طيبـــة فانبها تجزى الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

وخطب مرة أخرى فبدأ خطبته الشريفة بحمدالله والاستعاذة بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له . ومن يضللفلا هادى له وختم الخطبة صلى الله عليه وسلم بكلمة : تحابوا بروح الله بينكم ان الله يغضبأن ينكث عهده ، والســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

لقد صدقت أم المؤمنين عائشـــة الصديقة ــ رضى الله عنها ــ وقد سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : كان خلقهالقرآن وصفه ربه بكمال الخلق فقال الله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون . ما انت بنعمة ربكبمجنون . وأن لك لأجرا غير ممنون ، وانك لعلى خلق عظيم)(١) .

ووصفه بكامل الرافة وعظيم الرحمة بما لميصف به غيره فقال تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفســـكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليـــكمبالمؤمنين رءوف رحيم)(٢) .

هذا هو سر الكمال المحمدى الذى به أصبحأفضل الخلق اجمعين صلى الله عليه وسلم .

فمن هو محمد بن عبد الله رســـول اللهصلى الله عليه وسلم ؟

انه عليه الصلاة والسلام محمد بن عبد اللهبن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بنفهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بنعدنان من ولد أسماعيل بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

روى مسلم عن أنس رضى الله عنه فىشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم انه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهراللون كأنعرفه اللؤلؤ.اذا مشى تكفأ،ولا مسست ديباجة ولا حريرة الين من كفرسول اللهصلىالله عليه وسلم ، ولا شـــممت مسكا ولا عنبرا أطيب من رائحة رســـول الله صلى الله عليه وسلم .

عرضت هنا قصة الهجـــرة بالقدر الذىاستنبط منه العبرة واستخلص منه الدرس الذى يحتاجه المسلم فى طريقه الطويل الشاق الى غايتهالسامية الغالية ، والى لقاء لنعيش بعض اللحظات القدسية فى رحاب مولد رسول الله صلى اللهعليه وسلم وكل عام وأنتم بخير .. والســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

---

(١) سورة القلم : ١ ــ ٤
(٢) سورة التوبة : ١٢٨

فلسفة

الهجرة

فضيلة الشيخ عبد الغفار الدلاش

اعتاد المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها فى مستهل العام الهجرى — خطباء وكتابا وشعراء — وعلى مستوى أجهزة الاعلام عموما — أن يتناولوا حديث الهجرة سردا وتحليلا ، وأن يستلهموه العظة والعبرة ، ويستمدوا منه الحافز والباعث والطاقة المتجددة لمداومة النضال والكفاح والكدح على طريق الجهاد المتواصل بتوعية الأكبر والأصغر ، على حد سواء ، مع أنهم يعلمون أن كلا من مولد النبى صلى الله عليه وسلم وهجرته وقبضه ، كان فى شهر ربيع الأول ، ولم يكن فى المحرم .... ذلك أن الفاروق — عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما أرخ بالهجرة الشريفة ، قصد عام الهجرة كبدء للتاريخ الاسلامى ، ولم يقصد شهر الهجرة كبداية أو ظرف لهذا الحدث الفذ ، الذى مازال وسيظل الى أن يرث الله الأرض ومن عليها ينبوع وحى والهام ، ومصدر اشعاع وهدى .

حقا ... انه حدث يتيم يتم صاحبه ، فى قيمته وأثره ، وحقيقته وثمرته ، وهدفه وغايته ، وباعثه ومغزاه ، وعمقه ومرماه ، وسيظل كذلك لؤلؤة الدهر ، وريحانة الفكر ، ومنارة الأجيال ، ومدرسة الأبطال ، وميزان البذل والعطاء والتضحيات ، وصدق نبى الاسلام صلوات الله وسلامه عليه : « أنما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

(رواه مسلم عن عمر بن الخطاب)

لتكون قيمة الانسان بجوهره ومعدنه وأثره ، بانسانيته الشفيفة وروحه الطيب — بما يحسنه ويحققه من صلاح واصلاح ، ببذله وتضحياته فى سبيل الوحدة والتوحيد تحت شعار الحق والصدق والعزة (لا اله الا الله) ولتنعم البشرية وتستقر بعد طول التخبط والحيرة ، ولتستظل بظلال السلام والأمان ، بعد معاناة أهوال الفرقة والعداوة والتدابر والظلم ، ولتفىء الى الحق والانصاف والعدل ، بعد الجهالة والضلال — والحيف والغدر ، والعدوان والبطش ، ولتكون المحبة والاخلاص والأخوة ، والتعاون المخلص الوثيق ، فى ميادين وحقول البر والخير ، وفى سبيل اعلاء كلمة الله ، وتطبيق منهاجه ، وممارسة الطيب من القول والفعل ، فى حياة عزيزة قوية ، وكيان حى حساس لأمة مؤمنة بالله رب العالمين ، تتذوق حلاوة الايمان فى الرضى بالله ربا وبالاسلام دينا ، ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة

أن المصطفى صلوات الله وسلامه عليه قضى من بعثته الشريفة ، ثلاثة عشر عاما فى مكة داعيا الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ،يغرس غراس التوحيد فى النفوس والأرواح ، ويحرر الناس من عبودية الذات واستعبادالطواغيت ، ويخرجهم من الظلمات الى النور ، ومن الجهالة الى الحلم والعلم ومكارم الأخلاق ،ومن الولاء الى الأصنام والأوثان والخرافات ، الى الولاء لله الواحد القهار ، الذى خلق فابدع،وصور فأحسن ، واستخلف فكرم ، وأرسل فارشد وعلم ، وهدى الى صراط مستقيم ...ومن ضيق الدنيا الى سعة الآخرة ، ومن بطش العتاة والطغاة الى رحمة الرحمن الرحيم ، وجنات النعيم .

لتتجرد النفس البشرية من أدرانها ورذائلها واستعلائها وتعود الى فطرتها السوية صافية نقية ، تنشد الحق والخير ، وتنأى عن السوءوالشر .

الخير أبقى وان طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وليكون الميزان بين الناس ، لا على أساس الألوان والأجناس ، أو المظهر أو الجاه أو السلطان ، بل بما يحسنه الانسان وما يعتقده من هدى ويقين .

أقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

وصدق الله العظيم :

« ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » (الحجرات / ١٣)

وصدق نبيه الكريم :

« ان الله لا ينظر الى أحسابكم ولاالى أنسابكم، ولا الى أجسامكم ولا الى أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه ، وانما أنتم بنو آدم ، وأحبكم اليه أتقاكم » (عن أبى مالك الأشعرى/القرطبى ص ٦١٦٢) .

ومن هنا ... تم أعظم اصلاح فى التاريخ ،بعد أن استشرى الفساد وعم الظلم أرجاء العالم أجمع ، فلا عجب ولا غرابة أن يمر قوم على أبى ذر ، رضى الله عنه ، فاذا به عليه حلة ، وعلى غلامه مثلها ، فلما جلسوا للطعام نادى أبو ذر غلامه ، فأجلسه معه للطعام ، فعجبوا من معاملة أبى ذر لغلامه .

فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليلبسه ممايلبس ، وليطعمه مما يطعم (متفق عليه) .

يحدث هذا فى مجتمع كان فيه السيد والمسود، ودار لا يدخلها الا من كان ذو سن ومكانة ورأى، كل ذلك فى أقل من ربع قرن من الزمن .. !

وان أضواء التاريخ لم تسلط من قبل ، ولن تسلط من بعد ، كما سلطت على الهادى الأمين، ترصد حركاته وسكناته ، وتكاد تحصى أنفاسه عدا ، فان قوى الشر العديدة تكتلت وتحزبت لتخوض معركتها مدافعة عن وجودها وكيانها بكل اسلحة اللؤم والخسة ، وبكل ضراوة ووحشية. وما شهد التاريخ ولن يشهد انسانا تحمل وصبر ،كما تحمل المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فى نفسه وفى اهله وفى أتباعه ، لم يرفع سيفا ولم يشن حربا ، ولم يأمر بقتال ، مع أنه كان يرى أتباعه يعذبون الى درجة الاستشهاد ، فلم يزد أن يقول : « صبرا آل ياسر ، فموعدكم الجنة »

« وها هو ذا خباب بن الأرت رضي الله عنه ، يقول : « شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة ، فقلنا : الا تستنصر لنا ، الا تدعو لنا ؟

فقال : « قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفرله فى الأرض ، فيجعل فيها ، ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيجعل نصفين ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ، ما يصده ذلك عن دينه .

والله ليتمن الله هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت ، لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون » .(رواه البخارى عن خباب بن الأرت) .

رحمة الرسول بأمته :

وعندما يطلب منه أمين الوحى أن يأمره بأن يطبق على أهل مكة الأخشبين (وهما جبلان فى مكة) يفزع الى الله ضارعا مخلصا :

« اللهم اغفر لقومى ، فانهم لا يعلمون »« عسى الله أن يجعل من أصلابهم من يوحده » (السيرة الحلبية)

ولقد سلكت الجاهلية بكل عنجهيتها وصلفها وجبروتها ما يمكن أن يسلك ، مما لا يدخل تحت حصر من ضروب وألوان العنف والايذاء ، مما جعل النبى صلى الله عليه وسلم يأذن لأصحابه، بالهجرة الى الحبشة المرة بعد المرة ، ومع ذلك أيضا لم تدعهم قريش وادعين فى مأمنهم مع شدة مرارة الفراق ولذع النوى ، وأهوال ركوب البحر ، وأرسلت عمرو بن العاص ، وعمارة بن الوليد بن المغيرة، فى طلب المهاجرين من النجاشىء، وأقبل هذان على النجاشى بالهدايا والمكر والخديعة ، وبالدس والكيد على هؤلاء الأبرار الأطهار . الا أن حكمة الرجل أبت عليه أن يسلمهما هؤلاء الا بعد أن يسمع منهم حجتهم ،وتقدم جعفر بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، يلخص أمام النجاشى هذه القضية فى أدب المؤمنين :

أيها الملك ، كنا قوما أهل جاهلية : نعبد الأصنام ، وناكل الميتة ، وناتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما بعث الرسل الى من قبلنا ، وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعا الى الله تعالى لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكان يعبد آباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا أن نعبد الله تعالى وحده ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة، وصلة الأرحام ، وحسن الجوار — والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ،فصدقناه ، وآمنا به واتبعناه على ما جاء به ، فعدا علينا قومنا ، ليردونا الى عبادة الأصنام ،واستحلال الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ، ورجونا الا نظلم عندك يا أيها الملك » (السيرة الحلبية ج١ ص ٣٧٨) هذا من جانب ، ومن جانب آخر اتخذت قريش اجراء مقاطعة الهاشميين وحصرهم فى الشعب : لا يبيعونهم ولا يبتاعون منهم ، ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم .. وظل الهاشميون فى الشعب ثلاث سنوات عجاف حتى بلغ بهم الأمر أن أكلوا ورق الشجر !! ثم أخذت الحمية خمسة : هشام بن عمرو بن الحرث ، وزهير بن أمية ، والمطعم بن عدى ، وأبو النجدى بن هشام، وزمعة بن الأسود ، فمزقوا الصحيفة، وعاد الهاشميون .

وفى العام الثالث عشر من البعثة الشريفة ،مات أبو طالب ، عم النبى صلى الله عليه وسلم، وماتت أم المؤمنين خديجة ، رضى الله عنها ،وكانت نعمت الصاحبة ، وأم الأولاد ...

وأقبل عام الحزن ، فسرى الله تبارك وتعالى عن مصطفاه ، وكرمه بالاسراء والمعراج ، وأعده بذلك التكريم وزوده بطاقات روحية لهذا الحدث الفذ ، حدث الهجرة الشريفة ، لتبدأ المرحلة الثانية فى تاريخ الدعوة الى الله ، مرحلة بناء الدولة بعد مرحلة الاعداد ، بغراس العقيدة

وتاصيلها وتوثيق عراهـا ، مرحلة الانطـلاق الشامل ، والانفتاح الكلى على العـالم أجمع ، ليأخذ الاسلام مكانته على البسيطة كلها ، يهدى الى الحق بالحق والى صراط مستقيم .

وتوالت الأحداث تباعا ...

تآمر المشركون على قتل النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أعيتهم الحيل فى صده عن دعوته، ولم يفلح الوعد أو الوعيد ... كما افشل الله خطتهم فى قتل المصطفى صلى الله عليه وسلم..!

وخرج الى المدينة المنورة يرسل نظراته الحانية الى مكة ، مع كلماته الآسفة الحزينة ..

« والله انى لأعلم انك احب أرض الله الى الله ، وأحب أرض الله الى ، ولولا أن قـومك اخرجونى ما خرجت !! » وفى الطريق الى المدينة توالت أحداث وتحققت آيات ...

لم يكن المصطفى صلى الله عليه وسلم ليفر بذاته ، خوفا على حياته ، فقد كان أشـجع الناس وأجود الناس ، وانما هو نبى مرسل قد أمره الله بتغيير الموقع ليبدأ الطـور الجديد ، وبهذا تنبأ ورقة بن نوفل أول الدعوة ...

ففى الغار بكى أبو بكر الصديق رضى الله عنه خوفا على حياة النبى صلى الله عليه وسلم، فقال له :

« يا أبا بكر ، ماظنك باثنين ، الله ثالثهما ؟ » وصدق الله العظيم :

« الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجـه الذين كفروا ثانى اثنين ، اذ هما فى الغار ، اذ يقول لصاحبه لا تحزن ، ان الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وايده بجنود لم تروهـا ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليـا ، والله عزيز حكيم » (التوبة/٤٠) .

وفى خيمة أم معبد الخزاعية ، حلب النبى صلى الله عليه وسلم شاة بكرا هزيلة لم ينز عليهـا فحل بعد ، وشرب هو وصـاحبه ودليلهمـا ، وشربت أم معبد ، وترك لها من اللبن مايكفيهـا وصاحبها ....

ولم يفلح سراقة بن مالك المدلجى ، أن يصل الى المهاجر العظيم ، وساخت قوائم فرسه فى الرمال ... بل كتب له النبى صلى الله عليه وسلم عهد أمان ووعـده بسـوارى كسرى ، وظل سراقة حيا حتى البسه امير المؤمنين عمـر سوارى كسرى يوم جىء بغنائمه الى المدينة ...

ووصل المهاجر المدينة المنورة ، لينطلق نـور الهدى واليقين الى بقـاع الأرض ، فى حيـاة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وعلى ايدى اتباعه من بعده .

وتوالت الحقب والآماد .. ما بين مد وجزر الحياة الحافلة بكل عجيب وغريب ، وسـتظل الحقب والقرون تترى وفى الهجرة دروس وعبر وفلسفات !! وثمار دانية القطاف لكل من له قلب أو القى السمع وهو شهيد .

رعاية الله لنبيه ﷺ في الهجرة

الدكتور سمير عبد العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين .. والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه آمين .

اما بعـد

فقد لبث النبى — صلى الله عليه وسلم — فى اهل مكة ثلاث عشرة سنة يدعوهم على بصيرة الى ما فيه عزهم وشرفهم ، وخفض لهم جناحه رغبة فى نفعهم واسعادهم بترك عبادة الأوثان ، ونبذ كل عادة تتنافى مع تكريم الله للانسان، ودعوتهم الى عبادة الله عز وجل وحده ، والتحلى بكل فضيلة تزينهم . مبشرا لهم بالخير ان اتبعوه ، منذرا لهم ان هم عصوه وقلوه مبينا لهم انه جاءهم بأمر الله رب العالمين ، يحمل اليهم كتابا فيه الخير والعزة والبركة ((لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون)) الأنبياء (١٠) وقوله تعالى : ((بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون)) المؤمنون (٧١) وكان حريصا عليهم وبهم رءوف رحيم ، فقام — صلى الله عليه وسلم — حين انزل الله عليه ((وانذر عشيرتك الأقربين)) . فقال : ((يا معشر قريش ، اشتروا انفسكم لا اغنى عنكم من الله شيئا ، يا بنى عبد المطلب لا اغنى عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا اغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله لا اغنى عنك من الله شيئا يافاطمة بنت رسول الله سلينى ما شئت من مالى لا اغنى عنك من الله شيئا .

رواه البخارى (ج ٨ ص ٤٠٨) ومسلم (ج ١ ص ١٣٣) .

ثم دعاهم ثانية وقال : ((الحمد لله احمده واستعينه ، واومن به واتوكل عليه ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ثم قال : ان الرائد لايكذب أهله ، والله الذى لا اله الا هو انى رسول الله اليكم خاصة ، والى الناس عامة ، والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما تعملون ، وانها للجنة ابدا ، او النار ابدا)) فقال ابو طالب : ما احب الينا معاونتك ، واقبلنا لنصيحتك ، واشد تصديقنا لحديثك ! وهؤلاء بنو ابيك مجتمعون ، وانما انا احدهم ، غير انى اسرعهم الى ماتحب ، فامض لما امرت به ، فوالله لا ازال احوطك وامنعك ، غير ان نفسى لا تطاوعنى على فراق دين عبد المطلب .

فقال أبو لهب : هذه والله السواة !! خـذوا على يديه قبل أن يأخذكم غيركم .

فقال أبو طالب : والله لنمنعنه مابقينا .

ان الدعوة التى بدأ بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم — من بطن مكة لم تكن لبناء وطن صغير ، بل كانت انشاء جديدا لأجيال وأمم تظل تتوارث الحق ، وتنـدفع فى رحاب الأرض الى أن تنتهى من فوق ظهر الأرض قصة الحيـاة والأحياء » .

لكن القوم تحجرت عقولهم ، وزاد تعصـبهم لمعتقداتهم الباطلة دون وعى أو فهم لحقيقـة ما يعبدون من دون الله ، وانما هو التقليد الأعمى بدون هدى .

قال تعالى فى شأنهم : « **وكذلك ما أرسـلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون، قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسـلتم به كافرون** » الزخـرف (٢٣ — ٢٤) .

موقف النبى صلى الله عليه وسلم من أعدائه

واستمر النبى — صلى الله عليه وسـلم — فى دعوته . بينما القوم قد أعدوا عدتهم للقضاء عليه — صلى الله عليه وسلم — وعلى دعوته ، فتعرضوا له ولأتباعه بكل الوان الأذى وصنوف التعذيب ولم يكن من نصير فى القوم سـوى زوجه خديجة رضى الله عنها التى كانت له صلى الله عليه وسلم نسمة السلام والبر ، فأعانتـه على ابلاغ رسالته ، وواسته بنفسها ومالهـا ، وشاركته مغارم الجهاد المر . وعمه أبى طـالب الذى وقف خلفـه يحمى ظهـره ويمنعـه من المشركين برغم بقائه على الشرك ، واستمساكه بدين الآباء الا أنه ظل حى العاطفة ، ظـاهر الحدب على ابن أخيه ، وهو مدرك كل الادراك ما سوف تجره هذه الدعوة من متاعب عليه وعلى أسرته .

بيد أن هذا التأييد موقوت بحياة خديجـة وأبى طالب وقد أراد الله عز وجل أن تمـوت خديجة رضى الله عنها وأن يهلك أبو طالب فى عام واحد عرف فى التاريخ بعام الحزن . والله سبحانه وتعالى اذا أراد شيئا هيأ له الأسـباب ووفر له الدواعى فقبض اليه العون البشرى ليبقى له — صلى الله عليـه وسـلم — العون الالهى « **والله يعصمك من الناس** » زاد المشركون من احكام قبضتهم على المستضعفين من المسـلمين وايذاء النبى — صلى الله عليه وسـلم — وساعدهم على ذلك وجود أبى لهب على رأس بنى عبد المطلب بعد أبى طالب حتى أدرك العباس ابن عبد المطلب قلة الرجاء فى مكة وأهلها فنصحه بالهجرة الى الطائف عسى أن يجد فى أهلهـا ما عدمه فى أهل مكة لكن أهلها كانوا أغلظ أفئدة وأقسى قلوبا فقفل عليه الصلاة والسلام عائدا الى مكة فى جوار المطعم بن عدى .

وهنا كانت رعاية الله تعالى لنبيه — صلى الله عليه وسلم — فكان الاعداد للهجرة الكبرى الى المدينة المنورة . واعداد الله تعالى لنبيـه — صلى الله عليه وسلم — له مراحل يتناسب الاعداد مع كل مرحلة .

المرحلة الأولى : اختار له نسبه الشريف فقال تعالى « وتقلبك فى الساجدين » الشعراء .
المرحلة الثانية : اعده للنبوة ، بسـلوكه الفريد فى قومه ، وصدقه وأمانته التى شهد له بها الجميع ، وبالأرهاصات التى لفتت اليه أنظـار العالمين .

قال تعـالى : « وانك لعـلى خلق عظيم » القـلم .

وقال تعالى فى شأن موسى عليه السـلام : « واصطنعتك لنفسى » طه .

المرحلة الثالثة : اعده الله تعالى للرسالة . بقيام الليل ، وقراءة القرآن ، والذكر ، والتبتل والصبر والتحمل قال تعالى : « يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا ، نصفه أو انقص منه قليـلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، انا سـنلقى عليك قولا ثقيلا » الى قوله تعالى : « واصـبر

على ما يقولون واهجرهم هجرا جميـــلا » المـزمل(١) .

المرحلة الرابعة : اعده الله تعالى : للهجـرة بالاسراء والمعراج ، فأرسل اليه جبريل عليـه السلام فى الليل ليبدأ رحلته فى الاسراء والمعراج ولينال المنحة وهى الصلاة ـ ليبدأ الاسـتعداد للرحلة الأرضـية الى يثرب » اذ هيـأ الله له السبيل ببيعتى العقبة (الأولى ـ والـكبرى) وبنجاح سـفيره الأول « مصعب بن عمير » فى تهيئة النفوس بنشر الاسـلام ، وتمهيد الأرض لاستقباله ـ صلى الله عليه وسـلم ـ فكان أهل يثرب فى شوق ولهفة لرؤية واسـتقبال سيد الأولين والآخرين . وقد سبقه الى المدينـة بعض المسلمين مثل ابى سلمة ، وابن أم مكتوم، وبلال ، وسعد بن أبى وقاص ، وعمار بن ياسر ثم لحقهم من كان بالحبشة وقد بشرهم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقـوله : « **انى أريت** دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان » رواه البخارى ومكث النبى ـ صلى الله عليـه وسلم ـ فى مكة حتى يأتيه الاذن بالهجرة وطلب من أبى بكر أن يترسل فى الهجرة بقوله « **على رسلك فانى أرجو أن يؤذن لى** » فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى أنت قال : « نعم » فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنـده ورق السمر ، وهو الخبط ، أربعـة أشـهر » وكان القوم قد بلغهم عزم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الهجرة فاجتمعـوا فى دار الندوة ليتخذوا قرارا فى هذا الأمر ، وصـحبهم ابليس فى صورة شيخ جليل نجدى وشـاركهم الراى بقوله انظروا فى شأن هذا الرجل ، والله ليوشـكن فى أمركم بأمره ، فقـال قائل منهم : احبسوه فى وثاق ثم تربصوا به ريب المنـون حتى يهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهـير والنابغة ، فصرخ عدو الله فقال : والله ما هذا برأى ، والله ليخرجنه ربه من محبسـه الى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخـذوه من أيديكم فيمنعوه منكم ، فما آمن عليـكم أن يخرجوكم من بلادكم ، قالوا صـدق الشـيخ فانظروا فى غير هذا ، قال قائل منهم أخرجوه من بين أظهركم فتستريحوا منه ، فانه اذا خرج لن يضركم ما صنع اذا غاب عنكم أذاه ، فقـال الشيخ النجدى : والله ما هذا لكم برأى ، ألم تروا حلاوة قوله وطلاقة لسانه ، وأخذ القلوب ماتسمع من حديثه ؟ والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن عليه ، ثم ليأتين اليـكم حتى يخرجكم من بلادكم ، ويقتـل أشرافكم ، قالوا صدق والله . فانظروا رأيا غير هذا ، فقـال أبو جهل والله لأشيرن عليـكم برأى ما أراكم أبصرتموه بعد لا أرى غيره ، قالوا : وما هو ؟ قال : تأخذون من كل قبيلة غلاما شابا وسـيطا نهدا ، ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صـارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد ، فاذا قتلوه تفرق دمه فى القبـائل كلها فمـا أظن هـذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلهـا ، فانهم اذا رأوا ذلك قبـلوا العقـل (الدية) واسترحنا وقطعنا عنـا أذاه ، فتفـرقوا وهم مجتمعون على هذا الرأى . فأتى جبريل النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأمره أن لا يبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيـه ، وأخبـره بمكر القوم ، فلم يبت رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ فى بيته تلك الليلة .

بداية الهجـرة :

وأذن الله له عند ذلك بالخروج ، واجتمـع الغلمان على بابه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يرصدونه ، فلما رأى عليه السلام مكانهم ، قال لعلى بن أبى طـالب رضى الله عنه « نم على فراشى ، فأخذ رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ حفنة من تراب فى يده فجعل ينثره على رءوسهم وهو يتلو هذه الآيات « **يس والقـرآن الحكيم** » الى قوله « **فهم لا يبصرون** » وأتى عليه السلام أبا بكر فقال له « فانى قـد أذن لى فى الخروج » فقال أبو بكر : الصـحبة بأبى أنت يا رسول الله ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم « نعم » قال أبو بكر فخذ بأبى أنت يا رسول الله احدى راحلتى هاتين ، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم (بالثمن) قالت عائشـة رضى الله عنها ، فجهزناهما أحسن الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة فى جراب ، فقطعت أسـماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت بذات النطاقين ، قالت ثم لحق رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأبو بكر بغار فى جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليـال يبيت عندهما عبد الله بن أبى بكر وهو غـلام شاف ثقف لقن فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرا يكتادان به الا وعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حتى يختلـط

(١) أنظر كتابى « تحت الطبع » منهج القرآن فى اعداد النبى صلى الله عليه وسلم لتحمل مسئولية الرسالة :

الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابى بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حتى تذهب ساعة من العشاء » .

وانطلق مشركو مكة فى آثار المهاجرين يرصدون الطرق ، ويفتشون كل مهرب ، وراحوا ينقبون فى جبال مكة وكهوفها حتى وصلوا قريبا من الغار ، وأنصت الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه الى اقدام المطاردين ، تخفق الى جوارهم فأخذ الروع ابا بكر ، وهمس يحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم « **لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا** » فقال عليه الصلاة والسلام « **يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما** » ونزل قوله الله تعالى يحكى حسن رعاية الله تعالى لنبيه — صلى الله عليه وسلم — « **الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا** » الآية .

ومن رعاية الله له — صلى الله عليه وسلم — ما روى عن انس ، وزيد بن ارقم ، والمغيرة ابن شعبة أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال : « أمر الله ليلة الغار شجرة فنبتت تجاه النبى — صلى الله عليه وسلم — فسترته ، وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار » وفى حديث آخر « وأن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه » . الشفا . وانشد الشاعر متحدثا برعاية الله لنبيه — صلى الله عليه وسلم فى الغار :

سل عصبة الشرك حول الغار حائمة ... لولا مطاردة المختار لم تحم

هل ابصروا الأثر الوضاء أم سمعوا ... همس التسابيح والقرآن من أمم

وهل تمثل نسج العنكبوت لهم ... كالغاب والحائمات الزغب كالرخم

فادبروا ووجوه الأرض تلعنهم ... كباطل من جلال الحق منهزم

لولا يد الله بالجارين ما سلما ... وعينه حول ركن الدين لم يقم

تواريا بجناح الله واستترا ... ومن يضم جناح الله لا يضم

وخرج — صلى الله عليه وسلم — الى المدينة وتبعهما سراقة بن مالك يبغى فيهما العطاء الكبير الا أن رعاية الله لنبيه حالت بينه وبين ذلك بأن هوت به فرسه مرة بعد مرة حتى أيقن أن النبى — صلى الله عليه وسلم — حق ، وأنه ربه من فوقه يحرسه ويمنعه « **والله يعصمك من الناس** » فأصبح سراقة للنبى — صلى الله عليه وسلم — يعم عنه الطلب ويرد عنه الطالبين .

ودخل النبى — صلى الله عليه وسلم — المدينة مهاجرا فى اليوم الثانى عشر من ربيع الاول لثلاث عشرة سنة من البعثة ، واستقبله اهل المدينة فرحين مستبشرين ما رأيت الناس فرحوا بشىء فرحهم به حتى النساء والصبيان والاماء يقولون : هذا رسول الله قد جاء .

ونزل عليه قوله تعالى فى المدينة « **واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين** » الأنفال .

وهكذا كانت رعاية الله عز وجل لنبيه — صلى الله عليه وسلم — فى هجرته .

« **والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار** » .

إلا تنصروه فقد نصره الله

الأستاذ صلاح أحمد الطنوبى

قال الله جل ثناؤه : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم (آية ٤٠ — التوبة) .

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله « صلى الله عليه وسلم » « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » . (رواه البخارى)

وعن امير المؤمنين عمر بن الخطاب « رضى الله تعالى عنه » قال : سمعت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يقول : « انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » . (رواه البخارى ومسلم)

ماذا تعنيه كلمة هجرة :

هذا هو المفهوم من الهجرة هجر ما نهى الله تعالى عنه ، فترك الأنانية وحب الذات هجرة ، وترك التجسس على عورات الناس هجرة ، وترك الكيد والدس بين الأفراد والجماعات هجرة ، وتطهير الصدور من الأضغان هجرة ..

فالرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » لم يهاجر الى المدينة ابتغاء مال يقاوم به الفقر أو تكوين جيوش يحقق بها الثأر ، أو سلطان يريده لنفسه او مجد يبغيه لذاته ، ولكنه قصد بهجرته وجه الله تبارك وتعالى ، واعزاز دينه ..

تجلى الله جل جلاله على سيدنا محمد « صلى الله عليه وسلم » بالنصر فى حادث الهجرة ، وفى قلب الغار سلم كما سلم ابراهيم عليه السلام فى وسط النار ، وموسى — عليه السلام — فى التابوت ، ويونس « عليه السلام » فى بطن الحوت ..

واذا لم يرد الله تبارك وتعالى نجاة أحد فهو فى البرج الشامخ يموت ، واذا تولى برعايته أحدا من خلقه حفظه بخيط العنكبوت .. فقد أغناه الله تعالى عن نصرة الناس ، فالله سبحانه وتعالى يقول : « والله يعصمك من الناس » (آية ٦٧ — المائدة) .

فمن كان فى ميدان العصمة كان مستغنيا عن نصرة المخلوقين ..

روى الامام البغوى فى كتابه «معالم التنزيل» : انه حينما انطلق أبو بكر « رضى الله عنه » مع رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الى الغار، جعل يمشى ساعة بين يديه ، وساعة خلفه ، فقال له رسول الله « صلى الله عليه وسلم » : ما بالك يا أبا بكر ؟ فقال : أذكر الطلب فأمشى خلفك وأذكر الرصد — المتربصون الذين يريدون السوء — فأمشى بين يديك ، فلما انتهيا الى الغار قال : مكانك يارسول الله حتى استبرىء الغار ، فدخل فاستبراه ، ثم قال : انزل يارسول الله ، فنزل، فقال له الصديق « رضى الله عنه » : ان أقتل فانا رجل واحد من المسلمين ، وان قتلت هلكت الأمة ..

وقال الامام النسفى : « لما دخل رسول الله « صلى الله عليه وسلم » الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا فى أسفله ، والعنكبوت فنسجت عليه ، وقال رسول الله « صلى الله عليه وسلم»: « اللهم أعم أبصارهم » ، فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون .. » وقضى رسول الله «صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبى بكر « رضى الله تعالى عنه » فى غار ثور ثلاث ليال ، حتى ينقطع الطلب ، ويصفو الجو للسفر ، وطار صواب المشركين ، وجعلوا مائة ناقة لمن يأتيهم بمحمد حيا أو ميتا ، وسلك الطامعون كل فج ، ثم عادوا يجرون أذيال الخيبة ، ويرددون عبارات اليأس والقنوط .

مواقف بطولية :

وفى تلك المدة التى أمضياها فى الغار كان فى شرف خدمته أشخاص سعداء ، وفقهم الله سبحانه وتعالى الى القيام بأدوارهم فى صبرودقة وكتمان ..

فأسماء بنت ابى بكر « رضى الله تعالى عنهما تأبى الا أن تخرج من مكة بالطعام والشراب ، لتحضره لهما فى مخبئهما المحزن البعيد فى ظلمة الليل ، ووحشة الطريق غير مبالية بما عساه أن يقع لها من أذى ، أو ينالها من هلاك ، ودون أن تشعر بتقلبات الجو ، ووعورة الطريق ..

كيف لا تضحى وقد رأت أباها يهاجر مع النبى العظيم « صلى الله عليه وسلم » ويرافقه فارا بدينه تاركا الأهل والولد والمال والوطن .

أنظر اليها وقد ذهبت اليهما فى الغار فى اليوم الثالث بالطعام والشراب الذى يكفى لرحلتهما، ولما ارتحلا ، ولم يجدا ما يعلقان به الطعام والماء الى رحالهما شقت نطاقها ، وعلقت الطعام بنصفه ، وانتطقت بالنصف الآخر ، فسميت لذلك « ذات النطاقين » .

أما عبد الله بن أبى بكر « رضى الله تعالى عنهما » ، فقد كان دوره هو استطلاع أخبار قريش بمكة ، والوقوف على رد الفعل الذى أحدثه خروج الرسول الكريم « صلى الله عليه وسلم » سرا ، وما عسى أن يدبره زعماؤها لوقف مسيرته « عليه الصلاة والسلام » ، وبذلك يكون رسول الله « صلى الله عليه وسلم » وصاحبه « رضى الله عنه » على بينة مما يحاك خلفه من مؤامرات ، فيستطيع أن يتقيها ويبلغ مأمنه فى يثرب .

وهذا العمل الذى عهد الى عبد الله بن أبى بكر « رضى الله عنهما » القيام به كان يتطلب روحا فدائية ولقد كان عبد الله مسلما فدائيا . أبى الا أن يكون مقاتلا تحت راية رسول الله « صلى الله عليه وسلم » ... وعامر بن فهيره « رضى الله تعالى عنه » كانت مهمته أن يرعى غنم أبى بكر « رضى الله عنه » نهارا ، فاذا أمسى قصد الى الغار ، واحتلب للنبى « صلى الله عليه وسلم » وصاحبه ، وذبح، وأن يتبع بالغنم مسار عبدالله ابن أبى بكر «رضى الله عنهما» بعد عودته من غار ثور الى مكة ، فيعفى على ماتركته أقدامه من آثار فى رمال الصحراء ...

الحنين الى الوطن :

وبلغ الحنين مداه فى قلب رسول الله « صلى الله عليه وسلم » فنراه وهو خارج من مكة يتلفت اليها بعينيه وفؤاده يناجيها : « والله انى لأخرج منك ، وانى لأعلم أنك أحب أرض الله الى الله واكرمها على الله ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ماخرجت » ..

ولقد ضمن الله تبارك وتعالى الأجر للمهاجر فى سبيله ، قال تبارك وتعالى : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما » (آية ١٠٠ ــ النساء) .

حدد الله تعالى الهجرة بأنها « **فى سبيل الله** » اى فى طاعته ، وهذه هى الهجرة المعتبرة فى الاسلام ، فليست هجرة للثراء ، كما يفعل بعض الناس اليوم ! ، أو هجرة للنجاة من المتاعب أو هجرة للذائذ والشهوات أو هجرة لأى عرض من أعراض الحياة !!!

ومن يهاجر هذه الهجرة ــ فى سبيل الله ــ يجد فى الأرض منطلقا ، وسيجد فيها سعة ، وسيجد الله تعالى فى كل مكان يذهب اليه يجيبه ، ويرزقه ، وينجيه ..

ان كل هجرة لغرض دينى من طلب علم ، أو حج ، أو جهاد،أو فرار من بلد تنتهك فيهالأعراض والحرمات الى بلد يزداد فيه طاعة أو قناعة أو زهدا فى الدنيا،وابتغاء رزق طيب ، فهى هجرة الى الله تعالى ورسوله .. ، وان أدركه الموت فى طريقه فأجره واقع على الله سبحانه وتعالى.. فماذا بعد ضمان الله تعالى من ضمان ؟

وروى الامام احمد فى مسنده عن عبد الله بن عتيك « رضى الله عنه » قال : سمعت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » يقول : من خرج من بيته مهاجرا فى سبيل الله فخر عن دابته فمات، فقد وقع أجره على الله » .

أصبحت الهجرة عنوانا لأعظم تضحية قدمها سلف هذه الأمة فى سبيل الحق والايمان ، فأكرمهم الله جل جلاله بوسام الشرف ... **قال تعالى : « والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنهوأعد لهمجنات تجرى تحتهاالأنهار خالدينفيها أبدا ذلك الفوز العظيم » (آية ١٠٠ ــ التوبة) .**

فالهجرةكانت فريضة كتبت علىالمؤمنين فى فجر الاسلام ، يستحق صاحبها أعظم درجة عند الله تعالى .. قال جل جلاله : « **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم » .**
(آية ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ــ التوبة) .

والتفريط فيها يستوجب الوعيد الشديد .. قال عز وجل : « **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمىأنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئكعسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا » (آية ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ــ النساء) .**

نسأل الله تبارك وتعالى أن يهيىء لنا من أمرنا رشدا ، ويوفقنا لما فيه سعادتنا فى ديننا ، ويقينا شر الأحداث والفتن ويجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وصلى الله تعالى على محمد النبى الأمىالعربى وعلى آله وصحبه وأمته وسلم تسليما كثيرا .

الهجـــــرة

سنـــة الأنبيـــاء والمرسلين

الأستاذ محمود مصطفى الأعسر

ليست الهجرة حدثا لم يحدث قبل الاسلام ، فالهجرة سنة الأنبياء والمرسلين (صلوات الله تعالى وسلامه عليهم اجمعين) .

(هجرة سيدنا نوح عليه السلام)

أول الرسل الكرام هجرة هو نوح (عليه السلام) ، وقد كانت هجرته حياة له وهلاكا لأعدائه .

بذل نوح (عليه السلام) غاية جهده فى دعوة قومه ، وصبر صبرا جميلا على ايذائهم ، ومد لهم حبل الرجاء ، حتى لاتكون لهم حجة على الله تعالى بعد الرسل ، وطال به الزمن وهو يغاديهم ويرواحهم بالنصح والارشاد . فما زادهم الا نفورا واستكبارا فى الأرض !

قال الله تعالى : « انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال ياقوم انى لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى أجل مسمى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا .. » (الآيات ١ ــ ٧ سورة نوح) .

وابتهل نوح (عليه السلام) الى الله تعالى بالدعاء عليهم فقال :

« وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » (آية ٢٦ ، ٢٧ سورة نوح) واستجاب الله تعالى دعاء نوح (عليه السلام) ، وأوحى اليه أن يصنع الفلك ، لينجو بها من العذاب الذى سيحل بالقوم ، وليهاجر بها عنهم قال تعالى : « واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال أن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم » الآيتان ٣٧ ــ ٣٩ سورة هود) .

وأغرق الله تعالى قوم نوح (عليه السلام) الذين عصوه ، أغرقهم الله تعالى بالطوفان ، ونجى الله تعالى نبيه نوحا (عليه السلام) ومن آمن به فى الفلك ، وجعل ذريته هم الباقين .

وورد فى القرآن المجيد أن نوحا (عليه السلام) مكث فى قومه الف سنة الا خمسين **قال الله تعالى : « ولقد أرسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فانجيناه واصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين » (الآيتان ١٤، ١٥ سورة العنكبوت).**

وانتهت بذلك أول هجرة ميمونة فى سبيل الله تعالى وتمكين العقيدة فى النفوس .

(هجرة سيدنا ابراهيم عليه السلام)

كان ابراهيم « عليه السلام » من أهل « فدان آرام » بالعراق ، وكان قومه أهل أوثان ، وكان ابوه نجارا ينحت الأصنام ويبيعها ممن يعبدها ـ كما نص على ذلك فى انجيل برنابا ـ ، وابراهيم « عليه السلام » قد أنار الله تعالى بصيرته وهداه الى الرشد ، فعلم أن الأصنام لاتسمع ولاتبصر ، ولاتسمع نداء ولا تجيب دعاء قال الله تعالى : **« ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لأبيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين قال بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين** (الآيات ٥١ ـ ٥٦ سورة الأنبياء) .

ان ابراهيم « عليه السلام » بعد أن جهد الجهد كله فى سبيل هداية قومه ، وبعد أن حاول ان يقنعهم بكل وسائل الاقناع ، لم يحل من قومه بطائل ، وجفاه قومه ، وألقوه فى النار ، فجعلها الله تعالى بردا وسلاما عليه ، وهدده أبوه بأن يرجمه اذا استمر على جحد الأصنام .

وتبرأ ابراهيم « عليه السلام » من أبيه ، ولم يطب له المقام بين أهله وقومه فذهب الى « أور الكلدانيين » (مدينة كانت قرب الشاطىء الغربى للفرات) ، ثم حران ـ بلدة بين دجلة والفرات ـ فوجد أهلها يعبدون الكواكب ، فنبههم الى خطئهم ، واختار ابراهيم « عليه السلام » فى سبيل العقيدة العقل وطريق الحجة فى اقناعهم .

« قال ياقوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » (الآيتان ٧٨ ، ٧٩ ـ سورة الأنعام) ورحل ابراهيم « عليه السلام » بعد ذلك الى فلسطين ، وكان معه زوجه سارة وابن أخيه لوط ، قال تعالى : « فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم » (آية ٢٦ ـ العنكبوت) .

وقوله تعالى : « انى مهاجر الى ربى » تعبير عن غاية تلك الهجرة ، انها لم تكن هجرة طلبا للنجاة ، أو سعيا وراء مغنم مادى ، لكنها هجرة الى الله تعالى تقربا اليه ، بعيدا عن موطن الكفر والضلال .

وسكن لوط شرق الأردن الى ذلك السهل الخصيب ، حيث كانت سدوم وعمورة ، وبقى عمه ابراهيم غربى الأردن يتردد بين نابلس وبئر سبع وقادش .

وهاجر ابراهيم « عليه السلام » الى مصر هو وزوجه ، ورجع من مصر الى الأرض المقدسة ، ثم هاجر هو وزوجه هاجر وولده اسماعيل الى مكة ، لتكون هذه الهجرة سببا فى **ان تهوى افئدة من الناس تهوى اليهم ، وليكون البيت الحرام مثابة للناس وامنا .. قال تعالى :**

« ربنا انى اسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (آية ٣٧ — سورة ابراهيم) .

(هجرة سيدنا يعقوب عليه السلام)

يعقوب « عليه السلام » أحد الآبـاء الثلاثة الكبار للعبرانيين ، وهـو ابن اسحاق « عليه السلام » .

هاجر سيدنا يعقوب الى فدان آرام من أرض العراق لخاله لابان بن بتويل ، فرارا من حسد أخيه عيسو ، لأن أباه دعا له بالبركة ، وقـد خدم خاله راعيا للغنم ، وتزوج من بنتيه .. وكانت هجرته خيرا وبركة عليه ، فقد صار رب أسرة عظيمة وذرية صالحة ، وولد له فى هجرته جميع أولاده الا بنيامين ، ثم جاء الى فلسطين بمال كثير ونعم جليلة واهدى الى أخيه بعضها ، وهو خائف أن يبطش به ، ولكن عيسـو قابله مقابلة حسنة .

(هجرة سيدنا يوسف عليه السلام)

هو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم (عليهم السلام) .

نشأه أبوه على التقوى ، ورشحه بالصلاح ، وتعهده بالأخلاق النبوية الكريمة وعشق يوسف « عليه السلام » دينه والدعوة الى الله تعالى ، وكان متحليا بفضيلة الصبر ، ولقد ضرب يوسف « عليه السلام » للناس المثل الأعلى فى كثير من أنواع الصـبر .

هاجر مرغما حين القاه اخوته فى غيابة الجب ، ثم هيأ الله له من حيث لا يحتسب تلك السيارة التى أرسلت واردها يستقى لها من البئر التى هو فيهـا .

التقطوا يوسف فأسروه بضـاعة وباعوه فى مصر بثمن بخس واشتراه عزيز مصر ، واتخذه خادما لبيته بعد أن اشتراه من أولئك التجار ، وكان يوسف على أتم ما يكون من الجمال والبهاء والقوة فراق ذلك كله امراة العزيز بل شغفها حبا .. فازينت له — وكانت فى غاية الحسن — ثم غلقت أبـواب البيت ، وتقول ليوسـف : هيت لك .. ، ونطق يوسف بتلك الجملة الباهرة التى تعبر عن أسمى معانى الشرف والفضيلة والنبل : **« معاذ الله انه ربى احسن مثواى انه لايفلح الظالمون » (آية ٢٣ — يوسف) .**

عصم الله تعالى يوسف من الزنا ، ووقاه الفاحشة فى ظـروف وأحوال كلها تدعـو الى الفاحشة والزنا ، وهبه الله القوة على نفسه والعصمة من شهوته والسلطان على هواه ، حتى يفر من أولئك الشياطين بعد أن تمزق عنه ثوبه .

(هجرة سيدنا موسى عليه السلام)

كانت رعاية الله تعالى تكلأ موسى « عليه السلام » وعينه ترعاه ، أرضعته أمه — واخفت أمره زهاء ثلاثة أشهر ، ثم الهمها الله تعالى أن تضع موسى فى صندوق من الخشب وتلقيه فى اليم ، ففعلت ، وسارت أخته تقفوا اثره ، حتى التقطه آل فرعون ، ليكون لهم عدوا وحزنا والقى الله عليه محبة زوج فرعون قال الله تعالى : **« واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه فى اليم ولاتخـافى ولا تحزنى انـا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا ».** (آية ٧ ، ٨ سورة القصص)

ولما بلغ موسى أشده آتاه الله تعالى حكماوعلما وأوحى اليه بالنبوة « **ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائرللناس وهدى ورحمة لعلهم يتذكرون** » . آية ٤٣ ـ القصص) .

وعن هجرة موسى عليه السلام قال اللهجل جلاله :

« **وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج انى لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب قال رب نجنى من القوم الظالمين ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل ..**» (الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ـ سورة القصص) .

وأوحى الله تعالى الى موسى فى الخروج من مصر .. قال عز وجل :

« **وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون** » (**الآيات ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ـ سورة يونس**)

(هجرة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام)

قال الله تعالى : « اذ قالت الملائكة يامريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون » (الآيات ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ـ سورة آل عمران).

وقد ترك المسيح وطنه الناصرة ، وجال فى أنحاء فلسطين مبشرا ومنذرا ومصلحا ومرشدا ، فآمن به من هداه الله تعالى الى الحق .

(هجرة خاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم)

وكانت هجرة محمد بن عبد الله « عليه الصلاة والسلام » من مكة الى المدينة جريا على سنة الأنبياء والمرسلين قبله ، ولا غرابة فى أن يهاجر النبى العظيم محمد «صلى الله عليه وسلم» من مكة بعد أن وقف أهلها فى سبيله ، وهو يدعوهم الى ربهم ، وتحمل أذاهم وعنادهم ثلاثة عشر عاما ، حتى اشتد البلاء عليه وعلى المسلمين بعد موت عمه أبى طالب وزوجه خديجة أم المؤمنين « رضى الله تعالى عنها » ، وبدت له مكة أرضا صلبة ، وتآمر المشركون على القضاء التام على الدعوة الجديدة ، ولكن الله تعالى نصر نبيه محمدا « صلى الله عليه وسلم »

قال الله تعالى : « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » (آية ٤٠ ـ سورة التوبة).

صدق الله العظيم والله تعالى أعلم .

من وحى الهجرة

الاستاذ أحمد عبد الرحيم السايح

الرسالة الاسلامية جاءت استجابة لصرخة الحق وهو ينادى من يأخذ بناصره من العادين عليه . وكانت استجابه لأنين الانسان عبر القرون وهو يشكو ظلم الانسان وصلفه وغروره . ولقد كانت قلة تسع الناس كل الناس من أهلها والوافدين عليها . ولكنها ضاقت يومذاك برسول الله وبالمسلمين الذين التقوا حول الرسول الصادق الأمين — عليه الصلاة والسلام — ليصوغهم بالقرآن الكريم صياغة اسلامية ، يواجهون بها الباطل اليوم وغدا ، على كل أرض وتحت ظل كل سماء . وكانت عناية الرحمن ترعى الرسول الكريم وتحيط به وتلازمه . وعندما أجمع المؤتمرون فى دار الندوة على التخلص من الدعوة الاسلامية ورسولها محمد — صلى الله عليه وسلم — ، اذن الله لنبيه فى الهجرة من مكة الى المدينة وليس ذلك فرارا من الموت أو طلبا للنجاة وانما ليرسى قواعد الحق فى أرض خصب فكر أهلها ، ويقيم دولة الاسلام فى مدينة تفتح أهلها لنور الايمان لهذا كانت هجرة الرسول الأمين محمد — صلوات الله وسلامه عليه ، وهجرة أصحابه الذين نهضوا بايمان صادق ، ووفاء بحقوق الدين .. تعد تحولا خطيرا فى تاريخ الانسانية ، معبرا بوضوح عن تحرك الخير ، نحو الهدف الأسمى ، ومعربا عن فاعلية قوة الحق ، دون ملل أو كلل .. فى اطار قابل للتكيف حسب منطق العصر .

الهجرة غيرت مجرى التاريخ :

والهجرة حركة رائدة غيرت مجرى التاريخ ، وأعطته مددا ثريا من ماء الحياة ، يسقى ومع السقى خصب ويروى ومع الرى نماء ، ويعطى ومع العطاء قوة فى العلم والأخلاق والبناء .

ومن هذا المنطلق .. كانت الهجرة حركة اسلامية عظيمة ، فى توطيد دعائم الاسلام ، وتثبيت ركائز الأخوة ، وبناء الجماعة الاسلامية التى أخرجت للناس لتكون خير أمة . وحلقة بارزة من حلقات سير الدعوة الاسلامية فى طريقها الشائك المرير .

وتحمل الهجرة فى معانيها .. سمات التجدد والبناء ، والعظمة الشامخة ، والقوة الصامدة ، والنور المضىء ، والأمن المطمئن ، ومراقى العلا والسمو ، وبرد اليقين ونفحات الهدى ، وحرارة الايمان .

وذكرى الهجرة دافع قوى للأمة الاسلامية ، فى مقاومة الالحاد ، والمذاهب الهدامة التى تكالبت مسعورة على نهش القيم والفضائل .

والهجرة تجىء بعد ثلاثة عشر عاما ، يدعو فيها الرسول الأمين الى الاسلام ويتحمل هو وأصحابه الوانا من العذاب ، والتشتت والحرمان .

دوافع وأسباب الهجرة :

وللهجرة دوافع وأسباب كثيرة .. نجملها فيما يلى:

أولا : اشتداد الأذى بالمسلمين .. قال تعالى فى سورة المطففين : « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون . واذا مروا بهم يتغامزون. واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين . واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون . وما أرسلوا عليهم حافظين » .

وقال تعالى فى سورة الأنعام « قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين » .

ولما أسلم نفر من أهل مكة ، واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثبتت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ، ويعذبونهم ، بالضرب، والجوع وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر .

وكان بلال بن رباح ، صادق الاسلام طاهر القلب ، وكان أمية بن خلف ، يخرجه اذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره . ثم يقول له : لا والله الا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد ، وتعبد اللات والعزى . فيقول وهو فى ذلك البلاء : أحد أحد .

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر ، وبأبيه ، وأمه — وكانوا أهل بيت اسلام — اذا حميت الظهيرة ، يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : « صبرا آل ياسر . فموعدكم الجنة » فأما أمه فقتلوها وهى تأبى الا الاسلام .

ثانيا: اشتداد الأذى على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حيث أن الرسول لم يسلم من ايذاء المشركين فنالت قريش من رسول الله من الأذى، مالم تكن تناله منه فى حياة عمه أبى طالب . فخرج رسول الله ومعه زيد بن حارثة الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف ، والمنعة منهم ، من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ماجاءهم به من الله عز وجل، لأنهم كانوا أخواله . ولكن الرسول وجد من هؤلاء صدودا واعراضا ، وأذى .

ثالثا : بيعة العقبة الأولى ، وبيعة العقبة الكبرى . وكانت البيعتان ، تنمان عن الايمان الصادق ، والغراس التى بدأت تؤتى ثمارها .

فقد كانت البيعة الأولى على الايمان بالله وحده، والاستمساك بفضائل الأعمال ، وقد تمت مع نفر من الخزرج ، كانوا بعد البيعة طليعة الدعاة الى الاسلام فى يثرب .

أما بيعة العقبة الكبرى فقد بلغ فيها الايمان أوجه .. وحيث جاء سبعون نفرا من يثرب مؤمنين أشد الايمان بالله، وبالحب فيه، والأخوة على دينه ، والتناصر باسمه ، ونص البيعة كما قال عبادة بن الصامت ، وكان من النقباء . قال : بايعنا رسول الله بيعة الحرب ، بايعناه على السمع والطاعة ، فى عسرنا ويسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا ، والا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كان ، لا نخاف فى الله لومة لائم . وبهذا الحلف الجديد .. انفتح لرسول الله والذين معه من أهل الايمان باب الرجاء فى حرية الدعوة .

رابعا : تآمر قريش على الرسول — صلى الله عليه وسلم — ، ومن معه .. قال تعالى فى سورة الأنفال : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

بعد بيعة العقبة الكبرى ، وما كان فيها من نصرة الاسلام ، ومنعة أهله ، أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يلحقوا بالانصار بيثرب، على أن يتركوا مكة متفرقين ، حتى لا يثيروا ثائرة قريش عليهم .

وبدأ المسلمون فى الهجرة الى يثرب فرادى ، وقد فطنت قريش للأمر ، فحاولت أن ترد كل من استطاعت رده الى مكة ، لتفتنه عن دينه ، أو لتعذبه ، وتنكل به ، وبلغت من ذلك أنها كانت تحول بين الزوج وزوجه ، وأنها كانت تحبس من تستطيع حبسه ممن لم يطعها . وكانت قريش تحسب لهجرة النبى الى يثرب ألف حساب .. فقد كانت تخشى كثرة المسلمين بالمدينة ، فاذا لحق

بهم محمد ، كان ذلك قوة للمسلمين ، تهدد دعاة الوثنية واذا بقى محمد بمكة ، وحاولوا منعه من الخروج منها . فهم معرضون لاذى أهل «يثرب» فلم يبق الا التآمر على قتل محمد،وأحكمت المؤامرة فى دار الندوة ، لكن عنـاية الله ، كانت تـلازم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وترعاه ، وتحيط به .. وقد أذن الله له فى الهجرة ، ليغرس شجرة الاسلام فى تربة خصبة تساعد على النمو . ولا تعرف أحدا أحق بنصر الرحمن ، وأجدر بتأييد الله من محمد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ الذى لاقى فى سبيل الدعوة مالاقى .

ولكن التأييد الالهى ، لا يعنى أبدا التفريط فى أسباب الحياة ، وترك العمل ، والأخذ بالأسباب .

ولهذا أحكم رسول الله ــ عليه الصلاة والسلام ــ ، خطة الهجرة ، فلم يبق بمكة الا عليا وأبا بكر .

أما على فقد نام على فراش الرسول ، وتغطى ببردة الرسول ، وكان صلوات الله وسلامه عليه، قد أمر عليا أن يتخلف عنه بمكة حتى يؤدى الودائع التى كانت عنده للناس ، حتى اذا أفرغ منها لحق برسول الله .

أما أبو بكر فقد خرج مهاجرا مع رسول الله، بعد أن أعد للهجرة مايلزمها ، وانتهى رسول الله، وأبو بكر الى الغار ليلا ، وأقاما فيه ثلاثا ..

ورغم الصعاب ، ووعورة الطريق .. وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكلها أفراح ، والانصار يتسابقون فى الاحتفـاء بالنبى الأمين ، وتكريمه .

وبدأ صاحب الرسالة الكبرى .. يضع خطوط المجتمع الاسلامى ، ويرسم له قواعد السـلوك والأخلاق .. وكان الاخاء العملى الذى قضى على كل ألوان العصبية ، ليتفرغ المسلمون الى مزاولة الشعائر الاسلامية ، وتطبيق أحكام القرآن الكريم، وتعاليمه .. ومن المدينة الاسلامية ، قاعدة انطلاق الدعوة .. استطاع النبى أن يرسل كتبـه الى الملوك والرؤسـاء ، يدعـوهم الى رسـالة الاسـلام .

وفى الدولة الاسلامية .. اعد المسلمون ليكونوا قوة رادعة لكل افاك أثيم ، ولا يمكن أن تهتم أمة باعداد القوة .. ثم تظلم من جيرانها ..

دروس مستفادة من الهجرة :

وفى الهجرة دروس مستفادة يمـكن أن يكون فيها عظات بالغة لمن كان له قلب وعقل ، ونجمل بعض هذه الدروس فيما يلى :

أولا : كتم الأسرار والمحافظة على سير الأمور، فى نطاق التخطيط الدقيق ، القائم على الايمان بالله وتفويض الأمر اليه وحده ورسول الله ــ صلى الله عليه وسلم لم يطلع أحدا على سيرة الهجرة .. الا من لهم صلة ماسة بها ولم يتوسع الرسول فى اطلاعهم الا بقدر العمل المنوط بهم .

ثانيا : الاعتماد على الله ، مع الأخذ بالاسباب . قال تعالى فى سورة التوبة **« الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ همـا فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنـا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليـا والله عزيز حكيم »** .

ثالثا : الايمان بالله هو دليل الفاعلية والحركية، وذلك أن الايمان هو الروح التى تحرك الجسد ، فتبعث فيه الحياة ، وعندئذ تكون النفوس مستعدة لتحمل المسئوليات ــ والتضحيات . ولابد للمؤمنين من الاختبار والتمحيص .. لأنه هو الثمن الذى تعز به العقيدة فى نفوس المؤمنين . والعقـائد الرخيصة التى لا يؤدى أصحابها تكاليفها لا يعز عليهم التخلى عنها . والشدائد دائما تستجيش مكنون القوى ، ومدخور الطاقة ، وتفتح فى قلب المؤمنين ، منافذ ماكان يعرفها السـلم الا تحت مطارق الشدائد .

رابعا : الاخوة الاسلامية ، القائمة على العقيدة .. أخوة لا تعترف بالقوميات ، ولا بالجنسيات تلك الأخوة التى جمعت المسلمين فى جامعة اسلامية واحـدة .

خامسا : الدستور القائم على كتاب الله ، المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم .. وكتاب الله هو ميزان الحق .. حتى لا تحتاج الامة الاسلامية فى مسيرتها فى الحياة الى تجارب الأمم وأفـكار سماسرة القوانين الوضعية ، والمذاهب الهدامة .

وقد أثبت التاريخ والتجربة . أن كتاب الله خير حكم بين الناس .. ولم يعد المسلمون فى حـاجة

الى تجارب أنظمة البشر التى تواضع الناس عليها . وكم من الدروس يمكن أن يستقيها المسلم من هجرة الرسول — صلى الله عليه وسلم .

ففيها مثل حية للثبات والصبر والعزم ، والصمود .

وفيها : نماذج فريدة فى البطولة والتضحية ، ونكران الذات والفداء .

وفيها : عمل منظم ، وتخطيط مركز ، ودراسة واعية ، واحاطة تامة .. وتعاون كامل ، واخاء شامل ، وايثار بالغ ، ووحدة رائعة ، وعزة ، واباء ، وكرم ، ووفاء .

واجب الأمة الاسلامية اليوم :

والأمة الاسلامية وهى تتطلع الى غد مشرق فى مطلع القرن الخامس عشر الهجرى جدير بها أن تعرف مكانها فوق هذه الأرض ، وتعى قدراتها وتعمل على جمع كلمة أبنائها فقد بلغت مخططات اللؤم والحقد على الاسلام والمسلمين غايتها وما نراه من تمزيق لمجتمعات المسلمين ، وتشتيت لشعوبها ، وقضاء على مواطن القوة الأصيلة فيها ، وانتقاص لأقطار الاسلام من أطرافه ، وابتلاع لبعض أقاليمه ، واجهاز على حركته من داخله لأكبر دليل على أن المجتمعات الاسلامية تقع فريسة لتآمر رهيب ، وتخطيط ماكر ، وتكالب مسعور .

ولذلك تعانى مجتمعاتنا دبيبا عاتيا على النفوس يرهقها ويحاول تجريدها من مقومات الذات وعناصر الوجود . ومن المؤسف والمحزن الا نتنبه لهذه التيارات المدمرة والمغرضة ، فنبيع أنفسنا لهذا أو ذاك أو نحاول أن نرضى هذا وذاك على حساب عقيدتنا ومبادئنا وسلوكنا ونظامنا .

اننا نملك المبادىء الاسلامية التى تجعلنا خير أمة اخرجت للناس ، ونملك حيزا جغرافيا يجعلنا أفضل قوة عرفتها الانسانية . ولدينا من الموارد والمواقع مايمكننا من اغناء الحضارة الانسانية ، وانتشال البشر من وهدة الضياع ، وازالة الأصناد التى تقف فى وجه تقدم الانسانية نحو الخير والاطمئنان .

وهجرتنا فى القرن الهجرى الجديد هى أن نعود الى الاسلام لنستعيد المجد والقوة والوحدة والعدالة ، وليحقق الله أمل الانسانية فى قيام الحق ، ونشر الاسلام والأمن .

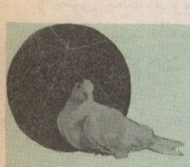

الهجرة وبيعة العقبة

● قال الحافظ : كان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين العقبة الأولى والثانية وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهران وبعض شهر على التحرير .

امتناعه صلى الله عليه وسلم عن أخذ الراحلة الا بثمنها

● نُقِل فى الروض عن بعض شيوخ أهل المغرب أنه سئل عن امتناعه من أخذ الراحلة مع أن أبا بكر أنفق عليه ماله ، فقال : أحَبَّ ألاَّ تكون هجرتُه إلا من مال نفسه .

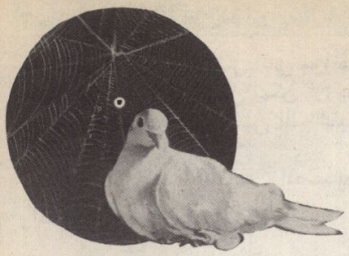

قبس من الهجـــــرة

فضيلة الشيخ فكرى حسن إسماعيل

١ ــ تروى السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يأتى دار ابى بكر فى الصباح أو فى المساء ولكن حين أذن الله لرسوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالهجرة . تقول ــ رضى الله عنها ــ (أتانا رسول الله بالهاجرة . فى ساعة كان لا يأتى فيها أبدا وليس فى المنزل سوى أسماء معى فقال رسول الله ــ صلى الله عليه ــ يا أبا بكر أخرج عنى من عندك فقال ابو بكر ــ رضى الله عنه : انما هما ابنتاى فداك ابى وامى يا رسول الله .. ولما اطمأن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتأكد من سرية المكان بعد أن اخذ الحيطة الكاملة . قال : يا ابا بكر . ان الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة . فقال ابو بكر الصديق : الصحبة الصحبة يا رسول الله .. تقول السيدة عائشة : ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن احدا يبكى من الفرح حتى رايت ابا بكر يبكى من الفرح .

وقفة فهم وتدبر :

ذكرت كتب السيرة والسنة هذه الرواية التى يجب علينا ــ نحن المسلمين ــ أن نقف امامها وقفة فهم وتدبر ، فمن المعلوم أن الأمور الهامة التى تدور عليها حياة الأمم والشعوب تستلزم السرية التامة التى يجب أن يتحصن بها قادة الأمم وزعماؤها . والحاكم الفطن هو الحاكم الذى يخطط ويأخذ بالأسباب ويدرس ، ولا يحمل المسئولية الا لمن هم أهل لها . فالرجال فى اى عصر من العصور قليل .. والرواية التى بين أيدينا توضح لنا أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حين أذن الله له بالهجرة الى المدينة غير بعض برامجه العادية حتى يبعد الأنظار عنه ، وحتى يضمن لخطته .. التى وضعها قبل أن يأذن الله له بالهجرة . النجاح من الأمور العادية اليومية التى غير وقتها رسول الله . ذهابه الى بيت ابى بكر ــ لقد كان يأتى فى الصباح أو فى المساء ولكن حين هم بالهجرة ذهب الى بيت ابى بكر بالهاجرة ــ وقت الظهر ــ وفى هذا عبرة وعظة للقادة والزعماء .

اخذ الحيطة قبل التنفيذ :

ولما دخل بيت ابى بكر أمر باخلاء الدار حتى لا يكون هناك من يسترق السمع فتنكشف الخطة . ويعلم الكفار تفاصيلها ولما اطمأن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لدار ابى بكر عرض امام صديقه الوفى تفاصيل الخطة وتحديد الوقت لتنفيذها ..

توزيع المسئوليات :

٢ ــ يروى ابن هشام : أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بعد أن وزع المسئوليات قال للامام على كرم الله وجهه . (نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الأخضر فنم فيه ، فانه لن يخلص اليك شىء تكرهه) **ومن هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن ابى**

طالب تتضح لنـا المسئولية التى حملها رسول الله لعلى رضى الله عنه . وهى أن يقـوم برد الودائع الى أهلها . هذه الودائع التى كان لدىرسول الله من أهل مكة لأن أهل مكة كانوا يرون فى رسول الله قبل البعثة . وبعدها . الصـدق الذى لا مثيل له والأمانة التى لم يعهدوا فى حياتهم من يتصف بها صفة ومضموناً كرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ونرى من خلال توجيـه رسول الله لعلى بشرى له حيث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : (فانه لن يخلص اليك شىء تكرهه) واختيار رسول الله لعـلى لتحمل هذه المسئولية اختيار موفق . ومن هنا قـام ـ رضى الله عنـه ـ برد الودائع الى أصحابها . ورد الودائع الى أصحابها يرمز الى التطبيق العملى لمفهوم الأمانة كما انه يدل على أن الانسان حين يريد الخـروج لأمر من الأمور الهامة التى تتطلب عناية الله فمن واجبه أن يجرد نفسه من حقوق الناس حتى يكون خالصا نقيـا طاهرا ومن هنا يكون مقبول الدعاء ..

الاخلاص فى العمل ضرورى لنجاحه :

٣ ـ روى الامام البخارى رضى الله عنه عن الفاروق عمر أن رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ قال : **(انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليـه) ..** ورسولنا من خلال هذا التوجيـه السديد يوضح لنا أن الاخلاص فى العمل ضرورى لنجاحه ولابد أن يكون كل عمل ابتغاء مرضـاة الله تعالى حتى يضمن الله له البقـاء ويؤيده بنصره .. **ومن هنا يذكر لنا علماء السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرض أن يأخذ من أبى بكر الراحلة بدون أن يدفع ثمنهـا وأصر رسول الله أمام أبى بكر على ن يدفع ثمنها حتى تكون الهجرة بما فيها من مشقة خالصـة نقية لوجه الله تعالى .**

الصديق والتـاريخ :

٤ ـ يذكر التاريخ مواقف رائدة للصـديق رضى الله عنه مع رسول الله من خلال رحـلة الايمان الى أرض النور. تدل على سمو الصداقة وعلوها .. فى الطريق الى الغار كان يمشى أمام رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مرة وخلفه مرة وعن يمينه مرة وعن شماله مرة فقـال له رسول الله : ما هذا يا أبا بكر ؟ يقول أبو بكر : اذكر الرصد فأكون أمامك واذكر الطـلب فأكون خلفك . ومرة عن يمينك ومرة عن شمالك لآمن عليـك » .

ما أعظم هذه الأخـوة النقية ، وما أعظم هذا الوفاء الذى لا مثيل له . وما أجمل هذه الصداقة الخالصة النقية .. ان حب أبى بكر لرسـول الله لا يستطيع قلم أن يحدد كنهه انه حب عملى يعلو على كل شىء .. ولمـا دخل رسول الله وأبو بكر غار ثور اقتسما الأيام والليالى فى الغار. فلما كانت ليلة رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ فى الغار قال لصاحبه : أنائم أنت ؟ قال: لا . وقد رأيت صنيعك وتقلبك يا رسـول الله . فما بالك بأبى أنت وأمى يا رسول الله .. ؟ فقال له رسول الله : جحر رأيته قد انهار فخشيت أن تخرج منه هامة تؤذيك أو وتؤذينى فقال أبو بكر : فأين هو ؟ فأخبره الرسول فسد الجحر والقمـه عقبه . فقال له الرسول : **رحمك الله من صديق صدقتنى حين كذبنى الناس ونصرتنى حين خذلنى الناس ، وآمنت بى حين كذبنى الناس وآنستنى فى وحشتى فاى منة لأحد على كمثلك) .**

ورحم الله أبا بكر حين قال لرسول الله اثناء الهجرة : **ان قتلت فانا رجل واحد وان قتلت انت هلكت الأمة ..**

وبعـد ..

فقد اعد رسول الله للهجرة اعدادا لا مثيل له نظم خطتها ووزع المسئوليات ، وكان فطنـا لكل مستلزمات الهجـرة ولم يكن رسـول الله ممن يكتـفون خططهم واعمـالهم باقـوالهم والسنتهم ، وانما كان قائدا فذا وسياسيا ماهرا استطاع بحكمته وعقله وذكائه ان يهيىء للهجرة أسباب النصر ، وان يضمن لها تحقيق اغراضها. بالعمل الذى امتزج بالايمان ، وبالسرية والدراسة القائمة على الجانب العملى . ومن هنـا حقق لأمة الاسلام العزة والكرامة .. فلناخذ من الهجرة ولو درسا مستفاداً واحدا لحياتنا فاننا ان فعلنا ذلك فسنرى الخير والعزة والسؤدد لمجتمعنا .

سراقة بن مالك

فضيلة الشيخ محمد على الطعمى

لم يكن الذين كفروا يومئذ مستريحين فى مكة الى دعوة الرسول محمد عليه السلام، ولا مقتنعين بها ولا راضين عنها ، فراحوا يعملون جاهدين على صدها وعرقلة مسيرتها ، واتخذوا فى ذلك ألوانا شتى من الكيد والدس والعداء المحموم لله والرسول ، ثم تجاوزوا المدى ولجوا فى الطغيان ، فالقوا بكل ثقلهم على المسلمين الذين آمنوا واتبعوا النور الذى نزل من السماء ، ومن هنا أصبحت مكة مسرحا للقلاقل والارهاب .

وشكا المسلمون للنبى ما يلاقونه من المشركين من عنف واضطهاد ، فدعاهم الى التجمل بالصبر وتحمل المشاق فى سبيل الله ، ولما كثرت منهم الشكايات ، أذن لهم عليه السلام فى الهجرة فأذعنوا لكلمة الله وتركوا وطنهم العزيز ، وفلذات أكبادهم وكرائم أموالهم ، وفروا بدينهم من أرض ضاقت عليهم بما رحبت ، الى أرض فيها متسع للأديان .

انتشار الدعوة بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة:

ومضى الرسول فى تبليغ رسالة ربه تعالى ،لا يرهب مساءة ولا يخشى لائما ، وقريش تتربص به الدوائر وتكيد له كيدا .. ولكى تتسع دائرة الرسالة شيئا فشيئا ، ولكى تقوى دعامتها وتنطلق فى دنيا الناس ، أذن الله لرسوله بالهجرة الى المدينة ، فأعد لها العدة ، وخرج مع أبى بكر الصديق — رفيق صباه وأحب أصحابه اليه ، لكنه عليه السلام قبل أن يخرج من مكة ألقى عليها نظرة وداع وقال ((والله انك لأحب بلاد الله الى الله ، وأحب بلاد الله الى ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت)) .

فى هذا اليوم المشرق الجميل ، فى يوم الهجرة المعطاء .. والفاصل بين الحق والباطل، استيقظ القريشيون وهالهم أنهم لم يجدوا الرسول بين أظهرهم ، فطار صوابهم ودب فيهم دبيب الهلع ، وأحسوا بأن صاعقة ستنزل عليهم من فوقهم اذا أفلت محمد من أيديهم ، فرصدوا مائة ناقة تعطى لمن يدلهم على المكان الذى ذهب اليه أو اختفى فيه ، كجائزة سخية وفورية يتصرف فيها كيف يشاء .

سراقة يتتبع أخبار الرسول :

وسمع سراقة بن مالك بن جشم بن مرة بن كنانة المدلجى الكنانى ، يكنى أبا سفيان ، وكان يسكن فى ((قديد)) ، سمع عن ضخامة تلك الجائزة وعن عددها الوفير ، فتمنى لو علم بمكان النبى ليفوز بها ، وبالتالى ينال شرف العثور على محمد الذى أعجز قريشا ، فيدوى اسمه فى الآفاق ، لكن أنى لسراقة ذلك والمكيون بشيوخهم وشبابهم وأحابيشهم ، فتشوا الطرق ، ونقبوا أفواه الجبال، ومسحوا أرض الحرم وما جاورها مسحا تاما ،فلم يجدوا للرسول أثرا .

وجلس سراقة بعقله الثاقب ، يفكر فى المكان الذى اختفى فيه الرسول ، أو فى الطريق الذى يمكن أن يكون سلكه عسى أن يلحق به ويرده الى قريش ، ولو لقى فى سبيل ذلك الصعاب وركب الأهوال ، فقام وقعد ، ثم عن له أن يذهب الى نادى قومه ، فلما استوى فيه جالسا قلب نظره

فى الحاضرين فى صمت وحيرة ، ليسمع ما يدور بينهم من حديث فلم يسمع الا الأحاديث العابرة التى اعتادوا أن يخلطوها من هنا وهنـاك ،وبينما هو كذلك ، اذ أقبل رجل من عشـيرته الى النادى وقال : والله لقد رأيت ركبة ثلاثةمروا على أنفار واني لأراهم محمدا وأصـحابه ، فأومأ اليه سراقة بعينه وقال له : أسـكت ،فسكت الرجل ، فقال سراقة مغالطا : انما هم بنو فلان ، يفتشون عن ناقة لهم ضلت الطريق ، فقال الرجل : قد يكون ذلك وسكت ، ومكث سراقة قليلا وخاصة فى حديث آخر ، ليعمى على قومه أهمية هذا الخبر المهول ، ثم قام ودخـل بيته ولبس سلاحه ولأمته وركب فرسه ، وأخـذ القداح التى كان يستقسم بها ، وأدار السهام، فخرج السهم الذى يكرهه ، فتشاءم من هـذا الطالع البغيض ، لكنه مع ذلك أصر على متابعة النبى ، ليحظى بالجـائزة السـخية والشرف العظيم .

وسار سراقة فى الطريق يبغى محمدا ، فبينما فرسه تجرى اذ كبت ، فسقط من فوقهـا على الأرض ، فتعجب من ذلك وأخـرج قداحـة واستقسم بها ، فخرج السهم الذى يكرهه ، فعل ذلك ثلاث مرات ، والسهام تخرج بعكس ما يريد، فتشاءم من ذلك أكثر ، ومع هذا أصر على متابعة الرسول ، فمشى وراءه جادا فى الطريق ، حتى اذا أوشك أن يدركه ، وأصبح منه قاب قوسين أو أدنى ، كبا فرسه وغاصت رجلاه فى الأرض ،ثم رأى دخانا شديدا كالاعصار ، فانهارت أعصابه ودخل فى قلبه رعب قوى ، فتأكد له أن النبى معصوم ولن يصيبه أذى ، وأنه ظاهر فى دعوته، فنادى على الرسول قائلا : أنا سراقة بن مالك ،أنظرونى حتى أكلمكم ، فوالله لا أرييكم بشىء ، ولا يأتيكم منى سوء ولا أمر تكرهونه ، فقـال النبى عليه السلام لأبى بكر : قل له : وماذا تبغى منا ؟ فقال له ذلك أبو بكر ، فقال سراقة : أبغى خلاص فرسى من الأرض ولا أدل عليكم أحدا ، وعلى عهد الله وميثاقه أن أفى بما أقول ، ثم أننى أطلب من الرسول أن يكتب لى كتابا ، يكون آية بينى وبينه ، فدعا الرسول لفرسه فانطلقت من الأرض ، كأن لم يكن بها شىء ، وأمر النبى عليه السلام أبا بكر أن يكتب له كتابا ، فكتب له كتابا على عظم أو رقعة ، فوضعها سراقة فى كنانته ، وقبل أن يفارق سراقة النبى ، قال له عليه الصلاة والسلام : كيف بك يا سراقة ، اذا لبست سوارى كسرى ملك الفرس ؟

ورجع سراقة من حيث أتى الى بيته فى «قديد» فدخل نادى قومه فوجدهم يسمرون فى شأن محمد، وخروجه من مكة وقد أكثروا فيه الأقـاويل ،فتركهم ومضى الى حال سبيله .

ولقد وفى سراقة بوعده مع الرسول ، وصدق فى عهده معه ، فلم يخبر قريشا ولا غير قريش باللقاء الذى تم بينهما ، ولا بما جرى لفرسـه من أمر خارق للعادة ، يعتبر معجزة من المعجزات ، وظل طاويا سره فى صدره .. ومنتظرا تطـور الأحداث بين مكة والمدينة ، وما تسـفر عنه من أمور جسام .

ووصل الرسول الى المدينة بعون من الله ،وشاع نبأ وصوله كالبرق ، فعلم به القـاصى والدانى فى جزيرة العرب ، كما تناقلت الأنباء بأن سراقة بن مالك أراد أن يعترض على الرسـول فى طريق الهجرة فغاصت قوائم فرسه فى الأرض، وأصابه رعب وهـول شـديدان ، فطلب من الرسول أن ينقذه من ورطته التى وقع فيهـا ،على أن يكتم عنه كل شىء ، ولا يخبر بذلك أحدا .

وسمع أبو جهل بما جرى مع سراقة والنبى ،فذهب الى سراقة ليعاتبه ، لأنه أضـاع على قريش فرصـة لن تعوض ، فقـال سراقة لأبى جهـل :

أبا حـكم والله لو كنت شـاهدا	لأمر جوادى اذ تسـوخ قوائمـه
علمت ولم تشـك بأن محمـدا	رسـول ببرهان فمن ذا يقـاومه ؟
عليـك بكف القـوم عنـه فاننى	أرى أمـره يوما سـتبدو معـالمه
بأمر يود النـاس فيـه بأسرهم	بأن جميـع النـاس طـرا يسـالمه

اسلام سراقة بن مالك :

وظهر دين الاسلام فى المدينة وعزت كلمتـه فيها ، واخذ يغطى جزيرة العرب ويتجـاوز حدودها ، وسراقة بن مالك باق على دينـه ،حتى اذا كانت غزوة حنين وفرغ النبى منها ومن

الطائف خرج سراقة ومعه كتاب النبى عليه السلام ، فلقيه بالجعرانة ، فدخل فى كتيبة من الأنصار ، فأخذوا يقرعونه بالرماح ويقولون له ماذا تريد ؟ فاندفع الى الرسول ، وكان عليه السلام راكبا ناقته فأعطاه الكتاب ، وقال يا رسول الله هذا كتابك .. أنا سراقة بن مالك، فقال عليه السلام : هذا يوم وفاء وبر ، ثم قال النبى أدن .. فدنا سراقة من النبى ، فشرح الله صدره وأسلم ، وأخذ يسأل فقال : يا رسول الله ان الضالة من الابل ، تغشى حياضى وقد ملأتها لابلى ، هل لى من أجر فى أن أسقيها ؟ قال : نعم « فى كل ذات كبد حرى أجر » ورجع سراقة الى قومه فى « قديد » وأدى ما عليه من زكاة للرسول .. وأخذ يعمل مجاهدا تحت لواء رسول الله .

ودار الزمن دورته ، وتعاقبت الأيام وراء الأيام ، وجاء عمر بن الخطاب أميرا للمؤمنين ، وفى عهده المبارك فتح المسلمون بلاد فارس ، واستولوا على قصر كسرى ، واستولوا على ما فيه من جواهر وكنوز ، ودخل سعد بن أبى وقاص غرفة العرش ، وصلى فيها ثمان ركعات شكرا لله ، وقرأ فى الركعة الأولى « كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين ، كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين »(١) .

وأرسل سعد بن أبى وقاص الى عمر بن الخطاب الغنائم ، التى غنمها من المدائن عاصمة الفرس ، وكانت مهولة وثمينة وكثيرة ، تأخذ القلوب وتبهر الأبصار ، وكان من بينها قميص كسرى وسراويله ووشاحه ومنطقته ، وأرسل تاجه العجيب وسواريه اللتين لم تر العين أحسن منهما ، ولا مثلهما قط ، فلما وصلت هذه الأشياء الى عمر أخذ يقلبها بدرته ويقول : « ان قوما أدوا هذه المجوهرات النادرة لأمناء ، فقال الامام على كرم الله وجهه « عففت فعفت رعيتك ، ولو رتعت لرتعوا » .

وفى مجلس عام ضم أصحاب رسول الله ، دعا سيدنا عمر رضى الله عنه ، سراقة بن مالك وألبسه قميص كسرى ومنطقته ووشاحه ، ووضع على رأسه تاجه وألبسه سواريه ، وقال عمر لسراقة : ارفع يديك ، وقل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، الذى كان يقول أنا رب الناس، وألبسهما سراقة الأعرابى .. ثم قال عمر : بخ .. بخ .. أعرابى من بنى مدلج ، على رأسه تاج كسرى ، وفى يديه سواراه ، فلما رأى الصحابة ذلك المنظر المثير قالوا : الله أكبر الله أكبر .. وتذكروا وعد النبى عليه السلام لسراقة يوم الهجرة ، حين قال له : كيف بك يا سراقة اذا لبست سوارى كسرى ؟ فعلموا أن ذلك من معجزات النبوة التى هى من أنباء الغيب ، فخروا لله ساجدين .

نظرة الحاكم الأمين الى المال :

ونظر عمر الى المال الذى جاءه من المدائن فرفع رأسه الى السماء وقال « اللهم انك منعت هذا المال من رسولك ، وكان أحب اليك منى وأكرم عليك ، ومنعته أبا بكر ، وكان أحب اليك منى وأكرم عليك ، فأعوذ بك أن تكون قد أعطيتنيه لتمكر بى » ثم أخذ يقسمه بين المسلمين حتى فرغ منه تماما ..

ان الايمان القوى بالله يصنع المستحيل ، والمسلمون الأوائل كان ايمانهم قويا وصادقا ، فانزوت لهم الأرض ففتحوا مشارقها ومغاربها فى ربع قرن من الزمان .

من كان يصدق أن النبى وهو محاصر بن جبال مكة من قريش ، يبشر سراقة بأن الاسلام سينتشر حتى يلتهم مملكة فارس وينتزع بلاد الروم ، ويحطم الطواغيت التى كانت تعبد من دون الله ؟

ان كلمة الله لن تتغير ، ووعده لن يتبدل ، وسيبقى الاسلام دينا خالدا وظاهرا ما بقيت الأرض ، ولو كره الكافرون .

وما بشرى الرسول لسراقة فى طريق الهجرة الا آية من آيات الله ، تمخض عنها سير الزمن، فكانت حقيقة ملموسة وحدثا عظيما ، ونورا باهرا يهدى به الله من يشاء .

سلام على سراقة بن مالك ، الذى عاش جنديا مخلصا لله والرسول ، الى أن وافته منيته فى صدر خلافة عثمان بن عفان ، سنة أربع وعشرين هجرية ، فلقى الله راضيا مرضيا .

---

(١) سورة الدخان الآيات من ٢٥ — ٢٩

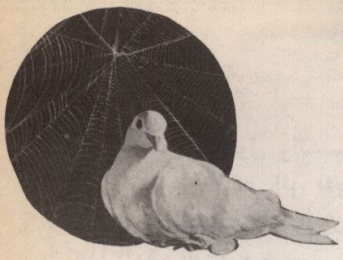

مفهـــوم الهجـــرة

فضيلة الشيخ عبد الوهاب الساكت

الهجرة : لغة من الهجر الذى هـــو ضد الوصل أو من التهجير وهو شدة الحر وذلك لما فى الهجرة من المشـــقة النفســـية والحسية لانقطاع الانسان عن الحال التى كان قد ألفها والمكان الذى نشأ فيـــه والله تعالى يقول « ومن يهاجر فى ســـبيل الله يجد فى الأرض مراغمـــا كثيرا وســـعة » والمراغمة المشقة والمعاناة وقد وصفها الله تعالى فى الآية بالكثرة لما يلقى الانســـان من شدائد الغربة ومشقة الطريق ثم يأتى بعد هذا العناء اليسر والسعة حيث يجد المهاجر نفسه وقد خلصت من ألوان الضيق التى تحيط بها من أعدائها وانطلقت لتعمل فى نشاط وأمان .

وفى عالم الحيوان والطيور نجد الهجرة دائمة فتتجول الوحوش وتهرب من الحـــر الى البرد ومن البرد الى الحر ومن أماكن تخافها الى أماكن تألفها والشاعر العربى يقول :

وان ســـداد الرأى والحـــزم لأمرىء اذا بلغتـــه الشـــمس أن يتحـــولا

الهجرة سبيل للفتح والنصر :

وقد كانت الهجرات سبيلا للفتح والنصر لكثير من الدعاة والمصلحين وعلى رأسهم سيد النبيين والمرسلين محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والهجرة شرعا .. هى الخروج من بلد الى أخرى لله تعالى كهجرة القبائل لتعليم الفضائل وهجرة من أسلم الى الحبشة أو الى المدينة وهى هجرة حسية ومعنوية .

وهناك هجـــرة معنوية فقط الى الله تعالى بالتوحيد والاخلاص والانابة والتوكل عليه والخوف من عقابه وغضبه وانتقامه والرجاء فى عفوه وكرمه وتوفيقه والمحبة والتوبة من المعـــاصى .. والى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمتابعة لأقواله وأفعاله والانقياد لأمره والتصديق لخبره وتقديم أمره ونهيه على أمر غيره ونهيه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديث له « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه والهجرات المعنوية كثيرة ودائمة فى عالم الانســـان الداخلى حيث

يهاجر المرء من الخمول والكسل الى السعى والعمل ومن المعاصى الى الطاعات ومن الشرور الى الخيرات ومن الكفر الى الايمان ومن الضلال الى الهدى وهذه الهجرات مصابيح الهدى تخرج الانسان من الظلمات الى النور وتفتح له طرقا من الهجرات من خارج النفس الى ماشاء الله من هذا العالم الرهيب .

والهجرة الحسية والمعنوية سبيل الأنبياء فى دعوتهم الى الله تعالى كلما اشتد عناد أقوامهم وكان المقام بينهم عسيرا .. يهاجرون لا ليفروا من ميدان الجهاد فى سبيل الله بل ليلجئوا الى ما يقوى جانبهم ويسهل عليهم أمر الدعوة الى الله تعالى لأنهم المثل العليا فى الجهاد والتضحية ونشر الفضائل التى تحقق السعادة والكمال الانسانى للناس أجمعين .

يهاجرون بأمر الله ولهذا قال الله تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم (فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت) وهو سيدنا يونس عليه السلام حيث ذهب مغاضبا من قومه لأجل ربه لما لم يؤمنوا به حيث دعاهم الى الله تعالى (اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون) كل هذا لأنه ترك قومه من غير أن يأمره الله بالهجرة .

لهذا نجد أن سيدنا ابراهيم عليه السلام وقد آتاه الله الرشد من قبل الجدال مع قومه وكانوا غارقين فى عبادة الأوثان فى كل البلاد التى هاجر اليها فى العراق ودمشق وشرقى الأردن ومصر والحجاز فانكر على قومه فى العراق عبادتها كما حكى القرآن ذلك قال تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون)) وبدأ دعوة أبيه بالليل كما حكى القرآن قوله (يا أبت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا يا أبت انى قد جاءنى من العلم مالم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا ياأبت لاتعبد الشيطان ان الشيطان كان للرحمن عصيا . يا أبت انى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا) فلم يؤثر فيه وأصر على عبادتها قائلا (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا) فقابل كلام والده بصدر رحب قائلا (سلام عليك سأستغفر لك ربى أنه كان بى حفيا واعتزلكم وما تدعون من دون الله) بعد أن بين لهم خطأ عبادتها ثم تغفلهم فى يوم عيد وكسرها وكادوا له برميه فى النار فحفظه الله وكانت بردا وسلاما عليه بأمر الله تعالى فأمره الله بالهجرة فهاجر الى حران بلدة بين دجلة والفرات فوجد أهلها يعبدون الكواكب فنبههم الى خطأ عبادتها وأنها متغيرة مسخرة لغيرها فلا تصلح أن تكون آلهة تعبد . ثم أعلن اتجاهه الى الله قائلا (يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين) معلنا البراءة من شركهم ثم اتجاهه الى الله تعالى .. ثم هاجر الى فلسطين وكان معه زوجه ساره وابن أخيه لوط عليهما السلام فسكن لوط شرقى الأردن الى ذلك السهل الخصيب حيث كانت سدوم وعمون وبقى ابراهيم عليه السلام غربى الأردن يتردد بين نابلس وخليل الرحمن وبئر سبع وغيرها .. ثم هاجر الى مصر هو وزوجته فاستولى عليها فرعون لكن الله حماها من كيده بحفظه لها وتكريما لسيدنا ابراهيم عليه السلام ورجع من مصر الى الأرض المقدسة بمال كثير ثم هاجر الى مكة هو وزوجه هاجر وولده اسماعيل عليهما السلام لتكون هذه الهجرة سببا فى أن تهوى أفئدة من الناس الى البيت الحرام واليهم .

هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم :

أما هجرة رسولنا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم فقد جاءت بعد أن ظل ثلاثة عشر عاما يدعو الناس الى توحيد الله ونبذ عبادة الأوثان وكان يوافى الموسم كل عام يتبع الحجاج فى منازلهم وفى المواسم بعكاظ ومجنة وذى المجاز ويسأل عن القبائل ومنازلها ويقول :

« ياأيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا وتملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم فاذا آمنتم كنتم ملوكا فى الجنة » .

ولكنهم حاربوه هو واتباعه بكل الوان الاضطهاد والسخرية والاستهزاء وأخيرا اجتمعوا فى دار الندوة يريدون الخلاص منه وكانت مشاوراتهم تدور حول اخراجه من مكة أو حبسه أو قتله وكان الرأى الذى أجمعوا عليه أن يعطى خمسة نفر من خمس قبائل سيوفا فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه على القبائل فلا يقوى بنو عبد مناف على حربهم فأمره الله بالهجرة وأنزل عليه قوله « وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا » فاستخلف سيدنا عليا ليؤدى الأمانات التى عنده وأن ينام على فراشه فكان أول من شرى نفسه فى سبيل الله تعالى كما قال تعالى : « ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله » ثم أعد العدة للهجرة فكان أبو بكر الصديق لمرافقته وعلى لرد الودائع وللنوم على فراشه وعبد الله بن أبى بكر لنقل الأخبار عن المتآمرين وأسماء بنت أبى بكر للتموين تساعدها أختها السيدة عائشة وعامر بن فهيرة لاعفاء الآثار وليطعمهما اللحم واللبن وعبد الله بن أريقط لاخفاء النوق وليدلهما على الطريق واختياره صلى الله عليه وسلم طريقا غير مسلوك من الغار الى المدينة لم يلقه به أحد وهو سائر الا القليل كسراقة بن مالك ولذلك سجل القرآن الهجرة على أنها نصر فقال تعالى: « إلا تنصروه فقد نصره الله اذا أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم » .

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصديقه أبو بكر رضى الله عنه ولقيا فى الغار من اكرام الله لهما بنسيج العنكبوت عليه وبيض الحمامة على الغار وتعيشيشها . وفى الطريق من خلاص النبى صلى الله عليه وسلم من كيد سراقة بن مالك الذى أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم لينال الجائزة التى أعدتها قريش لمن يقتله وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الطريق حتى أصبح قريبا من المدينة ولما بلغ الأنصار مقدم النبى صلى الله عليه وسلم خرجوا للقائه بسيوفهم وسلاحهم لينصروه على أعدائه ولحمايته ولمواساته هو واصحابه الأمر الذى سجله القرآن فقد نزل فى حق المهاجرين قول الله تعالى « للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » كما نزل فى حق الأنصار الآى بعدها « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » .

مقر هجرة الرسول :

ولقد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهجرا لتكون مقرا له ولأصحابه لأن قلبه الشريف متعلق بها لوجود أخوال جده عبد المطلب وهم بنو النجار بها — ولأن اباه عبد الله مدفون بهـا وكانت أمه تزور هذا القبر كل عام وقد صحبها فى ذلك وشاء الله أن تموت أمه وهى عائدة فى احدى الزيارات لهذا القبر وتدفن فى الطريق بين مكة والمدينة « بالابواء » .

ولقد كان لهذه الهجرة نتائج عظيمة فقد فـرق الله بها بين الحق والباطل وبين أوليائه وأعدائه وجعلها مبدأ لاعزاز دينه ونصر عبده ورسوله وأزال رسول الله بها الخلاف بين الأوس والخزرج وهم من أب واحد بعـد أن دام الخـلاف بينهم مائة وعشرين سنة بسبب مكر اليهود وكيـدهم وعملهم الدائب على تفريقهم واذهاب وحدتهم كما يفعلون معنـا الآن حيث يفـرقون بين الـدول الاسلامية المحيطة بها ومن نتائجهـا أن رسول الله عقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار التى كان من آثارها انها أتاحت للمسلمين أن ينظموا أنفسهم كما تنظم الشعوب أنفسـها ليكونوا خير أمـة أخرجت للناس وأنها كانت الباب الذى فتحه الله لنشر دينه واعلاء شأنه والقضاء على الـكفر والشرك فى الجزيرة العربية وكانت عظة للمتجبرين الذين يغرهم السلطان ويعميهم الطغيان ويحسبون أنفسـهم أنهم قـادرون على كل شىء فاذا هم مقهورون مغلوبون ولقد رأى الناس بأعينهم أن الحق لابد أن ينتصر .

وابتدأت الدعوة المحمدية بعد ذلك حياة جديدة فأخذت تغزوا القلوب ومازال رسول الله يجاهد هو وصحبه الأبرار حتى أقر الله عينـه بثمرة جهاده ورأى كلمة التوحيد تعمل عملها فى معسكرات الشرك والوثنية الى أن نزل قوله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ثم تلاه قوله تعالى « اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا » .

فاذا أردنا عزة ونصرا على أعدائنا فعلينا أن ننهج نهج رسول الله فى صبره وجهاده واعداده واستعداده ونعود الى الأخاء فى الله تـاركين الاحن والبغضاء والشهوات قانتين لله مخلصين فى عقائدنا وأعمالنا وجهادنا شـارحين لأبنائنـا هجرة رسول الله وأنبياء الله والمغزى من تلك الهجرة لتحيا الفضائل فى نفوسـهم فهذا سـبيل النصر فقد وعد الله بنصر من ينصره « وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم » .

وفقنا الله للعمل على ما فيه عزنا وانتصارنا على أعدائنا والله غالب على أمره وهو حسبنا ونعم الوكيل .

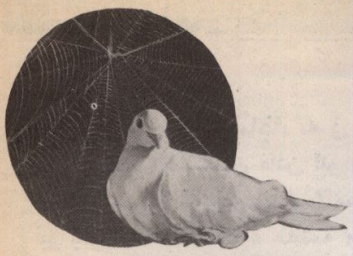

الهجـــرة إلى المدينـة

الدكتور الحسينى هاشم

كان لهجرة النبى صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة أثر عظيم فى قوة المسلمين ، واتساع نطاق الاسلام وانتشاره فى مشـارق الأرض ومغاربها ، فلقد ظل الاسلام حبيسا بمكة ثلاثة عشر عاما لم يتجاوزها الى سواها ، ذلك لأن زعماء قريش وقفوا لدعوة محمد (صلى الله عليه وسلم) بالمرصاد يتناولون من آمن بهـا بأنواع الاضطهاد والايذاء ووصـل الأمر بهم الى قتل بعض من آمن بالدعوة من الضعفاء أو تعذيبهم .

ولقد صبر النبى صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين على الأذى والتنكيل .

ولما اشتد عليهم الأذى أذن لهم الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالهجرة الى الحبشـة مرتين ، فلقوا من النجاشى كل ترحيب ، وكان ذلك سببا فى ايمانه .

ولما اشتد أذى المشركين وبلغ السـيل الربى قرر الهجرة الى المدينة ، لتكون منطلقا للدعوة الاسـلامية ولما دبرت قريش قتل محمد (صلى الله عليـه وسـلم) أطلعه الله على مؤامرتهم وأمره بالهجرة الى المدينة .

هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)
الى المدينـــة كانت بأمـــر من الله :

قال ابن عباس فى قوله تعالى : (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صـدق) قال : « وقل رب أدخلنى » المدينة (مدخل صدق) ادخالا مرضيا لا أرى فيه ما أكره (وأخرجنى) من مكة (مخرج صدق) اخراجا لا ألتفت اليها بقلبى .

وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر وأخبر عليا لمخرجه وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس .

قالت عائشة : فبينما نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر فى نحو الظهيرة قالت أسماء بنت ابى بكر لأبيها . هذا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مغطيا رأسه ، قال أبو بكر : فداء

له أبى وأمى ، والله ماجاء به فى هذه الساعة الا أمر حدث ، فجاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاستأذن فأذن أبو بكر له فدخل ،فتنحى أبو بكر عن سريره ، وجلس عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال (صلى الله عليه وسلم) لأبى بكر أخرج من عندك ، فقال ابو بكر انما هم أهلك ، عائشة وأسماء ، وذلك أن عائشة قد كان أبوها أنكحها منه (صلى الله عليه وسلم) قبل ذلك ، وأسماء صارت بمنزلة أهله لنكاحه أختها ، فقال (صلى الله عليه وسلم) فانه قد أذن لى فى الخروج من مكة الى المدينة فقال أبو بكر : أريد الصحبة بأبى أنت وأمى يارسول الله ، قال (صلى الله عليه وسلم)نعم الصحبة ، ثم بكى أبو بكر من شدة الفرح ثم عرض أبو بكر راحلتين كان قد علفهما أربعة أشهر ، وأخذ النبى احداهن بالثمن وكانت تسمى القصواء ، وأراد بذلك أن تكون هجرته (عليه الصلاة والسلام) الى الله بنفسه وماله رغبة فيه فى استكماله .

فضل الهجرة الى الله تعالى ، وأن تكون على أتم الأحوال :

ترك الرسول ابن عمه على ينام على فراشه ، وخرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) والقوم يرصدونه ، ولكن الله أعماهم فلم يروه ،وخرج الرسول (صلى الله عليه وسلم) من بين الراصدين ، وقد أعماهم الله وغفلوا وناموا فنثر التراب على رءوسهم وهو يتلو آيات من أول سورة (يس) الى قوله « فأغشيناهم فهم لايبصرون » واستأجر الرسول وصاحبه عبد الله ابن أريقط ، ودفعا اليه الراحلتين . وكان دليلا ماهرا وأمينا .

وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال ، ثم خرج النبى مع أبى بكر وسارا حتى بلغا غار ثور فاختفيا فيه .

ولما تحققت قريش من خروج محمد طلبوه من كل جهة مستعينين بالعرافين بالأثر ، وجعلوا لمن يأتى بالرسول (صلى الله عليه وسلم) أويدل عليه مائة من الابل ، فوجد أحدهم أثره متجها الى جبل ثور فتبعه حتى الجبل ، وقال : هنا انقطع الأثر ، ولا أدرى أين اتجه بعد ذلك .

تعذر على القائف أن يعرف مصير الرسول(صلى الله عليه وسلم) بعد وصوله الى جبل ثور ، فقد أحاطه الله بعنايته ، فأنبتت شجرة بباب الغار الذى ثوى اليه فيه ، وسخر الله العنكبوت فنسجت على الشجرة وعلى باب الغار(كما رواه البزاز وغيره) وأرسل حمامتين فباضتا فى مدخله .

فلما أقبل فتيان قريش مع القائف ، وأروا تلك الظواهر التى أخفى الله بها رسوله ، استبعدوا أن يكون قد دخل فى الغار .

وقال أمية بن خلف ، وماحاجتكم الى الغار،ان فيه عنكبوتا أقدم من ميلاد محمد ، ولو دخل لكسر البيض ، وقطع العنكبوت وفى ذلك يقول البوصيرى .

حماية الله أغنت عن مضاعفة ... من الدروع وعن عال من الأطم

ويقول فى همزيته .

أخرجوه منها وآواه غار ... وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ... ما كفته الحمامة الحصداء

وفى اليوم الثالث جاء الدليل عبد الله بن أريقط بعد أن انقطع الطلب عنهما ، فارتحلا ، وسار الدليل أمامهما وعين الله تكلؤهما .

واتجه الرسول نحو الساحل ، وحدثت أثناء الرحلات عدة معجزات .

كانت قريش قد وعـدت من يقبض على الرسول (صلى الله عليه وسلم) بجائزة وممن طمع فيها « بريدة بن الحصيب فتعرض له ، ولكن الله هداه فأسلم » .

أخرج البيهقى عن بريدة قال :

(لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبى (صلى الله عليه وسلم) حملنى الطمع فركبت فى سبعين من بنى سهم فلقيته فقال من أنت ؟ قلت بريدة ، فالتفت صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وقال: «برد أمرنا وصلح » ، ثم قال: ممن أنت، قلت: من أسلم ، قال: «سلمنا ، ثم قال ممن؟ قلت من بنى سهم ، قال أخرج سهمك يا أبا بكر، فقال بريدة : من أنت ؟ قال : أنا محمد بن عبد الله رسول الله ، فقال بريدة : « أشهد أن لا اله الاالله وأن محمدا عبده ورسوله ، وأسلم من كان معه جميعا ، قال ، بريدة » : الحمد لله أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين ، فلما أصبح قال بريدة : يارسول الله ، لاتدخل المدينة الا ومعك لواء ، فحل عمامته ثم شدها فى رمح ، ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة .

ولما سمع المسلمون بالمدينة بهجرة الرسول من مكة قاصدا المدينة اخذوا يغدون كل صباح الى ظاهر المدينة (بالحرة) ينتظرونه حتى اذا ما اشتدت عليهم حرارة الشمس قفلوا راجعين فى قلق لتأخر وصوله وغاب عنهم انه مكث فى الغار ثلاثة أيام .

وفى صبيحة يوم مشرق من أيام ربيع الأول تأهب الرسول (صلى الله عليه وسلم) لدخول المدينة (يثرب) فى رائعة النهار وصعد رجل من أهل المدينة الى الجبل فأبصر النبى ومن معه قادمين ورأى نورا يضىء بين القوم فعرف أنه محمد (صلى الله عليه وسلم) فنادى بأعلى صوته (يا معشر العرب) هذا جدكم الذى تنتظرونه فخرج أهل المدينة فرحين مستبشرين يتطلعون الى رؤية الهادى يهللون فرحين منشدين :

طلع البدر علينا ... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ... ما دعا لله داع
ايها المبعوث فينا ... جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة ... مرحبا يا خير داع

ونزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقباء ، ووفد الناس عليه من أطراف المدينة فرحين لمقدمه .

وفى غمرة الفرح طلب الرسول (صلى الله عليه وسلم) من المسلمين أن يأتوه بالأحجار ليبنى مسجدا ، وجمعت الأحجار وخط الرسول القبلة وبدأ فى البناء ، ولم يزل به حتى اقام اول مسجد اسس فى الاسلام ونزل فيه قوله تعالى « لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه ، فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين » (سورة التوبة آية ١٠٨) .

واول عمل قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد بناء المسجد انه آخى بين المهاجرين والأنصار ، وكان الأنصار يؤثرون المهاجرين على انفسهم ، وفيهم نزل قوله تعالى «والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ،ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه ، فأولئك هم المفلحون» سورة الحشر آية ٩ .

وكان لهذه الأخوة تأثير عظيم فى وحدة المسلمين وجمع صفوفهم ، وتصفية قلوبهم ، ونبذ الأحقاد والضغائن التى كانت بين قبائلهم حتى أصبح المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا ، وكان لهذا ايضا أثره فى قوة المسلمين ،وما أصابوه بعد ذلك من الفتح والنصر المبين .

ان هذه الهجرة حدث عظيم فى تاريخ الاسلام فقد انتقلت الدعوة الاسلامية من الضيق الى السعة ، ومن الضعف الى القوة ، ومن استهتار المشركين بالمسلمين الى سيادة المسلمين وعمل الحساب لهم ، وانتقلت الأمة العربية من فوضى الى نظام ، وأخرجت الناس من الظلمات الى النور وكانت نقطة تحول فى تاريخ البشرية كلها .

معاهدة التعاون بين المسلمين وغير المسلمين :

بعد أن آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار خطا خطوة حاسمة اعتبرت . فتحا جديدا فى الحياة السياسية لتحقيق التحالف بين سكان المدينة جميعا مسلمين وغير مسلمين ، حيث قد أحسن اليهود استقباله أملا فى استدراجه الى صفوفهم ، ورد الرسول صلى الله عليه وسلم التحية بأحسن منها ،فتحدث الى رؤسائهم ، وربط بينه وبينهم برابطة المودة لأنهم أهل كتاب موحدون .

ونتيجة لهذا عقد بين المسلمين واليهود معاهدة صداقة وتحالف ، وتقرر فيها كثير من الحريات وحرمة المدينة وحرمة الحياة ، وحرمة المال ، وتحريم الجزية الى غير ذلك من المبادىء السامية التى جعلت من هذه الوثيقة فتحا جديدا ،وكانت جديرة بالاعجاب على مر التاريخ . وبهذا تعد الهجرة الى المدينة فتحا جديدا ونصرا مبينا لكلمة الله .

قال تعالى « الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، فانزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا،والله عزيز حكيم » سورة التوبة آية ٤٠ .

وفى هذه الآية يصور الله تعالى ، اخراج الكفار للرسول (صلى الله عليه وسلم) من مكة وهجرته مستخفيا فى جنح من الليل مفارقا البلدة التى ولد فيها ، والتى بها عشيرته وقومه الى بلدة يجد فيها حرية الدعوة الى الله .

يصور الله هذا بانه انتصار لانه فرار الى الله والفرار الى الله انتصار ، ونحن مامورون بالفرار الى الله فى كل آن والالتجاء اليه ، والفرار الى الله من صفات المؤمنين .

وبهذا الالتجاء الى الله والاحتماء به امداالله المسلمين بالعون وبسط لهم فى الرزق وكتب لهم النصر على اقوى امم فى ذلك العصر وليس للمسلمين منجاة الا بالهجرة الى الله ، بالجهاد فى سبيل الله والنية الخالصة لوجهه وهذه هى الهجرة الكبرى التى اشار اليها الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية) نسأل الله ان يوجهنا اليه ويقربنا منه والله الموفق .

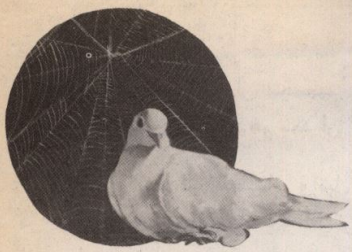

مكانة

الهجـــرة إلى المدينـــة

فضيلة الشيخ مصطفى عبد الحليم الجندى

أصحاب العقائد لا يعرفون لأنفسهم وطنا ، ولا يرضون لأنفسهم مستقرا .. الا حيث تستوطن عقائدهم وتستقر ، انهم يسيرون طوعا لعقائدهم ، ولا يجدون قرارهم وطمأنينتهم الا حيث تجد عقائدهم مستقرها وطمأنينتها ، والا حيث تلقى الرحب والسعة والحرية ، والقدرة على الحركة ، والا حيث تجد الامتثال والقبول.

وأصحاب الرسالات بالذات هم رهناء : لما تحملوه من أمانات ضخمة ، جعلوا حياتهم وقفا عليها ، وجعلوا حلهم وترحالهم تبعا لهواها ، بل جعلوا صداقتهم وخصومتهم وفقا لمدى الاخلاص لما يدعون اليه ويبشرون به ، بل وتبعا لما ارتبطوا به، ونذروا حياتهم له ، فالغريب عنهم اذا عرف الحق قريب ، والمؤمنون بهم آخر الدهر هم اخوانهم وان لم يشاهدوهم أو يفوزوا بصحبتهم ..

لقد عاش النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) فى ربوع مكة ثلاثة وخمسين عاما حتى ألفها والفته : لكنه يخرج منها ويرغب عنها الى وطن جديد يرى فيه امتداد قلبه وثمار غرسه وصدى مايريد .. لا لشىء الا لأن أصحاب الرسالات لايرتبطون أمام ضمائرهم الا بمبادئهم ولايكرمون بيئة بعينها ولا مكانا بعينه الا اذا كان بيئة صالحة وأرضا خصبة لمبادئهم وتعاليمهم التى اليها يدعون ومن أجلها يضحون ويبذلون .

لقد ظل الرسول — صلى الله عليه وسلم — فى مكة ثلاثة عشر عاما يذكر بالله من نسوه ، ويدعو الى توحيده من أشركوا به ، دون أن يصل الى نتيجة ، ودون أن يجيبه الا القليل ، ومن غير أن يلقى الا الايذاء والسفاهة ، والعنت والاضطهاد من كل آثم أو كفور ، بل لايجد الا التهديد والمطاردة فى كل مكان يسعى اليه ، أو يحاول أن ينشر فيه دعوته ويبلغ رسالته .. وكان آخر مالقيه فى ذلك هذا الذى أصابه فى الطائف على أيدى ثقيف وكان لابد وأن يفيض الله للاسلام من يستنقذه من البيئة التى صادرته، وأن يؤنس من وحشته بعد طول اغتراب ، وأن يمكن له سبيل الاستقرار بعد كثير اضطراب .. وبدأت هذه المعجزة تتحقق على أيدى الوفود القادمة من يثرب فى مواسم الحج ..

لقد كان أول لقاء للنبى صلى الله عليه وسلم مع طليعة رهط هذه الوفود عند العقبة حيث كان رهط من الخزرج قوامه (ستة نفر) دعاهم صلى الله عليه وسلم الى الله وعرض عليهم الاسلام ، وتلا عليهم القرآن فأجابوه : وقالوا له انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة

والشر مابينهم وعسى أن يجمعهم الله بك ، ثم انصرفوا راجعين الى بلادهم بعد أن آمنوا وصدقوا

وما أن استدار العام وأقبل موسم الحج مرة أخرى الا وكان اللقاء الثانى للنبى صلى الله عليه وسلم مع هذه الوفود . لقد خرج من المدينة اثنا عشر رجلا من الذين أسلموا فيهم الستة الذين التقى بهم النبى من قبل : اجتمع بهم النبى صلى الله عليه وسلم عند العقبة « **وعقد معهم بيعة العقبة الأولى** : على الايمان والتوحيد وعدم الاشراك بالله شيئا وعلى فضائل الأعمال » والبعد عند مناكرها .

وقصة ماجرى فى بيعة العقبة الأولى يرويها البخارى فى صحيحه عن عبادة بن الصامت : أحد النقباء العظام على قومهم فى حزب الله ، يقول عبادة « **بايعنا رسول الله ليلة العقبة الأولى : أن لانشرك بالله شيئا ، ولا نسرق ، ولا نزنى ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه فى معروف قال : فان وفيتم فلكم الجنة ، وان غشيتم من ذلك شيئا فأخذتم بحده فهو كفارة له ، وأن سترتم عليه الى يوم القيامة فأمركم الى الله ان شاء الله عذب وان شاء غفر** » .

ويستدير العام مرة اخرى : ويقدم من أسلم مع أول وفد للدعاية الى الاسلام يبعثه الرسول مع من أسلم بنشاط عظيم تتمثل نتائجه فى اللقاء الثالث مع وفود الحجيج من المدينة وتكون بيعة العقبة الكبرى : ذلك ان الرجال الذين اعتنقوا الحق قد عرفوا ما يصادف الاسلام ونبيه من صعاب ، وما يعترضهم من عقبات ، وحز فى نفوسهم أن يستضعف المسلمون الى هذا الحد ، وأن يخرج نبيهم يدعو الى الله فلا يجيبه الا آثم أو كفور بما تمتلىء به نفسه من حقد على الاسلام ونبيه كما حز فى نفوسهم أكثر أن يظل رسولهم فى مكة يطارد من أهلها ، ويطوف بالبيت وهو خائف لقد آن لأهل المدينة فرصة أن يعبروا عن ولائهم للاسلام وحماسهم له ، وأن يعملوا كل مافى وسعهم لفك الحصار المضروب حول الاسلام ونبيه .

ان نجاح الاسلام فى تأسيس وطن جديد له وسط صحراء تموج بالكفر والجهالة هو أخطر كسب حصل عليه منذ بدأت الدعوة له ، وأصبح فرضا على كل مسلم أن يسهم فى دعم وبناء هذا الوطن الجديد ، بل وأن يبذل جهده فى تحصينه ورفعة شانه ، بل وأصبح ترك المدينة بعد الهجرة اليها ضربا من النكوص عن الحق ونصرة الله ورسوله ، فالحياة بالمدينة بعد الهجرة اليها دين لأن قيام الدين يعتمد على اعزازها ونصرتها ، وكفالة الأمن والأمان لها ولسكانها .

ونظر المشركون حولهم : فاذا ديار كثيرة فى مكة كانت عامرة بأهلها قد أقفرت وخربت ، فليس بها ساكن ، بل ان الريح لتصفر فى جنباتها ، وتخفق أبوابها — وكانت هناك نماذج رائعة من نماذج التضحية ، وصور البذل لا يسع ذوو الانصاف بازائها الا الانحناء اجلالا وتقديرا واحتراما ..

واجتمع طواغيت الشرك على عجل .. بعد ماعرفوا حجم الخطر الذى سوف يحيق بهم ان أفلت منهم الصيد .. وأجمعوا أمرهم على أن يتخذوا قرارا حاسما فى هذا الأمر :

فرأى بعضهم : أن توضع القيود فى يد النبى عليه السلام ويشد وثاقه فى سجن حتى يموت ... !

ورأى آخرون : أن ينفى من مكة فلا يدخلها . وبذلك تنفض قريش يدها من أمره الى الأبد ..!

ورأى أبو جهل : أن يؤخذ من كل بطن من بطون قريش شابا نسيبا وسطا فتيا ثم يعطى كل فتى سيفا صارما ، ثم يضربونه ضربة رجل واحد . فاذا قتلوه كذلك تفرق دمه فى القبائل كلها وعندها لايستطيع قومه من بنى هاشم أن يطالبوا بدمه .. بل يطالبو بالدية .. فاذا طالبوا بها أديت اليهم .. وقد استبعد المؤتمرون

الاقتراحين الأولين .. وأخذوا باقتراح أبى جهل عليه اللعنة وقد أشار القرآن الكريم الى ما تم التآمر عليه وتدبير أمر هذه الجريمة فى قوله سبحانه وتعالى : **« واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين(١) »** .

وعلم الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة وضعه فى مكة.. وهو ان طواغيت مكة لاينتظرون به الا موعد التنفيذ .. أى انه قد أصبح مهدر الدم ، مستباح الحرمة ، وكان لابد له أن يرسم خطة محكمة من أجل الهجرة والخروج من هذه القرية الظالم أهلها .. الى أرض أراه الله اياها فى منامه ، وندب أصحابه للهجرة اليها بمثل قوله **« قد أديت دار هجرتكم ، أديت سبخة ذات نخل بين لا بين »** (٢) .

وأحكم النبى صلى الله عليه وسلم خطة هجرته ، وأعد لكل فرض عدته ، ولم يدع فى خطته ولا فى حسابه مكانا للخطوط العمياء ، أو الصدف الهوجاء . بل كانت هجرته ولا تزال درسا فى سياسة الأمور واحكامها ..

ولقد كان من صنع الله لنبيه ورعايته له أن تعمى عنه عيون أعدائه وهو منهم على مد الطرف ، ولم يكن ذلك محاباة من القدر له ، بل هو مكافأة من القدر الأعلى لانسان لم يدع وسيلة من الوسائل تتعلق بالحذر الا واتخذها ومرت ليال ثلاث على مبيت الرسول وصاحبه فى الغار ، وخمد حماس المشركين فى الطلب ، وتأهب المهاجران العظيمان لاستئناف رحلتهما الصعبة فى مسارب صحراء توهى العمالقة..وما أن بدأ رحلته فى هذا الطريق المخيف المروع الا وأجرى الله على لسانه هذا الدعاء الجميل **« وقل رب ادخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا »**(٣) .

(١) الآية ٣٠ من سورة الأنفال .
(٢) أخرجه البخارى ، والحاكم ، والبيهقى من حديث عائشة .
(٣) الآية ٨٠ من سورة الاسراء .

وكان أول ماصادفه النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه حين دخولهما المدينة هو ما أبرزته وكشفت عنه ، بل وتجلت عنه تقائض الحياة كأوضح ماتكون بكل ماتحمل من غرائب وعجائب، وتكشف عنه من اختلاف فى طبائع الناس ... !

لقد شهرت مكة سلاحها لتقتله : ولم ترجع عنه الا مقهورة ، وها هى المدينة تستقبله وهى جذلانة طروب . بل : ويتنافس رجالها فيما يعرضون عليه من المنعة والعدة والعدد . ويكفى فى ذلك مارواه البراء قال : أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم جعلا يقرئان الناس القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين راكبا .. ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت الناس فرحوا بشىء كفرحهم به حتى رأيت النساء والصبيان والاماء يقولون : هذا رسول الله قد جاء »(٤) .

وكان أول مابدر اليه النبى صلى الله عليه وسلم بناء المسجد لتظهر فيه شعائر الاسلام التى طالما حوربت : ولقد بنى النبى صلى الله عليه وسلم مسجده الجامع حيث بركت ناقته فى مربد لغلامين يكفلهما « أسعد بن زرارة » فابتاعه النبى بثمنه ..

واشترك الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فى حمل اللبنات والأحجار ، وتم بناء المسجد فى حدود البساطة الشديدة فراشه الرمال والحصباء ، وسقفه الجريد ، وأعمدته جذوع النخل ، وربما أمطرت السماء فأوحلت أرضه ولكن هذا البناء المتواضع الساذج : هو الذى ربى ملائكة البشر ، ومؤدبى الجبابرة ، وملوك الدار الآخرة ... !

ذلك : ان مكانة المسجد فى المجتمع الاسلامى تجعله مصدر التوجيه الروحى والمادى : فهو

(٤) حديث صحيح أخرجه البخارى والطيالسى وأحمد بن حنبل .

ساحة العبادة ، ومدرسة للعلم وميدان تصدر منه قرارات الحرب وتخرج منه جحافل المجاهدين .

ان المسجد الذى وجه النبى صلى الله عليه وسلم اليه همته قبل أى عمل آخر فى المدينة : هو رمز لما يكترث له الاسلام : وهو وصل العباد بربهم وصلا يتجدد مع الزمن ، ويتكرر مع آناء الليل والنهار ... فلا قيمة لحياة ، ولا وزن لحضارة تذهل عن الاله الواحد ، أو تجهل اليوم الآخر أو تخلط المعروف بالمنكر .

وكان ثانى الأمور التى وجه النبى همته اليها .. وجعلها أساسا من الأسس التى يقوم عليها المجتمع الجديد ، صلة عناصر الأمة المسلمة بعضها ببعض .. فهى صلة أقامها الرسول صلى الله عليه وسلم على الأخوة الحقيقية فى الله ، وهى نوع من الأخوة جديد تمحى فيه كلمة (أنا) ويتحرك الفرد فيه بروح الجماعة فلا يرى لنفسه كيانا دونها .. ولا امتدادا الا فيها .

ان معنى هذه الاخوة التى وضع أساسها النبى صلى الله عليه وسلم فى المدينة أن تذوب عصبيات الجاهلية فلا حمية الا للاسلام ، وأن تسقط الى الأبد كل فوارق النسب واللون والوطن فلا يتأخر أحد أو يتقدم الا بمروءته وتقواه ..

ولقد حرص الأنصار على الحفاوة باخوانهم من المهاجرين ، فما نزل مهاجر على أنصارى الا بقرعة وقدر المهاجرون هذا البذل وتلك الحفاوة ، فما استغلوها ولا نالوا منها الا بقدر الضرورة التى تعينهم على الاتجاه الى العمل والضرب فى الأرض والتماس الرزق فهكذا علمهم الاسلام : أن علو الهمة وعفة النفس من أخلاق المسلمين ..والعجيب أن عقود الاخاء التى تمت يوم ان تقدم النبى المدينة ظلت مقدمة على حقوق القرابة فى توارث التركات الى موقعة بدر حين نزل « **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شىء عليم** » (٢) .

ثم كان ثالث ماوجه اليه الرسول عليه السلام همته صلة الأمة بغير المسلمين — من يهود وغيرهم — فلقد سن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك قوانين السماح والتجاوز ووضع أسسا كانت وستظل الى آخر الدهر معالم على طريق التعايش السلمى بين العالمين لقد وجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة يهودا توطنوا بها. ومشركين استقروا فيها فلم يتجه الى سياسة الابعاد والانفراد والمصادرة والمخاصمة .. بل قبل عن طيب خاطر وجود اليهودية والنصرانية وعرض على الفريقين معاهدة الند للند تكون حرية العبادة فيها مكفولة للجميع . ويكون المسلمون واليهود مسئولون فى الدفاع عن يثرب اذا هاجمها عدو وان مجتمع المدينة بجميع عناصره وحدة واحدة على من سواهم .. بذلك أتم الرسول عليه السلام اقامة أساس بنيان المجتمع الجديد أول مجتمع مؤمن عرفته الأرض .

---

(١) الآية رقم ٧٥ من سورة الأنفال .

أبو بكر والغار

● ذكر بعض أهل السِّيَر أن أبا بكر لما رأى المشركين وهو فى الغار ، دلّ ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال : « لو جاء ونا من ههنا خرجنا من ههنا » . فنظر أبو بكر إلى الغار وقد انفرج من الجانب الآخر ، وإذا البحر قد اتصل به وسَفِينَةٌ مشدودة إلى جانبه » .

المدينة المنورة وآثارها الطيبة

فضيلة الشيخ منصور الرفاعى عبيد

المدينة المنورة هى البلدة التى اختارهارسول الله صلى الله عليه وسلم وهاجر اليها ، واصبحت بعد هجرته اليهـا دارالايمان ، ومتبوأ الهدى والفرقان والعاصمة الأولى ... لقد هيأتها الأقدار لتصـبح بذلك البلد الذى يعز فيه دين الله ، وينصر نبيه ، ومنها تحمل الرسالة الى جميع بلاد العالم ، فلولاها : مارأينا للاسلام حضارة شماء . تبهر العيون ، ولا مدنية تخلب العقول ، ولا خلفاء عظماء يقولون فينصت الدهر ، ويسكتون فيتحـدث التاريخ . كانت قبل ذلك تسمى « يثرب » وذكرها القرآن بهذا الاسم صراحة . حيث يقول الحق سبحانه « يا اهل يثرب لا مقام لكم ». ثم سماها القرآن « المدينة » فقال سبحانه: « يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » ..

وبعد ان هاجر اليها الرسول صلى الله عليه وسلم اصبح لها اسماء كثيرة منها :

١ ـ « الدار » لقول الله تعالى « والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم » .

٢ ـ « الايمان » لقول عبد الله بن جعفر : « سمى الله المدينة الدار والايمان » .

٣ ـ « بيت الرسول » لقول الله تعالى : « كما اخرجك ربك من بيتك بالحق » ..

٤ ـ « ارض الله » لقول الله تعالى : « الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها » ..

٥ ـ « سيدة البلدان » لما روى عن بن عمر مرفوعا « ياطيبة يا سيدة البلدان » .

٦ ـ « طابة وطيبة » وذلك لطيب هوائها ، وطهارتها من الشرك وحلول الطيب صلى الله عليه وسلم بها . ولما روى فى الحديث : ان الله سمى المدينة « طابة » وفى حديث آخر : كانوا يسمون المدينة يثرب فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم « طيبة » .

٧ ـ « الدرع الحصـينة » لحديث رواه الامام احمد : « رايت كانى فى درع حصينة فاولت الدرع بالمدينة » .

٨ ـ « حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم » : لقوله : « حرم ابراهيم مكة ، وحرمى المدينة » وفضائل المدينة اكثر من أن تحصى ، ولو لم يكن لها من الفضل الا انها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وموطن اعزاز دين الله حيث أعز الله الايمان واهله فيها ، واذل الشرك وحزبه حولها . ولقى بذلك شرفا وفخرا .

لقد احتضنت دعوة الاسلام ناشئة فتية ،ونهضت بالعبء راضية مرضية ، فكان لها بذلك الشرف الذى لاينال ، والعـزة التى لاترام ،والسابقة الفذة التى لاتسمح بها الأيام .

وهى تقع فى سهل ينحدر نحو الشـمال ، ويحدها من الشـمال جبل أحد ومن الجنوب الشرقى جبل ((عيص)) . ومن الشرق ((الحرة الشرقية)) ومن الغرب ((الحرة الغربية)) .. وهى ذات موقع ممتاز ، تحيط بها المزارع وتمتدحولها ، لأن أرضها خصبة التربة ، عذبة المياه ، طيبة الهواء .. ومنظر النخيل الذى يقع حولهامنظر ساحر جـذاب يأخذ بالألباب ، ويسترعى النظر والانتباه .

حـرمة المدينـة :

هذه هى المدينة التى يقول عنها رسـول الله صلى الله عليه وسلم .. ((لا يختلى خلاها ، ولا ينفر صيدها ، ولا تلتقط لقطتها الا لمن أشادبها ، ولا يصلح لرجل أن يحمل فيهـا السلاح لقتال ، ولا يصلح أن يقطع منها شجرة الا أن يعلف رجل بعيره)) .. ويقول على رضى الله عنه : ((ماعندنا شىء الا كتاب الله ، وهـذه الصحيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم)) . المدينة حرام مابين عائد الى كذا ـ يقصد جبل ((الحرة الغربية والحرة الشرقية ـ من أحدث فيها حدثا أو آوى محـدثا ، فعليه لعنـة الله والملائكة والناس اجمعين ، لايقبل منه صرف ولا عدل ثم قال : ذمة المسلمين واحدة فمن أخفرمسلما فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل .. ومن تولى قومابغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل .. ومن تولى قوما بغير اذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل ..

ان الايمان ليارز الى المدينة كما تارز الحية جحرها ، فهى اذن مجتمع اهل الفضل والخير والسماحة .. ولا يكيد أهل المدينة أحد الا انماع كما ينماع الملح فى الماء .. ، ولا يدخل المدينة رعب المسيخ الدجال .. وهى تنفى خبثها لسبب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال : ((اللهم ان ابراهيم كان عبدك وخليلك ، ودعا لأهل مكة بالبركة وانا عبدك ورسولك : ادعـوك لأهل المدينة أن تبارك لهم فى مدهم وصاعهم مثل ماباركت لأهل مكة)) .. وقوله : ((اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ، اللهم بارك لنا فى صاعنا وفى مدنا ، وصححها لنا وانقل حماهـا الجحفة)) ..

واجر العمل الصالح فيها مضاعف لما روى الطبرانى فى الكبير مرفوعا ((رمضان بالمدينة خير من الف رمضان فيما سواها من البلاد ، وجمعة بالمدينة خير من الف جمعة فيما سـواها من البلاد)) . وفى حديث آخر ((صلاة فى مسجدى هذا أفضل من الف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام)) .

ان هذه الخصائص للمدينة المنورة : لأن فيها دفن أفضل الخلق ودفن أكثر الصحابة حوله فى البقيع ، وأن منها افتتحت سـائر أمصـار الاسلام ، ولأن مسجدها آخر مساجد الأنبياء ، وتشد اليه الرحال .. وروضة من رياض الجنة بين بيته صلى الله عليه وسلم وبين منبره ، الذى هو على ترعة من ترع الجنة .. واختصـاص مسجدها بمزيد الأدب وخفض الصوت ... كل ذلك يجعلنا ننزلها منزلة عظيمة فى قلوبنا ..

آثار المدينة :

ومن الآثار الطيبة فى المدينة المنورة : مسجد« قباء » الذى يقول فيه الحق سبحانه « لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه ، فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين » .. وفيه يقول الرسول صلى الله عليه وسلم « من خرج حتى يأتى مسجد قباء ، فصلى فيه ركعتين كان له كعدل عمرة » .

وكذلك مسجد « الجمعة » ويقع فى منازل بنى سالم من الأنصار . وهو اول مسجد صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم اول جمعة بالناس . عند نزوله من « قباء » الى المدينة .. وكذلك مسجد « القبلتين » .. ويقع فى الشمال الغربى للمدينة .. وسمى بذلك لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصلى فيه الظهر فصلى فيه ركعتين الى القبلة الأولى « بيت المقدس » ثم امر ان يتوجه الى الكعبة فى الركعتين الأخيرتين — قال الزمخشرى : وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال .

مسجد « الفتح » ويقع فى شمال المدينة الغربى على جبل يقال له « سلع » . وهذا المسجد هو الذى قام فيه الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو على الأحزاب فى غزوة الخندق فاستجاب الله دعاءه ، وأرسل عليهم ريحا كفأت قدورهم ، وقلعت خيامهم ، وشتت الجمع ، وتفرق الأحزاب بجنود ربك الذى لا يعلمها الا هو .

مسجد « الاجابة » ويقع فى شمال « البقيع » على يسار السالك الى « العريض » فوق تلال هى آثار قرية « بنى معاوية بن مالك بن عوف من الأوس » وسبب هذه التسمية ، مارواه مسلم فى صحيحه من حديث عامر بن سعد عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل ذات يوم من «العالية» حتى اذا مر بمسجد بنى معاوية ، دخل فركع ركعتين ، وصلينا معه ، ودعا ربه طويلا ، ثم انصرف الينا فقال : سألت ربى ثلاثا . فاعطانى اثنتين ومنعنى واحدة ، سألت ربى ان لايهلك أمتى بالسنة فاعطانيها ، وسألته ان لا يهلك أمتى بالغرق فاعطانيها ، وسألته ان لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » .

مسجد « الراية ويقع على يسار الداخل الى المدينة من طريق « الشام » فوق جبل « ذباب » ولذا يسمى مسجد ذباب ايضا : روى عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم ضرب قبته عليه فى غزوة الخندق .. وسمى بمسجد الراية : لأن « يزيد بن هرمز » كان يقاتل بالموالى على ظهر ذباب كما رواه الواقدى وبالمدينة آبار متعددة ، كان منها يرتوى أهل المدينة ويسقون زرعهم ، وقد جمعها الشاعر فى قوله :

اذا رمت آبار النبى بطيبة ... فعدتها يا صاح سبع بلا وهن
«أريس» «وغرس» «رومة» و «بضاعة» ... كذا «بصة» قل «بئر حاء» مع «العهن»

السمهودى رواية عن الحافظ العراقى فى تخريج احاديث الآبار : هى .

١ — بئر « أريس » .
٢ — بئر « حاء » .
٣ — بئر « رومة » .
٤ — بئر « غرس » .
٥ — بئر « بضاعة » .

٦ ــ بئر « البصــة » .

٧ ــ بئر « السقيا » ويقال له بئر « العهن »ويقال له كذلك بئر « الجمل » ..

واذا كنا نتكلم عن هذه الآثار فلا ننسى جبل« أحد » الذى روى البخارى عن أبى حميد الساعدى قوله : أقبلنا مع رسول الله صلى اللهعليه وسلم من غزوة تبوك فلما أشرفنا على المدينة قال : « هذه طابة ، وهذا أحد ، جبليحبنا ونحبه » وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد « أحدا » ومعه أبو بكروعمر وعثمان فرجف بهم . فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : « أثبت أحد فانما عليك نبى وصديق وشهيدان » .. وفى روايه للطبرانى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أحد« هذا جبل يحبنا ونحبه وانه على باب من أبواب الجنة » ..

ونحن فى حديثنا عن هذه الآثار التى نطقتبها السنة النبوية ، ولم نستوفها حصرا ولا عدا . لايغيب عن بالنا أن نتكلم عن المشاهد الشريفةفى « البقيع » .. حيث دفن كثير من الصحابة الفضلاء ، منهم من توفى فى حياة النبى صلى اللهعليه وسلم . ومنهم من مات بعده . ويستحب زيارة هؤلاء والسلام عليهم ، والترضى عنهم .لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزورهم بين الحين والحين يستغفر لهم ، وزيارتهم هىأن نستغفر لهم وأن نتذكر تاريخهم كيف كانوا فى حياتهم ، وكيف نالوا هذه المرتبة العالية ..يقول ابن عمر فيما رواه مرفوعا : « من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ، فانى أشفع لمنيموت بها » .. وروى مالك عن يحيى بن سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا وقبريحفر فى المدينة فاطلع رجل فى القبر فقال : بئس مضجع المؤمن .. فقال صلى الله عليه وسلمبئس ماقلت .. فقال الرجل : انى لم ارد هذا يارسول الله .. انما اردت القتل فى سبيلالله .. فقال صلى الله عليه وسلم لا مثل للقتل فى سبيل الله .. ماعلى الأرض بقعة أحبالى من أن يكون قبرى بها منها قاله ثلاث مرات » ..

وقد أجمع العلماء بعد ذلك على تفضيلمكة والمدينة على سائر البلاد .. واختلفوا فيهما .. فذهب عمر بن الخطاب وبعض الصحابةوأكثر المدنيين الى تفضيل المدينة ... وأيدهم فى ذلك كثير من العلماء .. بل نقل القاضى «عياض»وقبله « أبو الوليد النادى » . على تفضيل ماضم الأعضاء الشريفة حتى على الكعبة .. ونقل ذلكعن التاج السبكى عن ابن عقيل الحنبلى ..

ونحن اذ نبين للمسلم هذا ليكون على بينةبالأماكن العظيمة التى يجب عليه أن تهفو نفسه اليها .. فالمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ..وقد قال الرسول صلىالله عليه وسلم: « لا يصبر أحد على لأوائها فيموت الا كنت شفيعا له يوم القيامة اذا كان مسلما » .

هذا ولا ننسى أن الكعبة الشريفة ــ زادهاالله تشريفا وتكريما ــ هى أول بيت وضع فى الأرض لعبادة الله لقول الله تعالى : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات مقام ابراهيمومن دخله كان آمنا » ..

ان المسلمين اليوم وهم يحتفلون بذكرىهجرة نبيهم عليهم أن يذكروا أن سبب النجاح هو التخطيط المنظم ، والصدق فى قوة الانتماءلحماية العقيدة والايمان بثمرة العمل الذى يفعله الانسان عن طواعية ، صدقا مع ربه ، ووفاءلدينه .

هـــلال المحـــرم

الاستاذ محمد حليم غالى

تعـال فشرق فى البـلاد وغـرب ... وجمـع اولى امـرى لنصـرة يعـرب
وجمع بفضـل الله .. اهل ((محمـد)) ... على النور والتقوى .. لسكان ((يثرب))
فمـا كان من خـلف الطبـاع فانه ... سيمضى .. ويبقى للهـدى غير مذنب

* * *

تعـال هـلال الدين ذكـر بهجـرة ... الى الله .. مسراها الى ارض ((يثرب))
((وللنـور ، والصديق)) نهج مع الدجى ... ((وثور)) لنـور اللـه خـير مرحب
اقاما بـه والقـوم يعـدون اثـره ... وللنـور حـراس .. على كل مسرب
((وللحق)) فى ((ثوره)) يمـام يحـوطه ... من الغـدر والطغيان ((ذئب وثعلب))
ليطـلع فى الدنيـا هـدى وفضـيلة ... وعـدلا على شـعب ابر وارحب
فـكان مثـالا يحتـذى وشريعـة ... الى البـر والاحسـان يسلكها الأبى

* * *

تعـال وذكـر امة النـور علهـا ... تفيـق .. فتاسـوا كل شعب منكب
هـلا لك باشـهر المحـرم معـلم ... ورمـز جهـاد .. ناجح .. متـوثب
فاهـلا بايام السـماء .. وضـيئة ... تهب علينـا فى جـلال مطيب
تلقى بهـا اهـل السـماحة دينهم ... فعزوا..وعز بقلب من ((رباح ومصعب))
فمـا كان يثنيهم عـن الحـق جـائر ... ولا حجـة من فعـل ام ولا اب
((محمـد)) فيهم قلبهم .. وهواهمو ... احـب لهـم من كل شىء محبـب
وقـائدهم يعطى النمـاذج قـدوة ... وخـير مثال .. للشـيوخ .. وللصبى
فاين مثـال القـوم : عدلا وعفـة ... ومـؤنا واطعـاما الى كل مسـغب

* * *

اعيـدوا شـباب الله للدين وجهـه ... بدعـوى امين القـلب .. عف محبب
سـلاما على نور النبـوة اينمـا ... تروح نجـوم بين شرق ومغـرب
وكل هـوانا .. ان نـكون بظـلة ... من العرش .. فى جنب الرسول المقرب

المنهج الأمثل في تفسير القرآن الكريم

الدكتور محمد ابو النور الحديدي

في رحاب القرآن والسنة

اقرأ في هذا العدد عن :

- المنهج الأمثل في تفسير القرآن الكريم
- تفسير سورة المائدة
- وفي أنفسكم افلا تبصرون
- شيوع التدوين بعد الامام الزهري
- وانذر عشيرتك الأقربين
- فلسفة مصدرها الاسلام
- الكناية والتصريح في اللغة القرآنية

ومما هو من قبيل تفسير القرآن بالقرآن الجمع بين ما يتوهم انه مختلف من الآيات ، من ذلك الآيات التي تحدثت عما خلق منه آدم عليه السلام، فان منها ما أفاد انه خلق من طين لقوله تعالى « واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين » (١) ومنها ما أفاد انه خلق من حما مسنون كقوله تعالى : « واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون »(٢) .

ومنها ما افاد انه خلق من طين لازب كقوله تعالى : « انا خلقناهم من طين لازب »(٣) ومنها ما اخبر انه خلق من تراب كقوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون »(٤) .

ومنها ما ذكر انه خلق من صلصال كالفخار كقوله تعالى (٥) : « خلق الانسان من صلصال كالفخار »(٦) .

فقد يظن بعض من ينظر الى هذه الآيات متفرقة في مواضعها المتعددة أن بينها تعارضا ، ولكن بالجمع بين هذه الآيات يتبين أن ليس بينها تعارض .

فان المادة التي خلق آدم عليه السلام منها واحدة مرت بمراحل متعددة ، وكل آية تتحدث عن مرحلة منها ، هذه المادة تسمى ترابا ، وذلك قبل ان يخلط بالماء . وتسمى طينا بعد الخليط بالماء، وطينا لازبا اذا صار لاصقا ، أو لازما ، وحما مسنونا اذا أسود وتغير ، وصلصالا اذا يبس فصارت له صلصلة أي صوت اذا حرك أو ضرب عليه فاذا جف أكثر شبهه بالفخار الذي يطبخ في النار .

ومنه ما يدل على ان الله تعالى لا يكلم الكفار يوم القيامة كقوله تعالى « **ولا يكلمهم الله يوم القيامة**(٧) » مع ماجاء دالا على أنه تعالى يكلمهم كقوله « **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون**(٨) » .

والسؤال كلام ، والتوفيق بينهما بواحد من اثنين : الأول : أن الكلام المنفي هو كلام التلطف والرحمة ، والمثبت هو سؤال التوبيخ وكلام الاهانة .

---

(١) سورة ص الآية ٧١
(٢) سورة الحجر الآية ٢٧
(٣) سورة الصافات الآية ١١
(٤) سورة آل عمران الآية ٥٩
(٥) سورة الرحمن الآية ١٤
(٦) الصلصال : كما قال أبو عبيدة : هو الطين المخلوط بالرمل الذي يتصلصل اذا حرك ، والحمأ : الطين الأسود ، والمسنون : المتغير ، والطين اللازب : اللاصق ، أو اللازم

(٧) سورة البقرة الآية ١٧٤
(٨) سورة الحجر الآيتان ٩٢ ، ٩٣

الثانى : ان الله تعالى لا يكلم الكفار يوم القيامة اصلا وانما تكلمهم الملائكة باذنه تعالى وامره(١) .

كذلك مما له دخل فى بيان بعض الآيات تعدد القراءات فيها ، كقراة سعد بن ابى وقاص « **وان كان رجل يورث كلالة أو امراة وله اخ او اخت من أم فلكل واحد منهما السدس**(٢) » فانها فسرت القراءة التى يدون من أم(٣) » .

رابعا : ان يجمع الى الآية التى يفسرها ما يتعلق بموضوعها من الاحاديث الصحيحة ، فان عديدا من الآيات القراآنية لها تفسير مأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكتب السنة أفردت للتفسير بابا من الأبواب التى اشتملت عليها ذكرت فيه ما فسر به النبى عليه الصلاة والسلام هذه الآيات ، من ذلك على سبيل المثال : تفسير المغضوب عليهم باليهود ، والضالين بالنصارى فيما رواه أحمد وابن حبان من حديث عدى بن حاتم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : المغضوب عليهم اليهود ، والضالين النصارى قال ابن ابى حاتم : لا اعلم بين المفسرين فى ذلك اختلافا .

وقال السهيلى : وشاهد ذلك قوله تعالى فى اليهود « **فباءوا بغضب على غضب** (٤) » ، وفى النصارى « **قد**(٥) **ضلوا من قبل واضلوا كثيرا**(٦) » .

٢ ــ وتفسير الصلاة الوسطى فى قوله « **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** » بانها العصر . فيما رواه البخارى بسنده عن على رضى الله عنه « ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق » حبسونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس ملأ الله قبورهم وبيوتهم ــ او اجوافهم ــ نارا « شك من يحيى(٧) (أحد رواةالحديث) وما رواه مسلم ايضا بسنده عن شنير بن شكل عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم وقبورهم نارا ــ ثم صلاها بين العشاءين بين المغرب والعشاء(٨) » .

٣ ــ وتفسير القوة بالرمى فى قوله تعالى « **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**(٩) » . فيما اخرجه مسلم فى صحيحه بسنده عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول « **واعدوا لهم ما استطعتم من قوة** » الا ان القوة الرمى ، الا أن القوة الرمى ، الا ان القوة الرمى(١٠) » .

٤ ــ وتفسير الحساب اليسير فى قوله تعالى « **فسوف يحاسب حسابا يسيرا** » بالعرض ، فيما رواه البخارى فى صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس أحد يحاسب الا هلك ، قالت : قلت يا رسول الله جعلنى الله فداءك اليس يقول الله عز وجل « **فاما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا**(١١) » « **قال** ذاك العرض ، يعرضون ، ومن نوقش الحساب هلك(١٢) » .

٥ ــ وتفسير الكوثر فى قوله تعالى « **انا اعطيناك الكوثر** » بنهر اعطيه نبينا صلى الله عليه وسلم فى الجنة ، فيما رواه مسلم فى صحيحه بسنده عن انس رضى الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فى المسجد اذا اغفى اغفاءة ، ثم رفع راسه متبسما ، قلنا ما اضحكك يارسول الله قال : لقد انزلت على آنفا سورة فقرأ « بسم الله الرحمن الرحيم **انا اعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر * ان شانئك هو الابتر** » ثم قال : اتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله اعلم قال : فانه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه خير كثير ، وهو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فى السماء .. » الحديث(١٣) .

وغير ذلك كثير مما هو بيان وتفسير للقرآن .

---

(١) البيان فى دفع التعارض بين آيات القرآن .
(٢) سورة النساء الآية ١٢
(٣) التفسير والمفسرون ج ١ ص ٤٠ للدكتور محمد حسين الذهبى .
(٤) سورة البقرة الآية ٩٠
(٥) سورة المائدة الآية ٧٧
(٦) فتح البارى ج ٨ ص ١٥٩
(٧) صحيح البخارى بشرح فتح البارى ج ٨ ص ١٩٥
(٨) صحيح مسلم ج ٥ ص ١٢٨
(٩) سورة الأنفال الآية ٦٠
(١٠) صحيح مسلم ج ١٣ ص ٦٤
(١١) سورة الانشقاق الآيتان ٧ ، ٨
(١٢) صحيح البخارى على فتح البارى ج ٨ ص ٦٩٧
(١٣) صحيح مسلم .

خامسا : اقوال الصحابة فى التفسير :

على المتصدى لتفسير القرآن الكريم ان ينظر فى أقوال الصحابة رضوان الله عليهم ، فانهم اكثر معرفة بمعانى القرآن من غيرهم ، حيث عاصروا التنزيل ، والتزموا ما فيه من علم وعمل ، وقد ذكر الحاكم فى المستدرك : أن تفسير الصحابى الذى شهد الوحى والتنزيل له حكم المرفوع ، وذكر الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية أن من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن ، فما أجمل منه فى مكان ، فقد فسر فى موضع آخر ، وما اختصر فى مكان فقد بسط فى موضع آخر منه ، فان اعياه ذلك طلبه من السنة ، فانها شارحة للقرآن وموضحة له وقد قال الشافعى رضى الله عنه: كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن ، قال تعالى : « **انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** » . فى آيات أخر وقال صلى الله عليه وسلم : « الا انى أوتيت الكتاب ومثله معه » يعنى السنة ، فان لم يجده من السنة رجع الى أقوال الصحابة فانهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ، ولما اختصوا به من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح(١) .

سادسا : اقوال التابعين فى التفسير :

يلزم المفسر أيضا أن يتعرف أقوال التابعين فى التفسير ، فان غالب ما ذكروه قد تلقوه عن الصحابة وما تكلموا فيه بالاستنباط قليل ، وكثير مما صح عنهم من الخلاف راجع الى اختلاف التنوع لا اختلاف التضاد .

قال الزركشى : وفى الرجوع الى قول التابعى روايتان عن أحمد ، واختار ابن عقيل المنع ، وحكوه عن شعبة ، لكن عمل المفسرين على خلافه، وقد حكوا فى كتبهم أقوالهم وغالب أقوالهم تلقوها من الصحابة .. الى أن يقول :

يكثر فى معنى الآية أقوالهم واختلافهم ، ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الالفاظ ويظن من لا فهم عنده أن فى ذلك اختلافا ، فيحكيه أقوالا، وليس كذلك ، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية ، وانما اقتصر عليه ، لأنه اظهر عند ذلك القائل أو لكونه اليق بحال السائل ، وقد يكون بعضهم يخبر عن الشىء بلازمه ونظيره ، والآخر بمقصوده ، وثمرته ، والكل يئول الى معنى واحد غالبا ، والمراد الجميع ، فليتفطن لذلك ولا يفهم من اختلاف العبارات اختلاف المرادات ، **هذا كله حيث أمكن الجمع** ، فأما اذا لم يمكن الجمع ، فالمتأخر من القولين عن الشخص الواحد مقدم عنه أن استويا فى الصحة ، والا فالصحيح المقدم(٢) .

سابعا : الاجتهاد فيما ليس فيه بيان من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة :

ذكرنا — فيما سبق — أن على من يتصدى لتفسير القرآن الكريم أن يطلب المعنى من القرآن فان لم يجده طلبه من السنة ، فان لم يجده فى السنة رجع الى أقوال الصحابة ، والى أقوال التابعين — على رأى — فان لم يجد المعنى عندهم اجتهد وسعه فى الوصول الى المعنى متبعا **ما يأتى :**

١ — البدء بما يتعلق بالالفاظ المفردة من اللغة والصرف والاشتقاق ، ملاحظا المعانى التى كانت **مستعملة زمن نزول القرآن الكريم .**

٢ — اتباع ذلك بالكلام على التراكيب من جهة الاعراب ، والبلاغة ، بالقدر الذى يتوقف عليه فهم المعنى وبيان الاعجاز .

٣ — تقديم المعنى الحقيقى على المجازى ، بحيث لا يصار الى المجاز الا عند تعذر الحقيقة .

٤ — ملاحظة سبب النزول ، فان سبب النزول له مدخل كبير فى بيان المعنى .

٥ — مراعاة التناسب بين السابق واللاحق ، بين فقرات الآية الواحدة ، وبين الآيات بعضها وبعض .

٦ — مراعاة المقصود من سياق الكلام .

٧ — مطابقة التفسير للمفسر من غير نقص ولا زيادة .

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير ص ٣٩ ، ٤٠

(٢) البرهان ج ٢ ص ١٥٨ — ١٦٠

٨ ــ مطابقة التفسير لما هو معروف من علوم الكون ، وسنن الاجتماع ، وتاريخ البشر العام ، وتاريخ العرب الخاص زمن نزول القرآن.

٩ ــ بيان المعنى الكلى للآية أو الآيات ذات الموضوع الواحد ، والاحكام المستنبطة منها فى حدود قوانين اللغة والشريعة ، والعلوم الكونية.

١٠ ــ رعاية قانون الترجيح عند الاحتمال ، وهو ما يأتى :

قانون الترجيح عند الاحتمال :

قال الزركشى : كل لفظ احتمل معنيين فصاعدا، فهو الذى لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه ، وعلى العلماء اعتماد الشواهد والدلائل ، وليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه .

وكل لفظ احتمل معنيين فهو قسمان : أحدهما : أن يكون أحدهما اظهر من الآخر ، فيجب الحمل على الظاهر ، الا أن يقوم دليل على أن المراد هو الخفى دون الجلى فيحمل عليه .

الثانى : أن يكونا جليين ، والاستعمال فيهما حقيقة ، وهذا على ضربين :

أحدهما : أن يختلف أصل الحقيقة فيهما ، فيدور اللفظ بين معنيين ، هو فى احدهما حقيقة لغوية ، وفى الآخر حقيقة شرعية ، فالشرعية أولى الا أن تدل قرينة على ارادة اللغوية نحو قوله تعالى : « **وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم** »(١). **وكذلك اذا دار بين اللغوية والعرفية ، فالعرفية** أولى ، لطريانها على اللغة ولو دار بين الشرعية والعرفية فالشرعية أولى ، لأن الشرع الزم .

الضرب الثانى : لا تختلف أصل الحقيقة ، بل كلا المعنيين استعمل فيهما ، فى اللغة ، أو فى الشرع ، أو العرف على حد سواء ، وهذا أيضا على ضربين :

أحدهما : أن يتنافيا اجتماعا ، ولا يمكن ارادتهما باللفظ الواحد كالقرء ، حقيقة فى الحيض والطهر ، فعلى المجتهد أن يجتهد فى المراد منهما ، بالامارات الدالة عليه ، فاذا وصل اليه كان هو مراد الله فى حقه ، وان اجتهد مجتهد آخر فأدى اجتهاده الى المعنى الآخر كان ذلك مراد الله فى حقه ، لأنه نتيجة اجتهاده ، وما كلف به ، فان لم يترجح أحد الأمرين لتكافؤ الأمارات ، فقد اختلف أهل العلم ، فمنهم من قال : يخير فى الحمل على أيهما شاء ومنهم من قال : يأخذ بأعظمهما حكما ، ولا يبعد اطراد وجه ثالث وهو أن يأخذ بالأخف .

الضرب الثانى : أن لايتنافيا اجتماعا ، فيجب الحمل عليهما عند المحققين ، ويكون ذلك أبلغ فى الاعجاز والفصاحة ، واحفظ فى حق المكلف الا أن يدل دليل على ارادة أحدهما ، وهذا أيضا ضربان :

أحدهما : أن تكون دلالته مقتضية لبطلان المعنى الآخر فيتعين المدلول عليه للارادة .

الثانى : أن لا يقتضى بطلانه ، وهذا اختلف العلماء فيه ، فمنهم من قال : يثبت حكم المدلول عليه ويكون مرادا ، ولا يحكم بسقوط المعنى الآخر ، بل يجوز أن يكون مرادا أيضا ، وان لم يدل عليه دليل من خارج ، لأن موجب اللفظ عليهما فاستويا فى حكمه ، وأن ترجح أحدهما بدليل من خارج .

ومنهم من قال : ماترجح بدليل من خارج أثبت حكما من الآخر لقوته بمظاهرة الدليل عليه ، فهذا أصل نافع معتبر فى وجوب التفسير فى اللفظ المحتمل والله أعلم(٢) .

هذا وان بين أيدينا تفاسير للقرآن الكريم تحتاج الى مراجعة وتعليق ، سواء منها ما كان من قبيل التفسير بالمأثور ، فانه يلزم تنقيته من الدخيل والسقيم ، ومن الاسرائيليات التى لاتتفق مع العقل ، والنقل الصحيح .

وما كان منها من قبيل التفسير بالرأى والاجتهاد، فانه يلزم استبعاد ما فسر منه لمجرد الرأى ، والهوى ، وما لم يستند الى الأصول والضوابط المعتبرة لسلامة الاجتهاد والعلوم التى هى أدوات لفهم كتاب الله تعالى ، والكشف عن معانيه ــ والتى اشرت اليها فيما سبق .

ويستبقى من هذه التفاسير أحسن ما فيها مما يجلى لنا هداية القرآن ، ويكشف عن كنوزه وذخائره على وجه تتفتح له القلوب ، وتنجذب اليه الأرواح ، وتهتدى به النفوس ، فان هذا هو الجدير باسم التفسير .

والله هو الموفق والمعين ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين وعلى نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين .

---

(١) سورة التوبة الآية ١٠٣

(٢) البرهان جـ ٢ ص ١٦٦ ــ ١٦٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ
وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ
وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ
أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ
إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾

صدق الله العظيم

تفسير القرآن الكريم

سورة المائدة

تفسير سورة المائدة الآية ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥

« ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون (١٠٣) وإذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون (١٠٤) يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون (١٠٥) .

البحيرة هى الناقة التى يجرون أذنها أى يشقونها شقا واسعا والبحر والبحيرة بضم الباء يرجع الى هذا المعنى لأنه شق فى الأرض مملوء بالماء وكانوا يفعلون ذلك بالناقة اذا ولدت خمسة ابطن وكان الخامس أنثى يفعلون ذلك بها ليكون علامة على تحريم أكلها أو ركوبها أو الحمل عليها وقيل اذا ولدت عشرة ابطن يفعل بها ذلك .

والسائبة هى التى تسيب بنذرها لآلهتهم فترعى حيث شاءت ولا يحمل عليها شىء ولا يجز صوفها ولا يحلب لبنها الا لضيف وهى لغة من التسيب والانسياب فلا حدود ولا تكاليف وكان الرجل منهم فى الجاهلية اذا قضيت له حاجة سيب من ماله ناقة فجعلها على هذه الطريقة وقيل أو غنمة للطواغيت والأوثان لا ينتفع بها بالوجوه التى خلقت من اجلها . وقيل هى الناقة اذا ولدت عشرة ابطن اناث ليس فيها ذكر تصير سائبة للآلهة .

الدكتور عبد الغنى الراجحى

والوصيلة الشاة التى تصل انثى بانثى فى النتاج وقيل هى التى وصلت اخاها فكان الرجل اذا ولدت له شاته ذكرا وانثى قال وصلت اخاها فلا يذبحونها . وعن ابن عباس هى الشاة اذا نتجت سبعة ابطن فان كان السابع أنثى استحيوها فلا تذبح وان كان ذكرا وانثى فى بطن واحد استحيوهما وقالوا وصلته أخته فحرمته علينا .

والحامى بصيغة اسم الفاعل هو فحل الضراب اى التلقيح اذا أتم ضراب عشرة ابطن قالوا حمى ظهره وتركوه لا يحملون عليه شيئا وربما جعلوا عليه ريش الطاووس تمييزا له ومهما اختلفت الروايات والأقوال فى تفسير هذه الألفاظ فان الكل راجع الى معنى واحد هو افتيات العرب على الشرع والتشريع الالهى والاسلامى بهذه التشريعات السخيفة الصادرة عن أهوائهم وليس لها سند من عقل أو دين أو تفكير سليم وما هى الا فساد وافساد اجتماعى بتحريم ما خلق الله للانسان من طيبات الرزق وحلال المأكولات فليحذر المسلمون تحريم ما احل الله لهم مخدوعين فى مقولات هؤلاء العابثين الضالين المضللين .

والجعل فى القرآن قد يأتى بمعنى الخلق وقد يأتى بمعنى التصيير والتحويل من حال الى حال وقد يأتى كما هنا بمعنى التشريع فالمعنى ما شرع الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام بل ان هذا تشريع غير الله وهو مضاد لما شرع الله وهو محض اختلاق وافتراء كما قالت الآية الكريمة « **ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب** » يختلقون الكذب على الله لأن فعلهم هذا وتشريعهم هذا كأنه يتضمن دعوى أن هذا العمل من تشريعات الله التى ورثوها عن الأديان السابقة مع ادعائهم أنهم ما فعلوا ذلك الا بمشيئة الله واذنه كما حكى القرآن عنهم من قولهم « **لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء** » الأنعام ١٤٨ ثم كما حكى عنهم القرآن فى قوله تعالى « **واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون** » الأعراف ٢٨ ووجه كذبهم وافترائهم فى هذا ان التحريم والتحليل من شأن رب الناس ومعبودهم ومشرعهم لا يصدر الا عنه فليس لأحد من خلقه أن يحرم عليهم شيئا الا باذنه والتبليغ عنه فمن تجرأ على شىء من ذلك دون سنده كان مدعيا بفعله هذا اما الربوبية والألوهية واما الاذن من الرب تعالى وكل من ذلك بالنسبة لهؤلاء الناس افتراء وكذب واختلاق « واكثرهم لا يعقلون » فلا يلتفتون الى أنهم بفعلهم هذا وقولهم هذا يفترون على الله الكذب بتحريم ما حرموا على انفسهم ولا يدرون أن ذلك من أعمال الكفر بل يظنون جهلا وغفلة أنهم يتقربون بذلك الى الله ولو بالوساطة لأن آلهتهم التى يسيبون باسمها السوائب ويتركون لها ما حرموه على أنفسهم هى عندهم وسطاء بينهم وبين الله تعالى تشفع لهم عنده وتقربهم اليه زلفى وهذا زعم باطل فلا يتقرب الى الله ولا يعبد الا بما شرعه على لسان رسوله — صلى الله عليه وسلم — فلا عبادة ولا تحريم الا بنص ولا نص الا من رسول معصوم وكل ذلك مفقود عند هؤلاء . فمن أين لهم بهذا ؟ ، كما قال لهم تعالى فى سورة الأنعام فى مثل هذا المقام « **نبئونى بعلم ان كنتم صادقين** » آية ١٤٣ وقوله تعالى لهم فى نفس السورة « **أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين** » (١٤٤) ثم قوله تعالى « **قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فانه رجس أو فسقا أهل لغير الله به** »(١٤٥) أى فلا تحريم لما حرمتم بالكذب والافتراء . اكثرهم لا يعقلون فلم يلتفتوا الى هذه المعانى التى يحتاج ادراكها الى عقل راجح وفهم سليم . واذا كانت الأكثرية هكذا فى عدم العقل والتعقل فالأقلية تابعة لها فيكون المعنى وكلهم لا يعقلون فهذه أكثرية يراد بها الكلية وليست من قبيل التعبير بالأكثرية للاحتراز عن قلة من مسلمة أهل الكتاب مثلا .

« واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون » ١٠٤

هذا اخبار عنهم معطوف على الاخبار السابق فى قوله تعالى « ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون » والخبر الجديد عنهم فى هذه الآية هو أنهم يركبون رؤوسهم ويتعصبون لباطلهم ويتخبطون فى تبريره وصدوره عنهم فاذا نبهوا الى خطئهم وقيل لهم اتبعوا فى تشريعكم وتحريمكم وتحليلكم ما أنزل الله من الشرائع وبيان الحلال والحرام فتعالوا واقبلوا الى ما أنزل الله وبلغه عن ربه رسول الله اعرضوا نفورا واستكبارا واغتروا بما ورثوه عن آبائهم من الضلال وقالوا معرضين

عن اتباع هدى الله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من فعل ذلك التحريم والتحليل وآباؤنا على صواب لأنهم توارثوا هذه الأفعال كابرا عن كابر ولكن الآية الكريمة وجهت أنظارهم الى ضلال آبائهم وخطئهم وعدم صلاحيتهم للقدوة والاتباع فكان تقديرها « أيتبعون آباءهم حتى ولو كان آباؤهم لا يعملون شيئا ولا يهتدون » هكذا بأسلوب الالتفات والتعبير بالغيبة عنهم مع أن الأسلوب السابق كان بالخطاب وأسلوب الغيبة فى هذا المقام لكمال الاعراض عنهم للاشارة الى شدة غبائهم وعدم صلاحيتهم للفهم والنقاش والخطاب . ولتعجيب غيرهم من شأنهم ولعدم مجابهتهم بذم آبائهم فيستشيطون غضبا ويتمادون فى ضلالهم والاستفهام على هذا استفهام تقريرى والمعنى أنهم يتبعون آباءهم مع كون آبائهم لا يعلمون شيئا من أحكام الشرائع وسبل الهداية الربانية ولا يهتدون الى ذلك فكيف يصلحون للقدوة والأخذ عنهم وفاقد الشىء لا يعطيه ؟ ان هذا هو التقليد الأعمى والضار وتوارث الضلال ورفض كل هداية اغترارا واعتزازا بالآباء ولو كانوا لا يعقلون ولا يعلمون شيئا صحيحا من العلم ولا يهتدون الى شىء صحيح من الهداية وهذه هى مأساة البشرية والانسانية التى تعطل ملكاتها التى وهبها الله وأودعها بنى الانسان لأعمالها فيما خلقت لأجله والتصرف على ضوئها من العقل والفهم والدرس والبعد عن التقليد والأخذ من غير دليل وفى هذا من رفع مكانة العقل واعتباره فى القرآن والاسلام ما لا يخفى وذم التقليد الأعمى فى الفكر الاسلامى أظهر من أن يخفى وأشهر من أن يذكر وقد تكرر فى القرآن الكريم هذا المعنى فى أكثر من سورة وأكثر من آية فمع آية المائدة هذه نجد فى سورة البقرة آية ١٧٠ قوله تعالى « واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » وجاء فى سورة الأنعام آية ١٤٨ « سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء » .

وجاء فى سورة الاعراف آية ٢٨ « واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون » وجاء فى سورة الصافات آية ٦٩ ، ٧٠ قوله تعالى « انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون » وفى سورة الزخرف ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ قوله تعالى « بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون . وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون . قال أو لو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون » . وفى سورة الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣ « أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون »(١) .

وقد حمل تفسير المنار حملات شعواء على التقليد فقال ان الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالحين كل ذلك ينهى عن التقليد ويذمه ويحذر منه ولم تنشأ بدعة التقليد فى ربوع الاسلام الا فى القرن الرابع الهجرى بعد فوات القرون الثلاثة التى وصفها الرسول — صلى الله عليه وسلم — بأنها خير القرون . وعنده أن التقليد فرق كلمة المسلمين وجعلهم شيعا وأحزابا كل طائفة تنتسب الى امام وتلتزم بأقواله وأقوال أتباعه ولو كانت مخالفة لنصوص الكتاب والسنة والآيات التى تطالب بالبرهان والدليل والحجة والسلطان فى القرآن كثيرة . ثم نقل عن الامام الشوكانى كلاما خلاصته أن التقليد فى المسائل الفقهية الشرعية والفقهية ذهب جماعة من أهل العلم الى أنه غير جائز اطلاقا ونقل عن القرافى أن مذهب مالك وجمهور العلماء ابطال التقليد وان ابن حزم قال بالاجماع على بطلان التقليد وقال مالك أنا بشر أخطىء وأصيب وانظروا فى قولى فاذا وافق القرآن والحديث فخذوا به والا فاضربوا بقولى عرض الحائط وروى كلام مثل هذا عن أحمد والشافعى وأبى حنيفة وانهم ما قالوا آراءهم ليكون شرعا واجب الاتباع كأنه مثل ما أنزل الله وكان الواحد منهم يقول رأيى فى نظرى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى فى نظرى خطأ يحتمل الصواب .. والشافعى فى مصر غير من آرائه التى قال بها فى العراق وفى كتب الشافعية عبارة فى المذهب الجديد كذا وفى المذهب القديم كذا أى من مذهبى الشافعى رحمه الله وفى اعلام الموقعين لابن القيم انه يجوز تغيير الفتيا بتغير الأزمان والملابسات وذلك طبعا

---

(١) نص الآيتين فى القرآن كالآتى « ولقد أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون » والمعنى أن اعتذاركم لا يجدى ولا ينفعكم ادعاء الغفلة بعد هذا البيان الواضح أو الاعتذار بالنسج على منوال الآباء الضالين .

فى ضوء الاجتهاد والنظر وعدم التقليد الأعمى ثم ذكر صاحب المنار أسماء كتب فى النهى عن التقليد لكنه لم يذكر كتابا كنت أقرأ فيه كثيرا وأنا طالب وكان يسمى (الأقليد فى ذم التقليد) لكننى الآن أبحث عنه بين كتبى فلم أجده فطوبى لقارىء يقرأ هذا فيدلنى على هذا الكتاب أين يوجد وفى أى مكتبة يباع لاسيما وقد كان مؤلفه من فطاحل العلماء السابقين وأعيانهم وكان كتابا صغير الحجم كبير العلم .

« يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون » (١٠٥) بعد أن سبق ذكر ضلال الضالين بتقليد الآباء فى ضلالهم ، والمحافظة على التحريم والتحليل افتراء على الله وكذبا جاءت هذه الآية تبين وتذكر موقف المسلمين أهل الحق من ضلال الضالين ومتى يكون المؤمنون المسلمون مهتدين ؟ وهل يضرهم ضلال الضالين اذا كانوا هم فى خاصة أنفسهم مهتدين ؟ وماذا يكون موقفهم من النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ؟ أيلزمون أنفسهم مع الاعراض عن الضالين هداة مهتدين أم تلزمهم النصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لمن ضل وغوى ؟

والواقع أن فى تفسير هذه الآية منهجين منهج ايجاب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يكون المؤمنون المسلمون مهتدين الا اذا قاموا بهذه الفريضة وعند أصحاب هذا المنهج أن المعنى الزموا أنفسكم باصلاحها وتقواها لا يضركم ضلال من ضل مادمتم مهتدين فلا تزر وازرة وزر أخرى وكل نفس بما كسبت رهينة وكل امرىء بما كسب رهين . لكن لا تكونون أنتم مهتدين الا اذا أديتم مع الضالين فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والنصيحة .. لن يضركم من ضل اذا اهتديتم ولا تكونون مهتدين الا اذا قمتم بفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فليس فى الآية الكريمة ما يفيد اسقاط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فلابد للمهتدى من أن يتفاعل مع الضلال بالنصيحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

هذا منهج فى فهم الآية والمنهج الآخر عليكم أنفسكم الزموا اصلاحها وتقواها لا يضركم ضلال من ضل ما دمتم مهتدين حتى ولو لم تقوموا بأداء فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصيحة اذا عم الفساد وطم وصار الأمر شيئا مطاعا وهوى متبعا واعراضا أكيدا عن النصيحة فعليكم أنفسكم لا تكلفون بنصيحة وأمر بمعروف أو نهى عن منكر ما دام الأمر قد فسد وصار فى الناس مناعة ضد قبول النصح والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فان ذلك فرض لازم فى الأحوال العادية لكن اذا وصل الناس الى حالة لا تنفعهم الموعظة أو يكون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر عرضة للايذاء فتصير النصيحة فى هذه الحالة فضيلة لا فريضة فاذا ترتب على النصح وأداء الفريضة لحوق الأذى بالناصح صار النصح مكروها أو حراما لأنه يجلب مضرة ولا يحقق فائدة فهو من قبيل **« ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »**(١) .

وفى كل منهج من هذين المنهجين السابقين فى تفسير الآية الكريمة روايات وأحاديث ومأثورات عن السلف الصالح **والرواية التى تجمع بين المنهجين هى رواية أبو عيسى الترمذى عن عبد الله بن المبارك عن أبى أمية الشيبانى عن أبى خيثمة قال أتيت أبا ثعلبة الخشنى فقلت ما تصنع فى هذه الآية قال : أية آيه قلت قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم » قال : أما والله لقد سألت عنها خبيرا . سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك بخاصة نفسك . ودع عنك العوام فان من ورائكم أياما الصابر فيها مثل القابض على الجمر . للعامل فيها أجر خمسين رجلا يعملون كعملكم قال عبد الله بن المبارك وزاد غير عتبة قيل يا رسول الله أجر خمسين رجلا منا أو منهم قال لا بل أجر خمسين منكم « قال الترمذى هذا حديث حسن غريب صحيح ورواه أبو داود من طريق ابن المبارك ورواه ابن ماجه وابن جرير وابن أبى حاتم عن عتبة ابن أبى حكيم.**

« الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون » الى الله لا الى غيره رجوعكم جميعا من المهتدين والضالين فى يوم القيامة فينبىء الله ويخبر كل انسان بما كان يعمل فيجازيه بما قدمت يداه فهى حث للمسلم على لزوم والزام الهداية وزجر للضالين عما هم فيه من الضلال فهى ترغيب وترهيب وتبشير وانذار وسلاح ذو حدين .

---

(١) الامام الغزالى فى كتابه « احياء علوم الدين » فصل هذه الأمور ووضحها فى باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر توضيحا يدل على خبرته بأحوال المجتمعات وطبائع الأمور .

"وفى أنفسكم أفلا تبصرون"

الدكتور محمد السعدى فرهود

نعم الله لا تحصى ولا تستقصى . وفى قوله تعالى : (وفى انفسكم افلا تبصرون) دعوة للناس أن يتبصروا فى انفسهم ويتفكروا فيها وفى خلقهم . وقرات للامام الغزالى عن آلات الحركة للانسان : تاخذ الطعام بيدك فكيف توصله الى معدتك لابد من دهليز يدخل منه الطعام .

والفم هو باب الدهليز ، ولو وضعت الطعام فى الفم وهو قطعة واحدة لم يتيسر لك ابتلاعه ، فاحتجت الى أسنان حادة لقطعه ، وأسنان مدببة لتمزيقه ، وأضراس كالطواحين لطحنه ، ويتحرك اللحى الأسفل حركته الدورية على اللحى الأعلى من أجل ذلك ، ويطوف اللسان بالطعام فى جوانب الفم من مكان الى مكان بحسب الحاجة . والطعام اذا بقى يابسا لم ينزلق الى الحلق ، لهذا خلق الله تحت اللسان عينا يفيض منها اللعاب ، وينصب بقدر الحاجة حتى ينعجن به الطعام فى الفم . هل تقدر أن تدفعه بيدك الى المعدة وليس فى المعدة يد تمتد لتجذب الطعام اليها هيأ الله المرىء وجعل على رأسه طبقات تنفتح لأخذ الطعام ، ثم تنطبق وتنضغط حتى ينزلق الطعام فى دهليز المرىء فاذا ورد الطعام على المعدة وهو خبز ولحم وفاكهة ، لم يصلح لأن يصير لحما وعظما ودما وهو على هذه الهيئة ، بل لابد أن ينطبخ ، فخلق الله المعدة على هيئة قدر ، يقع فيها الطعام فتحتوى عليه ، فما يزال فيها حتى ينضج بالحرارة التى تحيط بالمعدة من كل جانب ، ويصير مائعا يشبه ماء الشعير ، وهو بعد لا يصلح للتغذية ، فخلق الله بين المعدة والكبد مجارى من العروق لها فوهات كثيرة ، تصب ذلك المائع فى الكبد ، وتستولى عليه قوة الكبد ، فتصبغه بلون الدم ، وتنضجه حرارة الكبد ، ويتولد من نضجه فضلتان : أحداهما الرغوة السوداوية ، يأخذها الطحال فيحيلها الى حموضة يرسل منها شيئا الى فم المعدة فيحرك شهوتها الى طعام جديد ، ويخرج الباقى مع الثفل والفضلة الثانية هى الصفراء وتجذبها المرارة ، لتمد بها الأمعاء ، لتساعدها على ترطيب ثفل الطعام وتزليقه الى الخارج ، وخلق الله الكليتين لتمتصا المائية من الدم الصاعد فى العروق الشعرية الطالعة ، فتغتذيان بما فى هذه المائية من الدم ، وترسلان الباقى الى المثانة . وبهذا يصير الدم صافيا من كل الفضلات ، نقيا من كل ما يفسد الغذاء ، فيتوزع على الجسم كله ، وهو لا ينتهى الى جزء من أجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله فى تلك الأجزاء ما يحتاج اليه من قوة حس وادراك وقوة حركة وغيرها . وبدون ذلك الذى يأخذه الجسم او يطرده تقع العلة ولو سكن من جملتها عرق متحرك أو تحرك عرق ساكن لهلكت يامسكين . فانظر الى آثار رحمة الله عليك فى بدنك فى هذا المثال الواحد ، وقس عليه كثيرا من الأمثلة والنعم . « وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها »

صدق الله العظيم

شيوع

التدوين بعد الإمام الزهرى

الدكتور محمد الطيب النجار

بدأ الامام ابن شهاب الزهرى فى تدوين السنة النبوية بأمر من الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز . وكان أساس التدوين — حينئذ — وحدة الموضوع . اذ كان العلماء يجمعون الأحاديث الواردة فى الموضوع الواحد ليجعلوا منها مؤلفا مستقلا بذاته فالصلاة لها مؤلف خاص مثلا ، وكذلك الزكاة الى غير ذلك ، وكانوا يخلطون الأحاديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ..

التدوين بعد الامام الزهرى :

وقد شاع التدوين فى الجيل الذى جاء بعد الامام الزهرى فكتب بمكة ابن جريج المتوفى سنة ١٥٠ هـ . وبالمدينة مالك المتوفى سنة ١٧٩ هـ وكتب بالبصرة حماد بن سلمة المتوفى سنة ١٧٦ هـ وسفيان الثورى بالكوفة (١٦١هـ) والأوزاعى بالشام (١٥٦) وعبد الله بن المبارك بخراسان (١٨١) ومعمر باليمن (١٥٣ هـ) وجرير بن عبد الحميد بالرى (١٨٨ هـ) وهؤلاء جميعا كانوا فى عصر واحد ولا يدرى أيهم كان أسبق الى جمع الحديث من الآخر .

طرق جديدة فى تدوين الحديث :

وكانت طريقتهم فى تدوين الحديث أن يجمعوا الأحاديث التى تتعلق بموضوع واحد فى باب خاص ، ثم يضمون جملة من الأبواب بعضها الى بعض ويجعلونها فى مؤلف واحد ويخلطون الأحاديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين .

طريقة مالك فى تدوين الحديث (الموطأ) :

ومن الأمثلة على ذلك كتاب الموطأ للامام مالك وهو من اجل الكتب التى الفت فى الحديث النبوى الشريف ، وقد تحرى مالك فى موطئه الأحاديث القوية حتى قالوا انه مكث فى تأليفه أربعين سنة قضى معظمها فى تنقيحه وتهذيبه وفى ذلك يروى السيوطى عن الأوزاعى أنه قال : عرضنا على مالك الموطأ فى أربعين يوما فقال .. « كتاب الفته فى أربعين سنة أخذتموه فى أربعين يوما . وما أقل ماتفقهون فيه » ..

ومن عادة مالك فى موطئه أن يذكر فى مقدمة الموضوع ماجاء فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم . ثم ما ورد فيه من الآثار عن الصحابة والتابعين . وأحيانا يتبع الحديث بتفسير كلمة لغوية أو بيان المراد من بعض الجمل .

ومنذ الف مالك هذا الكتاب والعلماء يرحلون مهاجرين الى المدينة ليسمعوا من الامام الجليل وينقلوا عنه حتى لقد قيل ان الذين رووا عن مالك مباشرة أكثر من الف رجل ..

وضع الحديث فى هذا العصر ومناهضة العلماء له:

على أن كتابة الحديث والاحتياط فى روايته والتثبت من رواته . كل أولئكم لم يمنع الوضاعين

من التفنن فى الوصول الى أغراضهم الخبيثة . وكان كثير من هؤلاء الوضاعين يهدفون الى أغراض سياسية . فوضعوا أحاديث للتنفير من بنى أمية ، وأحاديث للتنفير من بنى العباس . وكان بعض هؤلاء الوضاعين من الزنادقة وقد أسلم هؤلاء فى الظاهر ولكن حقيقتهم كانت تنطوى على الكفر والمروق من الدين . ولاشك أن غرضهم من وضع الأحاديث هو تشويه الاسلام واضعاف شأن المسلمين .

التصدى لتزييف الحديث :

ويدلنا على ماكان يقوم به هؤلاء الزنادقة من جهود جبارة فى تزييف الحديث ووضعه مارواه السيوطى فى تاريخ الخلفاء حيث قال : « أخذ هارون الرشيد زنديقا فأمر بضرب عنقه . فقال له الزنديق : لم تضرب عنقى ؟ قال له : لأريح العباد منك . قال : فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله كلها مافيها حرف واحد نطق به ، قال له الرشيد : فأين أنت يا عدو الله من أبى اسحاق الفزارى وعبد الله بن المبارك ينخلانها حرفا حرفا فيظهران كذبها وزيفها ..

فلا شك أن هذه الرواية تدل على جهود الزنادقة فى وضع الحديث وتزييفه . ولكنها فى الوقت نفسه تشير الى أن هناك قوة عظيمة كانت تقابل هذا الشر وتمنع استفحاله وهى قوة المحدثين المخلصين الذين يبحثون الأحاديث وينقدونها بعناية كى يميزوا الغث من الثمين ، والصحيح من السقيم .

نشاط العلماء فى تنقية الحديث :

وقد نشط علماء الحديث فى هذا العصر نشاطا كبيرا فى تدوين السنة وضاعفوا الجهود فى تخليصها مما علق بها من أوزار حتى ليروى انهم كانوا يغربلون الأحاديث ثم ينخلونها ليبقى منها الطيب ويسقط الخبيث ، وان الحديث المستوفى للشروط لم يكن يتيسر الحصول عليه الا من بين مئات الأحاديث .. وقد اشتهر من العلماء المحدثين فى هذا العصر مالك بن انس وقد تحدثنا باختصار عن موطئه . ويحى بن سعيد القطان وسفيان الثورى . والأوزاعى ، والليث ابن سعد ، ومحمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنهم اجمعين ..

التدوين فى القرن الثالث الهجرى :

ويعتبر القرن الثالث الهجرى هو الحد الفاصل فى تاريخ تدوين السنة النبوية . ذلك بأن أعداء الاسلام قد حاربوه بكل سلاح وقعدوا له كل مرصد فكان لزاما على المسلمين أن يخلصوا سنة الرسول صلى الله عليه وسلم من هذه الفتن ويخرجوها للناس نقيةصافية كما وقعتمن الرسول صلى الله عليه وسلم . ويسارعوا الى تدوين ماتظهر صحته فى كتب خاصة يتداولها الناس جيلا بعد جيل ، ومن هؤلاء الذين أساءوا الى السنة النبوية فى ذلك الوقت ودسوا فيها كثيرا من الأباطيل والأكاذيب الشعوبيون والزنادقة .

الشعوبيون وتزييف الحديث :

وليس من موضوعنا أن نفصل الكلام فيما فعله هؤلاء الأعداء الذين أساءوا للعروبة والاسلام ولكننا نكتفى بذكر أمثلة يسيرة فى هذا الصدد ، فمن الأمثلة التى وضعها الشعوبيون لتأييد مذهبهم وهو تفضيل العجم على العرب مايزعمون من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عنه على بن أبى طالب رضى الله عنه : « ان لله بخراسان مدينة يقال لها « بخارى » وان أهلها آمنون من الصرخة عند الهول . فطوبى لهم . يطلع الله عليهم فى كل ليلة فيغفر لمن يشاء منهم ويتوب على من تاب »، وما يزعمون من أن الأعاجم ذكرت عند النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : « انا بهم أوثق منى بكم » .

ومثل هذه الأحاديث المزعومة تسىء بلا شك الى العرب جميعا اذ تجعلهم بعيدين عن رحمة الله ومغفرته وغير أهل لثقة الرسول بهم . وهى بلا شك أوهن من أن يرد عليها لأنها تحمل فى طياتها ما يهدمها .

ومن الأمثلة التى وضعها الزنادقة ونسبوها ظلما للرسول صلى الله عليه وسلم مايزعمون من أن الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — قال : « رأيت ربى فى المنام فى أحسن صورة شابا موفرا ، رجلاه فى خضرة ، له نعلان من ذهب ، على وجهه فراش من ذلك » .

ومثل هذا الكلام بعيد — بلا شك — عن مبادىء الاسلام التى تنادى بأنه سبحانه ليس كمثله شىء . وهى تنشر تلك الأفكار المضللة حول

الذات الالهية ، ولاشك أن الغرض من تلك الأكاذيب هو اشعال الفتن بين المسلمين . وتفريق الجماعة الاسلامية ودس الكفر والالحاد فى ثنايا الدين الاسلامى باسم مايزعمون ويوهمون أنه من السنة النبوية وهى — فى واقع الأمر — منه براء .

ومن أجل ذلك نشط العلماء نشاطا منقطع النظير . وشمروا للكفاح الدائب والجهاد المخلص حتى استطاعوا أن ينقدوا الأحاديث الزائفة نقد الصيرفى الحاذق ، ويقفوا على عللها وأمراضها وقفة الطبيب البارع . وقد خرجوا — بحمد الله — من هذا الكفاح بنتيجة رضى الله عنها وهى تلك الكنوز العظيمة من كتب السنة الصحيحة .

طريقة ابن حنبل فى تدوين الحديث :

ومن أشهر العلماء الذين قاموا بهذا العمل الامام **احمد بن حنبل** ، وكتابه « **المسند** » يعتبر — بحق — أجمع كتب السنة للحديث فقد اشتمل على ثلاثين ألفا من الأحاديث ، وفى أحاديثه مايزيد على ثلاثمائة حديث ثلاثية الاسناد أى بين راويها وبين الرسول ثلاثة رواة ، وكانت الطريقة التى سلكها فى تدوينه هى أن يذكر الصحابى ثم يورد مارواه من الأحاديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم غير ناظر الى ترتيبها حسب موضوعاتها ثم يتلوه بالصحابى الآخر وهكذا ، فهو — مثلا — يبدأ كتابه المسند بذكر الأحاديث المروية عن أبى بكر وقد جمع منها واحدا وثمانين حديثا ثم يذكر الأحاديث المروية عن عمر بن الخطاب وقد جمع منها ثلاثمائة وعشرة أحاديث ثم يذكر الأحاديث المروية عن عثمان .. وهكذا ، ويكاد العلماء يجمعون على أن ماورد فى هذا الكتاب من الأحاديث حجة حتى لقد ذكر أبو موسى المدينى فى كتابه : « خصائص المسند » أن هذا الكتاب (أى مسند الامام أحمد) أصل كبير ومرجع وثيق لأصحاب الحديث انتقى من حديث كثير وموسوعات وافرة فجعله صاحبه اماما ومعتمدا . وعند التنازع ملجأ ومستندا ..

طريقة البخارى فى تدوين الحديث :

ومن اشهر العلماء — كذلك — فى هذا المجال الامام الجليل أبو عبد الله **محمد بن اسماعيل البخارى** وقد اتفق جمهور العلماء على أن كتابه « **الجامع الصحيح** » هو أصح كتب الحديث وذلك بأنه لم يكن يخرج من الأحاديث الا ما اتصل سنده وثبتت ثقة رواته . وقد جمع البخارى صحيحه فى ستة عشر عاما وماكان يضع فيه حديثا الا بعد أن يغتسل ويصلى ركعتين ويستخير الله فى وضعه . فاذا عرفنا أن عدد الأحاديث التى جمعها البخارى فى هذا الكتاب وصلت الى الفين وستمائة حديث وحديثين ، أدركنا مدى المجهود العنيف الذى بذله هذا الامام العظيم فى تدوين هذا الكتاب العظيم . وقد بوبه البخارى على أبواب العلم والفقه فجمع فى كل باب من الأحاديث الصحيحة مايناسبه ، وقد توفر العلماء على شرحه ولم يظفر كتاب من كتب الحديث بمثل ماظفر به هذا الكتاب من جهد وعناية ولا يزال هو المرجع الأول فى الحديث الى يوم الناس هذا .

طريقة النيسابورى فى تدوين الحديث :

ثم يجيىء بعد ذلك الامام الجليل **مسلم بن الحجاج النيسابورى** . واهم كتبه كتاب الصحيح المسمى « **صحيح مسلم** » ، ويعتبر هذا الكتاب خير كتب الحديث بعد كتاب « الجامع الصحيح للامام البخارى » وقد رتبه الامام مسلم على أبواب الفقه فجمع كل الأحاديث التى تتعلق بموضوع واحد فى قسم خاص ، وقد تخير الأحاديث الصحيحة فلم يكن يخرج من الأحاديث الا ماتصل سنده وثبتت ثقة رواته وبلغت أحاديث هذا الكتاب أربعة آلاف حديث .

ويلى ذلك فى الأهمية كتاب « **المجتبى من السنن للنسائى** » . وكتاب « **سنن أبى داود** » و كتاب . « **الجامع لأبى عيسى الترمذى** » . وكتاب « **سنن ابن ماجه** » .

وقد ترك هؤلاء الأئمة الاعلام آثارهم الجليلة التى خدموا بها السنة النبوية وهى — بحق — كنوز قيمة يتداولها الناس جيلا بعد جيل فتزداد على الأيام قيمتها ويعظم نفعها .

وقد استقر — بعد تدوين هذه الكتب — التى جمعها هؤلاء العلماء الاعلام أمر السنة النبوية واطمأنت نفوس المؤمنين الى الأسس السليمة التى قام عليها جمع الأحاديث فى هذه الكتب . ولا غرو فقد كانت هذه الكتب — ولا تزال — المعجم الحافل بالأحاديث الصحيحة . والأساس المتين الذى بنى عليه سائر المحدثين فى مختلف القرون ..

هذا . ومن الله العون وبه التوفيق .

ماجاء فى قوله تعالى

"وأنذر عشيرتك الأقربين"

الدكتور موسى شاهين لاشين

١ — عن أبى هريرة قال : لما نزلت هذه الآية : « وانذر عشيرتك الأقربين » دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص ، فقال : (يابنى كعب بن لؤى ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يابنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يافاطمة أنقذى نفسك من النار ، فانى لا أملك لكم من الله شيئا ، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها) .

٢ — عن عائشة قالت : لما نزلت « عشيرتك الأقربين » قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا ، فقال يافاطمة بنت محمد ، ياصفية بنت عبد المطلب ، يابنى عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئا ، سلونى من مالى ما شئتم) .

٣ — عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه : **« وأنذر عشيرتك الأقربين »** : (يا معشر قريش . اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، يابنى عبد المطلب ، لا أغنى عنكم من الله شيئا ، ياعباس بن عبد المطلب ، لا أغنى عنك من الله شيئا ، ياصفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا يافاطمة بنت رسول الله سلينى بما شئت . لاأغنى عنك من الله شيئا) .

٤ — عن قبيصة بن المخارق، وزهير بن عمرو قالا : لما نزلت **« وانذر عشيرتك الأقربين »** قال : انطلق نبى الله صلى الله عليه وسلم الى رضمة من جبل . فعلا أعلاها حجرا ، ثم نادى : يابنى عبد مناف ، انى نذير ، انما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله ، فخشى أن يسبقوه ، فجعل يهتف : ياصباحاه) .

٥ — عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية **« وانذر عشيرتك الأقربين »** ، ورهطك منهم **المخلصين »** خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى صعد الصفا ، فهتف : ياصباحاه فقالوا من الذى يهتف ؟ قالوا : محمد . فاجتمعوا **اليه فقال : يابنى فلان : يابنى فلان . يابنى** عبد مناف . يابنى عبد المطلب ، فاجتمعوا اليه فقال : أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل . أكنتم مصدقى ؟ قالوا : ماجربنا عليك كذبا . قال : فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد . قال : فقال أبو لهب تبا لك . أما جمعتنا لهذا ؟ ثم قام ، فنزلت هذه السورة **« تبت يدا أبى لهب وقد وتب »** (كذا قرأ الأعمش) الى آخر السورة .

٦ ـ عن ابن عباس قال : صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا فقال : ياصباحاه !! بنحو الحديث السابق ، ولم يذكر نزول الآية « **وانذر عشيرتك الأقربين** » .

لرفع المحاباة وللترغيب فى دعوة الاسلام ، للاشعار بانها الخير كل الخير أمر صلى الله عليه وسلم أن يبدأ بدعوة قومه وعشيرته واقربائه ، بل أن يبدأ بأقرب الناس اليه داعيا له ومنذرا اياه من عذاب شديد ، فقال جل شأنه : « وانذر عشيرتك الأقربين » صلى الله عليه وسلم وبادر ، فصدع بما أمر ، فصعد الصفا ، الذى قدسه للعرب كشعيرة من شعائر الحج ، ثم وضع أصبعيه فى أذنيه ، وهتف بأعلى صوته: باصباحاه ياصباحاه ، يامعشر قريش يابنى فهر فاجتمعوا ، يابنى لؤى فأجاب بنو الأروم بن غالب ، ياآل كعب ياآل كلاب ياآل قصى ، ياآل عبد مناف ، يا بنى هاشم ، يا بنى المطلب فاجتمعوا ، وجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو. قال له أبولهب: هؤلاء عبد مناف عندك ماذا تريد منهم ؟ فقال : أخبرونى لو أنبأتكم أن عدوا لكم جاء بخيله خلف هذا الوادى يريد أن يغير عليكم ، أكنتم مصدقى ؟ قالوا نعم . فوالله ماجربنا عليك كذبا، وانك عندنا الصدوق . قال : فانى رسول الله اليكم بين يدى عذاب شديد ، يامعشر قريش انقذوا أنفسكم من النار بالايمان يابنى مرة ، اشتروا أنفسكم من الله بالاسلام ، يابنى عبد شمس ، أنقذوا أنفسكم من النار بالاسلام ، يابنى عبد مناف ، أنقذوا أنفسكم من النار ، يابنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار فانى لا أغنى عنكم من الله شيئا . ياعباس بن عبد المطلب ، أنقذ نفسك ، فانى لا أغنى عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله ، أنقذى نفسك ، فانى لا أغنى عنك من الله شيئا ، يافاطمة بنت محمد، أنقذى نفسك ، فانى لا أغنى عنك من الله شيئا ، سلينى من مالى ماشئت ، فقد أنفعك لكن لا تتكلى على فاننى لا أملك لك من الله شيئا ان لم تؤمنى .

فقال أبو لهب : تبا وخسرانا وهلاكا لك يامحمد . ألهذا اجمعتنا ؟ ألهذا القول الساحر دعوتنا ؟ وأخذ حجرا يريد أن يرمى به محمدا صلى الله عليه وسلم ، وهاج الناس وماجوا ، وأخذ يناقش بعضهم بعضا . ونزل صلى الله عليه وسلم فدافع الله عنه ، وأجاب عنه أبا لهب بقوله جل شأنه «**تبت يدا أبى لهب وتب» ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وحقق الله وعده فهلك أبو لهب حسرة وكمدا حين هزمت قريش فى غزوة بدر ، وأتم الله نوره رغم أنف الكافرين .**

قال الحافظ ابن حجر : هذا الحديث من مراسيل الصحابة لأن أبا هريرة انما أسلم بالمدينة ، وهذه القصة وقعت بمكة ، لتصريحه فى حديث الباب أنه صعد الصفا ، ولأن ابن عباس كان حينئذ اما لم يولد ، واما كان طفلا . ا هـ.

كما أن عائشة لم يتجاوز سنها بمكة ثمانى سنوات على أرجح الأقوال . ويشكل على الحديث نداء فاطمة فى الرواية الثانية والثالثة ، وهى لم تكن بالغة بحيث تخاطب بالأحكام ، ويمكن أن يجاب على هذا الاشكال بأن نداءها لم يكن لتكليفها بالأحكام ، وانما ليعلن لقريش أنه لا يملك لها شيئا عند الله ان لم تفعل لنفسها بعد بلوغها وان كان يملك أن يعطيها من ماله ما تسأل .

ووجه تخصيص عشيرته صلى الله عليه وسلم الأقربين بالانذار مع عموم رسالته دفع توهم المحاباة ، وأن الاهتمام بشأنهم أهم ، وأن البداءة تكون بمن يلى ، ثم من بعده وقال الحافظ ابن حجر : والسر فى الأمر بانذار الأقربين أولا أن الحجة اذا قامت عليهم تعدت الى غيرهم والا فكانوا علة للأبعدين فى الامتناع ، والا يأخذه ما يأخذ القريب من العطف والرأفة ، فيحابيهم فى الدعوة والتخويف فلذلك نص له على انذراهم أهـ .

وأرفد صلى الله عليه وسلم فاطمة وصفية فى الرواية الثانية وعباس فى الرواية الثالثة لشدة قرابتهم ، ولشدة صلته بهم من بين قراباته ، فاذا انتفى نفعه لمن يحب من أقاربه ، ومن يحرص على نفعه ، انتفى عن غيره من باب أولى .

وقد جاء فى الرواية الخامسة زيادة : « ورهطك منهم المخلصين » قال الحافظ ابن حجر : وهذه الزيادة وصلها الطبرى عن عمرو ابن مرة أنه كان يقرؤها كذلك .

رأى القرطبى :

لعل هذه الزيادة كانت قرآنا فنسخت تلاوتها، ثم استشكل ذلك بأن المراد انذار الكفار والمخلص صفة المؤمن ، وأجيب عن ذلك : انه لا يمتنع عطف المخلص على العام فقوله : « وانذر عشيرتك الأقربين » عام بمن آمن منهم ومن لم

يؤمن ، ثم عطف عليه الرهط المخلص تنويها بهم وتأكيدا .

واستدل بعض المالكية بقوله فى الروايتين الثانية والثالثة « يافاطمة بنت محمد بنت رسول الله ... لاأغنى عنكم من الله شيئا سلونى من ما لى ماشئتم » على أن النيابة لا تدخل فى أعمال البر ، اذ لو جاز ذلك لتحمل صلى الله عليه وسلم عن فاطمة مايخلصها فاذا كان عمله لا يقع نيابة عن ابنته فغيره أولى بالمنع ، ورد عليهم بأن هذا كان قبل أن يعلمه تعالى بأن يشفع فيمن أراد ، وتقبل شفاعته حتى يدخل قوما الجنة بغير حساب ، ويرفع درجات قوم آخرين، ويخرج من النار من دخلها بذنوبه من المؤمنين ، أو كان المقام مقام التخويف والتحذير ، أو انه أراد المبالغة فى الحض على العمل ويكون فى قوله : « لاأغنى شيئا » اضمار : الا أن يأذن الله لى بالشفاعة .

ويؤخذ من الحديث :

١ — استحباب القيام على عال أو مرتفع من الأرض لابلاغ الدعوة أكبر عدد ، فان فى انتشار الصوت ، مع تمكين السامعين من مشاهدة المتكلم مما يساعد على استقرار الكلام فى النفوس .

٢ — مشروعية الهتاف بياصباحاه ونحوها ، لجمع الناس ، وقد ورد عن الطبرى أن النبى صلى الله عليه وسلم وضع أصابعه فى اذنه ورفع صوته .

٣ — وضوح بيانه صلى الله عليه وسلم وقوة حجته ، اذ أخذ اقرارهم أولا على صدقه فى مهام أمورهم وأخطرها قبل أن يخبرهم وينذرهم .

٤ — صبره صلى الله عليه وسلم على ايذاء قومه . بل على ايذاء من هو أقرب الناس اليه وهو عمه ، فقد روى (أن أبا لهب أخذ بيديه حجرا ليرمى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبل قوله تبا لك) .

٥ — قال القاضى عياض : استدل به وبالسورة على جواز تكنية الكافر وقد اختلف العلماء فى ذلك ، واختلفت الرواية عن مالك فى جواز تكنية الكافر بالجواز والكراهية .

وقال بعضهم : انما يجوز من ذلك ماكان على جهة التآلف والا فلا ، اذا فى التكنية تعظيم وتكبير ، وأما تكنية الله تعالى لأبى لهب فليست من هذا ، ولا حجة فيه ، لأنه قد ترك اسمه لقبحه لأن اسمه عبد العزى ، وهذه التسمية باطلة فلهذا كنى عنه وقيل : لأنه انما كان يعرف بها .

وقيل : ان أبا لهب لقب ، وليس بكنية ، وكنيته أبو عتبة ، وقيل : انما ذكر بهذه الكنية للاشارة الى ما يئول اليه أمره من لهب جهنم ، وذهب جماعة الى أن الكنية لا تدل بمجردها على التعظيم ، بل قد يكون الاسم أشرف من الكنية ولهذا ذكر الله الأنبياء عليهم السلام بأسمائهم ، دون كناهم والله أعلم .

هجرة الرسول ويوم الاثنين

كانت هجرته صلى الله عليه وسلم فى شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من النبوة وذلك يوم الاثنين . روى الإمام أحمد عن ابن عباس أنه قال : « وُلِد نَبِيُّكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين وخرج من مكة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين » . قال الحاكم : « تواترت الأخبار أن خروجه كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين

فلسفة

مصدرها الإسلام

(٣)

الدكتور محمد عبد المنعم القيعى

تحدثت فى المقالين السابقين عن فلسفة أصول الفقه فى الجانبين : النظرى، والعملى . وأذكر فى هذا المقال بعض القواعد العامة من أصول الفقه ، للتأكد من صحة ماندعيه من أن علم أصول الفقه علم اسلامى ، ليست فيه أفكار غريبة ، ولا خواطر واردة من فكر غربى أو مستغرب ، ولا من فكر شرقى أو مستشرق . وانما هو فكر مستقل أوحت به نصوص الاسلام ، فرتبه العقل المسلم ترتيبا بلغ به الى أقصى مايطمح اليه أى مفكر منصف .

القواعد العامة :

تمتاز قواعد الأصوليين بمميزات كثيرة ، أذكر منها على سبيل التدليل خمس مميزات . ولهم فى استخلاص القواعد طريقتان تساويان طريقتى المنطق القديم والحديث :

الطريقة الأولى : القواعد الكلية الحاكمة على الفروع .

والطريقة الثانية : طريقة الاستنباط ، ثم تقرير القواعد الكلية المقررة للفروع .

والأولى — طريقة الشافعية . والثانية — طريقة الأحناف .

ولا يقال ان الطريقتين أخذتا من المنطق بقسميه لاختلاف الطريقتين شكلا وموضوعا عن كل من المنطق القديم والحديث .

وتعرف طريقة الشافعية بالطريقة النظرية حيث تشتغل بالكليات ، وطريقة الأحناف تعرف بالطريقة العملية حيث تستنبط من الجزئيات .

وبين أبى حنيفة و «بيكون» ، من السبق الزمنى مالايدع مجالا لأى شك فى سبق واستقلال أصول المسلمين عن أية فلسفة غربية أو شرقية .

وأما ادخله المتأخرون فى الأصول من بحوث منطقية وفلسفية ، فليست من أصول الفقه فى شىء ، كالذى صدرت به كتبهم . ولا ننكر ولع بعض الكاتبين بادخال على الموضوع ماليس منه مما يجافى مميزات قواعد الأصول الخمس التى هى :

الموضوعية ، والدقة ، والاستقصاء ، والمرونة ، والترابط .

١ — الموضوعية :

يهتم الأصوليون اهتماما بالغ الأهمية بتحديد الموضوع ، وهو مايعرف عندهم بتحرير موضع النزاع ، حتى لايكون ثمة اختلاط فى تشعب

الخلاف من غير طائل . فيسألون عن الثمرة المترتبة على هذا الخلاف بعد تحديد موضع النزاع . ومن ثم يقضى على كثير من الخلافات الصورية التى لايرجى من ورائها ثمرة .

فمثلا : اختلف الأحناف والشافعية فى دلالة العام — أهى ظنية كما قال الشافعى ؟ أم قطعية كما قال الحنفى ؟ **وهم يحررون محل النزاع على النحو الآتى :**

العام بعد التخصيص لا خلاف بين الفريقين فى أن دلالته ظنية ، وانما الخلاف فى العام قبل التخصيص . ومعنى الظنية عند الشافعى الاحتمال . ومعنى القطع عند الأحناف — معناه العام — فيسلم أبو حنيفة بأنه محتمل ، الا أنه احتمال غير ناشىء عن دليل ، فتكون النتيجة أنه لا خلاف بينهم فى احتمال العام . الا أن الشافعى يقول هو محتمل ، ويقول الحنفى هو محتمل لكنه لم ينشأ عن دليل .

وبناء عليه ، فهو يعمل به قبل البحث له عن مخصص . أما الشافعى فيتوقف فيه حتى يعلم أو يظن انه لا مخصص له .

فاذا انتقلنا الى مثال آخر للتدليل على انهم يراعون الموضوعية ، وجدناهم يصنفون الباحثين الى أصناف تختلف موضوعاتهم بحسب مراتبهم : فأعلاهم : المجتهدون فى الشرع . وهم لايتقيدون بأصول امام معين أو بفروع ، ولهم شروطهم .

ويليهم المجتهدون المنتسبون — وهم الذين يتقيدون بأصول الامام الذى ارتبطوا به دون الفروع . ولهم أيضا شروطهم .

ثم المجتهدون فى المذهب الذين يتقيدون بأصول المذهب وفروعه ، ولهم كذلك شروطهم .

ثم المرجحون الذين يتعين عليهم ان يستصحبوا النفى الأصلى ، وأن يعلموا مواضع الاجماع ، وأن يبحثوا فى الكتاب والسنة المتواترة ، وأن يعرفوا المقيدات والمخصصات من أخبار الآحاد والأقيسة ، كل ذلك حتى لا يتورطون فى ترجيح ماليس براجح .

ويليهم الموازنون بين الأقوال . فعملهم فى أقوال سابقة عليهم بخلاف المرجحين .

ثم الحافظون للقواعد ، وليس لهم من عمل الا الاخبار بها .

واخيرا ، المقلدون الذين يستطيعون فهم الكتب . وعملهم فى خاصة أنفسهم . والويل لمن قلدهم .

واذا سرحنا الطرف وأعملنا الفكر فيما قالوه ، وجدناهم بحق علماء ، وكلما كان المنهج محددا والهدف واضحا — دل ذلك على الكفاية العقلية الممتازة .

٢ — الدقة :

لاشك أن الدقة من أظهر الأدلة على القوة العقلية والملكة الفكرية . وللأصوليين الباع الطويل فى هذا .

فمثلا : يعرفون المجمل بأنه ماخفى المراد منه، ولما كان هذا يشتبه بالمشكل الذى خفى المراد منه أيضا — فرقوا بينهما بأن الخفاء فى المجمل جاء من قبل اللفظ — كلفظ الربا — معناه فى اللغة الزيادة . لكن أية زيادة هى المحرمة ، وربح البائع زيادة وهى حلال له .

أما المشكل — فجاء الخفاء فيه بسبب مايعرض له . مثاله : قوله تعالى : **« نساؤكم حرث لكم ، فاتوا حرثكم انى شئتم »** فقوله : **« انى شئتم »** وقع فيه الخفاء بسبب العارض وهو الغشيان فى غير مكان التناسل ، وانه لمحرم .

لكن قوله : « حرث » وقوله : **« وقدموا لانفسكم »** من طلب الولد ونحوه ، ازال هذا الاشكال ، وحدد الاتيان فى موضع التناسل بأية كيفية وأى زمن سوى الأزمنة الممنوعة .

وبعد هذه الدقة ، قسموا المجمل الذى جاء الخفاء من لفظه الى : مجمل لا يعرف الا بعد التفسير — كلفظ الهلوع .

ونوع معلوم لغة لكنه غير مراد بمعناه اللغوى — كلفظ الربا .

ونوع ثالث معلوم لكنه متعدد والمراد واحد — كمن أوصى لموال اعتقهم وله موال اعتقوه .

فمن قال : أوصيت لموالى — وهو بتلك

الحالة — كان كلامه مجملا ، والمجمل على أى حال يتوقف العمل به الى البيان الذى يزيل هذه الاشكالات .

٣ — الاستقصاء :

ومعناه : تتبع كل الأحوال . ومثال ذلك حديثهم عن معنى لفظ « البيان » فهم يقسمونه الى : بيان التقرير ، وبيان التفسير ، وبيان التغيير .

ثم ينتقلون الى المبين به — وهو اما باللفظ ، او بالفعل ، أو بالتقرير .

والمبين باللفظ — اما بالمنطوق،واما بالمسكوت. ويعبرون عنه ببيان الضرورة ، نحو قوله تعالى : **« فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث »** والمسكوت أن يكون لأبيه الثلثان .

أما بيان المنطوق — فهو اما بيان المجمل — ويسمى بيان التفسير . أو غير المجمل — ويسمى بيان التقرير . وكل من البيانين موافق للمبين .

وهناك بيان مخالف مقارن — كالاستثناء . أو غير مقارن — كوضع الشروط والموانع .

وكل هذه التقسيمات تدور ، لأن البيان اما نفس الاظهار أو ما به الاظهار .

فهل ترى استقصاء كهذا الاستقصاء الذى بلغ الغاية فى التحليل والتأويل ؟ .

٤ — المرونة :

واعنى بها احترام مصطلحات الآخرين .

لم يفرض الأصوليون على غيرهم مصطلحاتهم. فالشرط عندهم : اخراج عين الواجب من العدم الى الوجود ، وللفقهاء فى الشرط اصطلاح غير هذا الواجب للغويين والعقليين . وقل فى السبب والعلة مايقال فى الشرط .

ولا غضاضة عندهم فى ترجيح احدهم وقبوله قاعدة مخالفة لامامه ، مما يدل على رجاحة عقولهم وبعدهم عن التعصب المذهبى الذى جلب به الجهلة ويلات عليهم وعلى أبناء دينهم .

٥ — الترابط :

واعنى به عدم التشتت ، فمثلا : الأحكام الخمسة التى هى :

الواجب ، والمندوب ، والمباح ، والمكروه ، والحرام ، مترابطة أكمل ترابط . فالواجب أعلى المأمور به . ويليه المندوب وهو خادم له ، يندب فى الجزء ويجب فى الكل .

فمن ترك الأذان المندوب طول حياته — أثم — لأنه ترك الواجب الذى هو الأذان فى العمر ولو مرة . أما الأذان فى كل وقت على حدة — فهو مندوب ..

وقل ذلك فى الحرام والمكروه . فالحرام أشد المنهيات . ويليه المكروه ، والحرام مقصود لذاته . والمكروه مقصود لغيره . فمن داوم على فعل المكروهات أثم — كالذى ارتكب محرما .

أما المباح — فمن حيث هو — مأذون فى فعله أو تركه . لكن من حيث انه وسيلة الى المطلوب — كان مندوبا . والى المتروك كان مكروها .

وربما وصل المباح الى الواجب أو الى الحرام — كالأمر بالأكل فى قوله تعالى : **« وكلوا واشربوا »** فالأمر للاباحة . لكن كل مايحفظ الجسم من الأكل والشرب فهو واجب . وكذا سب آلهة المشركين فى نفسه — مباح . لكن من حيث ما يوصل اليه كان حراما ، قال تعالى : **« ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم »** ..

وبعد : فللأصوليين قواعدهم العامة ، مثل قولهم : القياس مظهر للحكم لا مغير له .. وقولهم : القياس ظنى وقطعيته عارضة — كالعلة المنصوص عليها ان تحقق وجودها فى الفرع . وكالقياس الأولى اذا اندرج الأصل فى المسكوت عليه ، مثل : قبول شهادة الاثنين . فقبول شهادة الثلاثة من باب أولى .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الكناية والتصريح في اللغة القرآنية

الدكتور رمضان عبد التواب

نزل القرآن الكريم بلسان عربى مبين، وجرى فى أساليبه ومحاوراته على طريقة العرب فى لغتهم ، بما فى هذه اللغة من فصاحة وبلاغة ، وان كان القرآن الكريم — باعتراف القوم أنفسهم — قد نزل بأعلى ماتصبو اليه لغتهم من تلك الفصاحة والبلاغة .

ولقد كانت العرب تعد الكناية من البراعة والبلاغة ، بل انهم ليعدونها مع التعريض والتلميح أبلغ من التصريح . واذا تأملنا فى كنايات القرآن الكريم ، وجدناها القمة فى البلاغة والغاية فى الاعجاز ، فهى تقوم بنصيبها كاملا فى أداء المعانى وتصويرها خير أداء وتصوير . وهى حينا راسمة مصورة موحية ، وحينا مؤدبة مهذبة ، تتجنب ماينبو على الأذن سماعه ، وحينا موجزة تنقل المعنى وافيا فى لفظ قليل . ولا تستطيع الحقيقة أن تؤدى المعنى كما أدته الكناية ، فى المواضع التى كنى فيها القرآن عن شىء معين أو معنى من المعانى .

والكناية عند أهل البيان أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعانى ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له من اللغة ، ولكن يجىء الى معنى هو تاليه ورديفه فى الوجود ، فيومىء به اليه ، ويجعله دليلا عليه، فيدل على المراد من طريق أولى ، مثاله قولهم : « فلان طويل النجاد » أو « فلان كثير الرماد » ، يعنون فى الأول أنه طويل القامة ، كما يريدون بالثانى أنه كثير الضيافة ، فلم يذكروا المراد بلفظه الخاص به ، ولكن توصلوا اليه بذكر معنى آخر هو رديفه فى الوجود ، لأن قامة الانسان اذا طالت طال نجاد السيف وهو مايعلق به ، كما أنه اذا كثرت الضيفان عند امرىء ، كثر عنده الرماد المتخلف عن نار القرى .

وقد كنى . القرآن الكريم عن « الجماع » بكنايات كثيرة ، منها : « التغشى » فى قوله تعالى: « هو الذى خلقكم من نفس واحدة ، وجعل منها زوجها ليسكن اليها ، فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به ، فلما أثقلت دعوا الله ربهما » ، فالتغشى هنا كناية عن قضاء الرجل حاجته من زوجته ، لأنه لازم لذلك ، فلا داعى اذن لما ذهب اليه بعض المفسرين ، من تفسير التغشى بالتدثر على الحقيقة ، والقول بأن فى الآية محذوفا ، وهو ماذهب اليه الامام الطبرى فى قوله : « ويعنى بقوله : فلما تغشاها : فلما تدثرها لقضاء حاجته

منها ، فقضى حاجته منها، حملت حملا خفيفا .وفى الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما حذف ، وذلك قوله : فلما تغشاها حملت ، وانما الكلام : فلما تغشاها ، فقضى حاجته منها ، حملت » ، اذ الحمل على الكناية أبلغ من ستر المعنى المراد بحذفه ، كما يذهب الطبرى .

أما قوله تعالى فى هذه الآية : « فلما أثقلت دعوا الله ربهما » فقد قالوا فيه : ان حواء لما أثقلت أتاها ابليس اللعين ، فى صورة رجل ، فقال لها : ماهذا الذى فى بطنك ؟ وكان ذلك أول حمل لها — فقالت : لا أدرى ، فقال لها : أرأيت ان دعوت ربى فولدته انسانا ، أتسمينه باسمى ؟ فقالت — وهى لاتعرفه : نعم . وقالت هى وآدم: « لئن أتيتنا » يارب « صالحا لنكونن من الشاكرين » ، أى لئن خلقته بشرا سويا مثلنا ، ولم تجعله بهيمة مثلا ، لنشكرنك . فلما ولدته أتاها ابليس ليسألها الوفاء ، فقالت مااسمك ؟ قال : الحارث ، فتسمى بغير اسمه ، ولو تسمى باسمه لعرفته ، فسمت مولودها عبد الحارث ، ولذلك يقول الله تعالى فى الآية التالية : « فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما » . وانما جعلا له الشرك بالتسمية ، لا بالنية والعقد، كما يقول المفسرون .

قال ابن قتيبة : والى هذا الجزء من الآية انتهى الكلام فى قصة آدم وحواء ، ثم ذكر فى ختامها من أشرك بالله بالنية والعقد من ذريتهما ، فقال: فتعالى الله عما يشركون . ولو كان أراد آدم وحواء لقال : عما يشركان ، فهذا يدلك على العموم » .

هذا ماقاله ابن قتيبة ، غير أن مافى دلالة الجمع فى العربية ، على مازاد عن الواحد أحيانا، يمكن أن يصرف عجز الآية الى آدم وحواء كذلك ، وان كان الحكم عاما على كل من أشرك بالله ، بمفهوم الآية لا بمنطوقها .

وقد كنت اللغة القرآنية عن الجماع كذلك بالمباشرة ، لما فيه من التقاء البشرة بالبشرة ، كما فى قوله تعالى : « علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن، وابتغوا ماكتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد » .

كما كنى القرآن الكريم عنه كذلك بالسر فى قوله تعالى : « ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم فى أنفسكم ، علم الله أنكم ستذكرونهن ، ولكن لا تواعدوهن سرا الا أن تقولوا قولا معروفا » .

قال الامام الزركشى فى البرهان : « وفى الكناية عنه بالسر لطيفة تذكر ، وهى أنه لايكون من الآدميين الا فى السر غالبا ، ولا يسره من المخلوقات — ماعدا الآدميين — الا الغراب فانه يسره . ويحكى أن بعض الأدباء أسر الى أبى على الحاتمى كلاما فقال : ليكن عندك أخفى من سفاد الغراب ، ومن الراء فى كلام الألثغ . فقال: نعم يا سيدنا ، ومن ليلة القدر وعلم الغيب » .

و « الرفث » من الكنايات عن ذلك أيضا فى القرآن الكريم ، فى قوله تعالى : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » . وفى عجز هذه الآية كناية أخرى عن المعانقة والاختلاط ، فى قوله تعالى : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » . ومن الكناية بالرفث عن الجماع كذلك قوله تعالى : « الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج » .

وقد كنى القرآن الكريم عن ذلك أيضا بالدخول فى مثل قوله تعالى : « وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن ، فان لم تكونوا

أهلاً

بالعام الهجرى الجديد

شعر احمد عثمان المراغى

أقبل بآمال الحياة ... وانشر على الكون سناه
وأسطع بانوار الوجود ... فقد تمادى فى دجاه
واملأ نفوس الناس ... حبا مستقرا فى صفاه
فالحب منجع عالم ... ورواؤه فيه شفاه
وارحم قلوبا ملؤها ... قسر لأفعال الطغاه
تبكى وتسأل رحمة ... من ربها فهو الاله
ليزيح عنها الظالمين ... وقل افساد العتاه
فنرى الحياة جميعها ... من أهلها تشكو الحياه
تشكو من الحقد الذى ... سكن القلوب بمنتهاه
تشكو القوى فقد رأى ... سحق الضعيف له مناه
تشكو الغنى فكم يجور ... على المساكين غناه
تشكو الشقيق من الشقيق ... يئن مجروح اللهاه
والجار يؤذى جاره متعمدا ... حتما ..... أخاه
والعرض تهتكه النفوس ... العاريات يسبه قوم دهاه
وتعطل الخلق الكريم ... وأضحى للقرش صداه
وهوت شعوب فلها ... لؤم الغشوم بما رآه
فنرى بأفغان الرجال ... يدوسهم نعل الجناه
ونرى فلسطين العزيزة ... تبكى اقواما أباه
قد أخرجوا هم غيلة ... والبيت يفقد من بناه
وتناثروا فى كل فج ... بؤسهم فوق الجباه
نادوا على كل الورى ... فعساه ينقذهم عساه
فاسطع أيا نور الحياة ... بعامك البادى سناه

قصاص الشباب

إذ هما في الغار ..

مناجاة للحبيب المصطفى في مطلع العام الهجري الجديد

ياامام المرسلين ، يا حبيب الله ، اناجيك من صميم فؤادى ، أن تستغفر لنا عند ربك وتسأله العفو والمغفرة لأمة ظالمة لنفسها ، متناحرة فيما بينها ، وقد أردتها خير أمة اخرجت للناس ، ساء حالها ، ونخشى سوء مآلها ، يوم هجرت كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولكننا بصبرك وجهادك مقتدون ، ونزداد ايمانا ، عندما يخبرنا التاريخ أن المشركين قد تعاهدوا على قتلك ، واخذوا يتشاورون اياما فى دار ندوتهم ، ولكن الله يخبرك بمكرهم وسوء طويتهم ويكشف لك غدرهم « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك اويقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » .

ويأتيك الأمر الالهى بالهجرة فى صحبة الصديق ، وما أعظم ايمانك بالله ، وأقواك ، واوثقك بالنصر المبين ، حيث تبدو على ابى بكر الصديق علامات الخوف والوجل ، وانتما فى الغار ، فلا يتمالك البكاء والنحيب فتقول له كما حدث عنكما القرآن الكريم « الا تنصروه فقد نصره الله ، اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » .

أيها الشباب ، اجيبوا داعى الله وانظروا الى الأمر بدقة وروية ، تروا أن الحياة جهاد وكفاح ، وعمل وبناء فى رحاب الألفة والمحبة والكلمة الطيبة ، وتروا أن الكيس العاقل من حاسب نفسه قبل ان يحاسب .

وواجبنا جميعا اذا أردنا الخلاص ممانعانيه ، أن نرجع الى الله ، ونسأله سبحانه — فى مطلع عامنا الهجرى الجديد أن يرزقنا حسن متابعة نبينا انه سميع الدعاء .

فهو صلى الله عليه وسلم الجامع لكل خلق عظيم . الذى ادبه ربه فاحسن تاديبه الخبير بقيادة الناس ، الفصيح اللسان ، العليم بسياسة الأمم .

صلوات الله وسلامه عليك يارسول الله ، فقد كانت حياتك كلها هداية ونورا ، وافعالك واقوالك مددا يستمد منه الخلق سبل نجاتهم فى معاشهم ومعادهم .

نسال الله لشبابنا الهداية ولأمة محمد النجاة والفلاح والصلاح ، والى لقاء ان شاء الله .

إشراف وإعداد

إمام المصرى • فؤاد هيبه • حامد المرسى

الكلمة وأثرها في الأمم والشعوب

ضرب الله مثلا للكلمة الطيبة ، والكلمة الخبيثة بالشجرة فقال تعالى ((ضرب الله مثلا كلمه طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء)) ((وضرب الله مثلا كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار)) .

ولذلك كانت الكلمة الطيبة لها أثر كبير فى تأليف القلوب واصلاح المجتمع وعن الكلمة وآثارها يحدثنا الدكتور مصطفى شحاته .

الانسان كائن عاقل ومفكر ، كلما عصر ذهنه واطلق ملكات فكره ، كلما توصل الى افكار وآراء جديدة ، وعندما يتكلم تخرج هذه الأفكار والآراء كلاما يسمعه الناس . فاذا كان هذا الكلام قولا جديدا او فكرا غريبا ، كان له تاثير كبير عليهم ، واستجابات متفاوتة بينهم . ويكون له رد فعل بسيط او عنيف يتبعه بالتالى تحولات دينية او اجتماعية او سياسية ، تؤثر فى حياة الشعوب وقد تغير مجرى التاريخ .

فاذا استمع الناس لقول لم يقله أحد من قبل ، تأثروا به كثيرا ، وقد ينفعلوا معه بشدة ويندفعون الى تأييده والاستمساك به ، بل ويضحون بكل رخيص وغال للدفاع عنه وحماية صاحبه . وقد يكون رد فعل الناس عكس ذلك تماما ، فما أن تعرض عليهم هذه الأقوال الجديدة حتى يعارضونها ثم يحاربوها ، ويتمادون فى الغى فيضطهدون قائلها وكل مصدق لها . وقد تكون استجابة الناس بين هذا وذاك . فلاهم يؤمنوا بها ولايكذبونها ، ولكنهم يعرضوا عنها ولايصدقوها .

والقرآن يعرض كثيرا من الأقوال والأفكار التى صدرت عن أفراد من الجن أو الانس فى مواقف مختلفة ، وكان لها أثر بعيد المدى ونتائج عميقة الأثر ، فنجد ابليس يخرج عن طوع ربه ويقول كلاما خطيرا لايقدر نتائجه « قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين » ويكون القرار الالهى حاسما وعادلا لايقاف هذا التحدى « قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم اجمعين » .

وعكس ذلك تماما يحدث من نفر من الجن ، كانوا أكثر حكمة وعقلا ، وتفكيرا وتدبيرا فتخرج أقوالهم متزنة متعقلة ، « قالوا ياقومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم » .

أما الانسان فتاريخه ملىء بمثل هذه المواقف ، وكان لأقواله آثار بعيدة المدى فى الاتجاه السليم أو الخاطىء ، الذى يدعو الى البناء والتعمير أو التخريب والتدمير . ويذكر التاريخ أقوال سقراط للشباب ودعوته إياهم للتهذيب والاصلاح ، فكان أن ثار عليه قومه واتهموه بالخروج على أفكارهم ومعتقداتهم وحكموا عليه بالاعدام . وعكس ذلك تماما بصدد من فرعون مصر ، الذى تمادى فى الكفر والطغيان الى أن قال « وقال فرعون ياأيها الملأ ماعلمت لكم من إله غيرى ، فأوقدلى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى إله موسى وانى لأظنه من الكاذبين » .

وياتى بعده فرعون آخر اسمه « اخناتون » هداه تفكيره المتزن ان يبحث عن إله الكون ، فبحث وفكر ثم نادى بوحدة الاله ، ودعى الشعب والكهنة الى عبادة إله واحد ، ولكن سرعان ماثار عليه الكهنة وزعماء الشعب وشوهوا تاريخه وطمسوا معالم دعوته .

ودعوات الانبياء والرسل والمصلحين عبر التاريخ البشرى القديم قامت على اكتاف هؤلاء جميعا ، يوجهون الناس نحو خالقهم ، ويبعدونهم عن الكفر والطغيان ، وكانت دعواتهم بالاتصال المباشر مع الناس قولا وعملا ، مع دعم مكتوب من الكتب السماوية التى يبلغونها بالقول والكلام . فقليل من الناس استجاب وقبل الدخول فى هذه الدعوات ، والكثير منهم رفضها ، بل قاومها ووصل بهم العناد والكفر الى محاربتها وقتل من يدعو إليها ، بل ومحاولة القضاء على كل اثر لها . والكتب الدينية حافلة بامثلة عديدة لمثل هذه الدعوات وما حدث لها من تصديق او تكذيب .

والقرآن الكريم اعتبر القول من الرسول هو الوسيلة الصحيحة لتبليغ الرسالة وأحكام الشريعة وأصول الدين إلى جميع الناس ، فنجده فى مواضع كثيرة من القرآن يوجه الكلام للرسول بكلمة « قل » ويتكرر ذلك عشرات المرات ، وذلك لأن القول باللسان هو الأبلغ والأقوى فى الوصول الى عقول الناس . وبهذا القول الملهم من الله أمكن للرسول أن يبلغ القرآن كله بالقول لاصحابه ، بل انه كان ينصحهم ويوجههم ويرشدهم بأحاديثه فى كل مناسبة وظرف ، حتى تجمعت لدى المسلمين حصيلة كبيرة من الأحاديث التى قالها الرسول طوال حياته . وبهذا يصبح كل ماقاله الرسول فى الاسلام هو أساس الدعوة الاسلامية .

واذا تركنا مجال الديانات واتجهنا ناحية الأدب ، نجد المجال كبيرا متسعا فعبر التاريخ القديم للغة العربية نجد الكثير من الشعراء الذين أبدعوا فيما قالوه من قصائد شعر فى الوصف والغزل والمدح والذم والهجاء ، لقد تفنن هؤلاء الشعراء عبر تاريخ الامة العربية فى الاتيان بمعان وصور جديدة من بيوت الشعر لم يسبقهم اليها أحد ، وكان أن خلدت أسماؤهم وحفظت ذكراهم لآلاف من السنين ، وكان جزاء المدح كبيرا وعظيما ، وخصوصا اذا وجه الى الحكام والملوك وبالعكس كان جزاء الذم أو الهجاء خطيرا اذا وجه لعظيم أو كبير ، حتى لقى كثير من الشعراء حتفهم جزاء قول بيت من الذم أو قصيدة من الهجاء ، وكثيرا ماقامت الحروب بين القبائل العربية القديمة بسبب بعض أبيات تفاخر قالها شاعر يتباهى بقومه على ماعداه من الاقوام الاخرى .

ومازلنا حتى عصرنا الحاضر ، نرى كثيرا من المعارك والمشاجرات الفردية والعائلية تنشب بسبب كلمة قالها أحد الافراد ، فيتطاير على أثرها الشرر والشجار . ولقد حدثت أزمة سياسية عالمية كبيرة سنة ١٩٦٢ بين رئيسى أكبر دولتين فى العالم أدت الى فشل مؤتمر القمة بينهما ، وكادت تصل بهما الى حافة الحرب وذلك عندما طلب رئيس الاتحاد السوفيتى (خروشوف) كلمة اعتذار من رئيس أمريكا (جون كيندى) بسبب قيام دولته بارسال طائرة للتجسس على روسيا فرفض رئيس أمريكا أن يقولها ، فحدثت أزمة سياسية عنيفة ، انفض على أثرها المؤتمر قبل أن يبدأ .

واذا اتجهنا الى الحكم والأمثال ، وهى أقوال أطلقها حكماء الاقوام وعقلائهم فى مناسبات عديدة فتقبلها الناس وحفظوها ، واصبحت ثروة ادبية ، يسعد الناس بتكرارها فى كل المناسبات ، فكل من يريد أن يعزز وجهة نظره او يدعم رأيه فما عليه الا الاستعانة بحكمة او مثل ، ويضيف اليه انه من قول صاحب رأى سديد او حكمة صائبة .

واذا أردنا سرد بعض الاقوال السيئة التى سجلها التاريخ لحكام وملوك فسدت طبائعهم واختل ميزان تفكيرهم ، فكان حكمهم وأقوالهم وبالا عليهم وعلى شعوبهم ، نجد الكثير منها . فالحاكم المصرى الظالم الذى سجن يوسف عليه السلام ظلما بسبب قول كاذب من زوجته ، والفرعون المصرى القديم الذى قال « أنا ربكم الأعلى » فانتهى به الحال الى هلاكه هو وجيشه والحاكم الرومانى « كاتو الاكبر » الذى حرم التداوى بالأدوية والاعشاب ، وقرر أن الكرنب وعصيره هو العلاج الوحيد الذى يعترف به ، فكان فى ذلك هلاك ابنه ثم زوجته بسبب مرضهم الذى لم يعالج ، ومسيلمة الكذاب الذى ادعى النبوة فى زمن الرسول ، وقال إنه نبى مرسل ، نال جزاءه هو ومن اتبعه والحاكم بأمر الله المصرى الذى قال بتحريم بعض المأكولات والعادات ، فسخر الناس منه ومن أقواله ، والخديوى المصرى الذى قال ان حكم الشعب الجاهل أسهل من حكم المتعلمين فأغلق المدارس والجامعات ، وجنى على نفسه وعلى شعبه . كلها أقوال سجلها التاريخ لكل هؤلاء الناس .

وعصر النهضة الحديثة فى اوروبا ملىء بصور اخرى لأناس عقلاء مفكرين ، جلبت عليهم اراؤهم واقوالهم صنوفا عديدة من التعذيب والاضطهاد .

مصطفى شحاته .

المشرك و الموحد

فرق كبير بين المشرك والموحد .

فالموحد الذى يعبد الها واحدا لايؤمن الا به ولا يعتمد الا عليه يعترف به ربا وخالقا ورازقا . بيده الأمر طاهر السريرة وان كان مظهره غير ذلك .

والمشرك الذى يعبد شركاء لم يعرف من هو الذى يعبده فى الحقيقة ، فيصبح مشتتا ، لايعرف له خالقا ولا رازقا ولا معتمدا .

وصفه الله بأنه نجس وان كان مظهره طيبا فقال « انما المشركون نجس » .

وعن المشرك والموحد يحدثنا الدكتور على يوسف السبكى .

العبد مسلوب الارادة والحرية ، مشلول التصرف والملكية ، معطل القوى ، تابع خاضع لسيده كسقط المتاع لا حول له ولا قوة .

وقد ضرب الله مثلا للمشرك الذى يعبد آلهة متعددة ويشرك مع الواحد الأحد غيره بانه كالعبد الذى يملكه شركاء متنازعون فى الأهواء متشاكسون فى الرغبات متباينون فى الطبائع فلا شك ان العبد تجاه هذا كله سيوزع قلبه وتشتت نفسه وسيكون حاله الاضطراب والقلق تجاه اسياده المتشاكسين .

أما الموحد المؤمن الذى يعبد الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لا يؤمن الا بالله ولا يعترف بغيره فقد ضرب الله له مثلا بعبد مملوك لسيد واحد ، ان أمر فهو أمر واحد وان وجهه فالى طريقة واحدة يبيت ونفسه مليئة بالسكينة والراحة والهدوء والدعة .

انظر لهذا المثل وتبين الفرق بينهما تجد البون بعيدا والفرق شاسعا بين الراحة والتعب والسكينة والقلق ، فالسيد الواحد خير أم الشركاء المتشاكسون قال تعالى(١) :

« ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون » .

لما ذكر تعالى(٢) أنه ضرب فى القرآن من كل مثل محتاج اليه ضرب هنا مثلا لعابد آلهة كثيرة ومن يعبد الله وحده ومثل برجل مملوك اشترك فيه ملاك سيئو الأخلاق فهو لا يقدر ان يوفى كل واحد منهم مقصوده اذ لايتغاضى بعضهم لبعض لمشاحنهم وطلب كل منهم أن يقضى حاجته على التمام فلا يزال فى عناء وتعب ولوم من كل منهم ورجل آخر مملوك جميعه لرجل واحد فهو معنى بشغله لا يشغله عنه شىء ومالكه راض عنه اذ قد خلص لخدمته وبذل جهده فى قضاء حوائجه فلا يلقى من سيده الا احسانا .

وقال الزمخشرى(٣) : وانما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقى به واسعد فان المراة والصبى قد يغفلان عن ذلك .

« فيه شركاء متشاكسون » قال الفراء(٤) :

اى مختلفون ، وقال المبرد : اى متعاسرون .

قال الجوهرى : رجل شكس — بالتسكين — أى صعب الخلق ، قال الراجز « شكس عبوس عتيق عزور » .

---

(١) الزمر : ٢٩

(٢) تفسير البحر المحيط ٤٢٤/٧

(٣) تفسير الكشاف ٣٩٧/٣

(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٠٢/١٥ ، ٢٠٣

وحكى الفراء : رجل شكس وهو القياس ،وهذا مثل من عبد آلهة كثيرة « ورجلا سلما لرجل » أى(٥) خالصا له ، والمعنى : ذا سلامةلرجل أى ذا خلص له من الشركاء ، من قولهم سلمت لهم الضيعة » .

« هل يستويان مثلا » انكار(٦) واستبعادلاستوائهما ونفى له على أبلغ وجه وآكده وايذان بأن ذلك من الجلاء والظهور بحيث لايقدر أحد أن يتفوه باستوائهما أو يتلعثم بالحكم بتباينهما ضرورة أن أحدهما فى أعلى عليين والآخر فى أسفل سافلين وهو السر فى ابهام الفاضل والمفضول ، وانتصاب « مثلا » على التمييز على الواحد لبيان الجنس » .

وقال القرطبى(٧) : هذا الذى يخدم جماعةشركاء أخلاقهم مختلفة ونياتهم متباينة ، لا يلقاه رجل الا جره واستخدمه ، فهو يلقى منهم العناءوالنصب والتعب العظيم وهو مع ذلك كله لا يرضى واحدا منهم بخدمته لكثرة الحقوق فى رقبته ، والذى يخدم واحدا لا ينازعه فيه أحد ، اذا أطاعه وحده عرف ذلك له ، وان أخطأ صفح عن خطئه فايهما أقل تعبا أو على هدى مستقيم » .

وقال ابن القيم(٨) : والموحد لما كان يعبد الله وحده فمثله كمثل عبد لرجل واحد ، وقد سلم له ، وعلم مقاصده ، وعرف الطريق الى رضاه ،فهو فى راحة من تشاحن الخطأ فيه ، بل هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه مع رأفة مالكه به ،ورحمته له ، وشفقته عليه واحسانه اليه ، وتوليه لمصالحه ، فهل يستوى هذان العبدان ؟

« الحمد لله » أى(٩) الثناء والمدح لله لا لغيره وهو الذى ثبتت وحدانيته فهو الذى يجب أن يحمد « بل أكثرهم لا يعلمون » فيشركون به غيره ولفظة الحمد لله تشعر بوقوع الهلاك بهم بقوله « فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين » .

« بل أكثرهم لا يعلمون » اضراب(١٠) وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور الى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون ذلك مع كمال ظهوره فيبقون فى ورطة الشرك والضلال .

المراد بهذا التمثيل :

هذا المثل(١١) يصور حقيقة التوحيد وحقيقة الشرك فى جميع الأحوال ، فالقلب المؤمن بحقيقة التوحيد هو القلب الذى يقطع الرحلة على هذه الأرض على هدى ، لأن بصره أبدا معلق بنجم واحد على الأفق فلا يلتوى به الطريق ، ولأنه يعرف مصدرا واحدا للحياة والقوة والرزق ، ومصدرا واحدا للنفع والضر ، ومصدرا واحدا للمنح والمنع ، فتستقيم خطاه الى هذا المصدر الواحد ، يستمد منه وحده ، ويعلق يديه بحبل واحد يشد عروقه ويطمئن اتجاهه الى هدف واحد لا يزوغ عنه بصره ، ويخدم سيدا واحدا يعرف ماذا يرضيه فيفعله وماذا يغضبه فيتقيه ، وبذلك تتجمع طاقته وتتوحد ، فينتج بكل طاقته وجهده وهو ثابت القدمين على الأرض متطلع الى اله واحد فى السماء .

ويعقب على هذا المثل الناطق الموحى ، بالحمد لله الذى اختار لعباده الراحة والأمن والطمأنينة والاستقامة والاستقرار ، وهم مع هذا ينحرفون وأكثرهم لا يعلمون .

وهذا مثل من الأمثلة التى يضربها القرآن للناس لعلهم يتذكرون ، وهو قرآن عربى مستقيم واضح ، لا لبس فيه ولا عوج ولا انحراف ،يخاطب الفطرة بمنطقها القريب المفهوم .

وهذا من(١٢) أبلغ الأمثال فان الخالص لمالك واحد يستحق من معونته واحسانه والتفاته اليه وقيامه بمصالحه مالا يستحق صاحب الشركاء المتشاكسين ، الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون .

---

(٥) تفسير الكشاف ٣٩٧/٣
(٦) تفسير أبى السعود ٦١٢/٤
(٧) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٣/١٥
(٨) أعلام الموقعين ١٨٧/١
(٩) تفسير البحر المحيط ٤٢٥/٧
(١٠) تفسير أبى السعود ٦١٢/٤
(١١) فى ظلال القرآن ٣٠٤٩/٥ ، ٣٠٥٠
(١٢) أعلام الموقعين ١٨٧/١

الحكمة

بين السلوك والبيان

الحكمة تتضمن حكما صحيحا مسلما به .

والحكماء هم أقل الناس شططا ، وأكثرهم أمنا وسلامة والحكمة تكون فى القول والفعل والسلوك ..

ولذلك قالوا : ان القلوب تحتاج الى الحكمة كما يحتاج الجسم الى الطعام .

والحكمة أدب رفيع فى الكلام ، وهى كذلك فرع من فروع الفلسفة .

وعن الحكمة فى السلوك والبيان يحدثنا الدكتور محمد كامل الفقى ..

يقول علماء الأدب إن الحكمة قول رائع يتضمن حكما صحيحا مسلما ، والحكمة بهذا المعنى لون من الكلام له حظه العظيم من الروعة والاحسان ، ومن ثم لا يرقى إليه إلا أصحاب براعة وحذق ومن لهم قدرة فائقة يملكون بها زمام القول ، ويرسلونه من وحى تجارب ، ومن اثر وعى وبلاء ، فتقع اقوالهم موقع التصديق ، لاتقبل نقضا ، تعنو لها العقول ، وتقع من القضايا موقع الحجة الدامغة ، والبرهان الواثق ، والدليل القاطع ، فكل سامع للحكمة يؤمن بها ، ويمشى على دربها ، ويهتدى بضوئها فهى ربان ماهر ، وهاد على الطريق يؤاخى السلامة ويواكب النجاة .

والذين برعوا فى إرسال الحكمة من عصور خلت ، سواء اكانوا شعراء أم غير شعراء ، لم تجر ينابيعها فى صدروهم إلا من ممارسة الحياة ومن انهم عركوا الدنيا واستوحوا الأحداث فصاروا بحكمتهم كالأطبة الحذاق .

وستظل هذه الحكم فرائد فى جيد الكلام ، وقلائد فى اعناق البيان ، وغاية لكل من وجد نفسه فى متاهات الدنيا يحدبها الرشد والهداية وراحة النفس وقرة العين واحب الذين يحبون هذه الحكم ، يقرأونها ويستقرئونها ويستلهمون مغازيها وعبرها اقل الناس شططا واكثرهم امنا وسلامة ، وكما تكون الحكمة فى القول والبيان تكون فى الفعل والسلوك يقول الله تعالى : «يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا ، وما يذكر إلا اولو الألباب» .. من يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا اى من يوفق للعلم والعمل به ، والحكيم عند الله ، هو العالم العامل .

ويقول عز وجل فى شان سيدنا داود عليه السلام : واتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء» وقد فسرت الحكمة فى الآية بالنبوة ، والنبوة رسالة من السماء يتلقاها النبى عن الله فيبلغها بقوله ، ويؤيدها بعمله ، ويدعمها بسلوكه ومنهجه ، ولايتصور قط انها مجرد بيان وقول ودعوة فالمناهج النبوية إنما ترسخ عند

المرسل إليهم من حيث يجدون الأنبياء قدوة فى العمل بها ، والصبر عليها ، والحب لها .

معنى الحكمة

والمراد بالحكم فى قول الله تعالى فى شان سيدنا يحيى عليه السلام «وآتيناه الحكم صبيا» الحكمة وقد فسرت بالفهم للتوراة والفقه فى الدين كما قال ابن عباس رضى الله عنهما، وقيل: دعاه الصبيان للعب وهو صبى فقال: ما للعب خلقنا ، وفى راى المراد بالحكمة العقل ، وقيل المراد بها النبوة لأن الله احكم عقله فى صباه واوحى إليه .

وليس عجيبا أن يسمى فاعل الخير والعامل بالدين حكيما لأن الذى يفعل ذلك يحاسب نفسه ويراقب ربه ، ويتخذ من أولاه مزرعة لأخراه ، ويرى من بعد نظره ، وحصافة عقله ، أن مع اليوم غدا ، وأن الحياة تنتهى الى غاية لابد بالغها كل حى ، وبعد انتهائها وقيام الساعة ، يحاسب كل بما عمل ولا تزر وازرة وزر اخرى ، ولاتبلغ الأحساب ولا الأنساب بالناس شيئا ازاء الأفعال الطيبة والأعمال الصالحة والكرامة لمن قدم صالحا ، والمهانة لمن فرط فى جنب الله ، وترك الدنيا كالأرض البور ، او زرعها شرا ونتوبا وآثاما ، فالحكمة كل الحكمة فى وزن الدنيا بميزان صحيح ومن قبل اكد هذا المعنى اكثم بن صيفى حين قال : اكيس الكيس التقى .

وقد قيل : ان القلوب تحتاج الى قوتها من الحكمة كما تحتاج الأجسام الى الغذاء ، وإخلاص المرء عمله لله يمده بالحكمة ويهديها إليه وفى ذلك يقول مولانا محمد صلوات الله وسلامه عليه «ما اخلص عبد العمل لله أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»

ويؤكد صلوات الله وسلامه عليه ان الحكمة ضالة المؤمن ياخذها ممن سمعها ولا يبالى فى اى وعاء خرجت»

وحرصا ممن يقدر الحكمة قدرها ويؤمن بجليل اثرها فى القلوب والسلوك والبيان اوصى بان ناخذ الحكمة من اى فم خرجت .

حتى قال زياد : ايها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا ، ان تنتفعوا باحسن ما تسمعون منا»

فان الشاعر يقول :

اعمل بعلمى وان قصرت فى عملى
ينفعك قولى ولايضرك تقصيرى

وقالوا : إذا وجدتم الحكمة مطروحة على السكك فخذوها»

وفى الحديث : خذوا الحكمة ولو من السنة المشركين .

والذى يحرص على طلب الحكمة لا يحرص عليها إلا لأن الحكمة فى قرارة نفسه ولذلك قالوا : لا يطلب الرجل حكمة الا بحكمة عنده»

لكن للنبى الأعظم منهجا راقيا يحدد من توضع الحكمة عنده وذلك حيث قال «لاتضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ، ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم .

ان الحكمة تاج فى ابنا العربى وفى غير ابنا العربى وقد حمل الكتاب المبين من الحكم روائع يخر لها البلغاء سجدا .

وجاء ابلغ الناس محمد صلى الله عليه وسلم من الحكم بفرائد وقلائد وبقدر ما تحمل المواهب من حكم القرآن وحكم اشرف وافصح من نطق بالضاد بقدر ما ننصر اسلوبنا ونزين بياننا ، وندعم دعوانا وراينا

الصلة بين الحكمة والشعر

وبين الحكمة وبين الشعر تاخ شديد وتلاؤم قوى ، ومن ثم قيل : تظل الحكمة شاردة حتى ياويها بيت من الشعر

اذن فلماذا نغفل الحكمة فى اسلوبنا وندعها ينبل عودها وتجف اوراقها ويغيض ماؤها ؟

ان ترك الحكم والتفريط فى استعمالها جناية على تراثنا العربى واستعمال الحكم الموروثة ، يخلق فى المواهب قدرة على محاكاتها ، وفى الأقل كفاءة على فهمها وحسن استعمالها وضعها فى موضعها .

فى كتبنا القديمة ركام هائل من هذه الحكم تهيب بالأبناء والناشئين ان ياخذوا من كنوزها ، ويقبسوا من نورها ويغترفوا من بحرها .

لكن الذى ناسف له ، الانصراف عن هذا اللون من الأدب الرفيع وان نلتمس فى كلامنا المحدث شيئا منه فلا نجد الا اقل من القليل حتى لتحس بهوة سحيقة بين الماضى والحاضر ، وهذا امر جدير بالدراسة وربما كان فى طليعة الأسباب التى ادت إلى خمول هذا الأدب تخاذل الملكات وضعف السلائق وانحدار المواهب وربما كان ذلك ايضا مرجعه إلى ان الحكمة فرع من فروع الفلسفة والفلسفة فينا خاملة على رغم التعلق بها .

مواطن الحكمة

هناك مواطن ومقامات تدعو إلى استعمال الحكمة وتجد وجودها ضرورة ملحة وخلو الكلام منها عجز ، وكل حلقة من حلقات هذه الحكم لها ارتباط شديد بواقع او مناسبة ، إنك ترى الغنى يسرف فتتوقع إفلاسه وترى الفقير يدبر فتنتظر يسره ، فما اجمل ان تقول :

قليل المال تصلحه فيبقى
ولا يبقى الكثير مع الفساد

ويزهى الرجل بلباسه وقوله من الاحسان عار فتقول له : المرء تحت طى لسانه ، لا تحت طيلسانه ، وتجد بعض الناس له جمال الخلقة وقبح الخلق فتقول :

جمال الوجه مع قبح النفوس
كقنديل على قبر المجوسى

ويدعو المقام إلى خوض فى شان الحلم ، ، والسيادة ، والاستحياء والهيبة ، وطلب الرياسة ، ورؤية عيب النفس ، فترى الحديث يدعوك سعيدا قرير العين الى سوق هذه الغوالى من الحكم المحمدية من حلم ساد ، ومن ساد استفاد ومن استحيا حرم ومن هاب خاب ومن طلب الرياسة صبر على السياسة ، ومن ابصر عيب نفسه عمى عن عيب غيره .

ويدعوك القول الى ان ترصعه بهذه الحكم النبوية فتقول :

« من سل سيف البغى قتل به ، ومن احتفر لأخيه بئرا وقع فيها ، ومن نسى زلته استعظم زلة غيره ، ومن هتك حجاب غيره انتهكت عورات بيته ، ومن كابر فى الأمور عطب ، ومن اقتحم اللجج غرق ، ومن اعجب برايه ضل ، ومن استغنى بعقله زل ومن تجبر على الناس ذل ، ومن تعمق فى العمل مل ومن صاحب الأنذال حقر ، ومن جالس العلماء وقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن حسن خلقه سهلت له طرقه ومن حسن كلامه ، كانت الهيبة امامه ، ومن خشى الله فاز ، ومن استفاد الجهل ، ترك طريق العدل ، ومن عرف اجله قصر امله .

نخائر قيمة من آدابنا صيغت فى حكم خالدة فى شعرهم ونثرهم ، فهل لنا ان نبعث هذه النفائس ، وناخذ بيد انفسنا وابنائنا إلى رياضها ؟

وهل لنا ان نقطف من هذه الحكم رياض المبادىء الاسلامية والقيم الراقية والسلوك الرشيد فيما يزهو من القرآن الكريم والحديث النبوى وكلام السادة الراشدين ؟

محمد كامل الفقى

الالزام الخلقى

فى ضـــوء الكتاب والسنة

الأخلاق : هى السلوك فى كل عصر وكل مكان ولذلك قيل لصاحب السلوك هذا خلقه طيب ، وهذا خلقه غير طيب .
والانسان حين يرتاب عقله ويتشتت فكره ويقع فى حيرة من أمره لابد وأن يدين الى قوة أعلى منه ترعى مصالحه ، وهذه هى الشريعة الاسلامية ، وعن الأخلاق والالزام الخلقى يحدثنا الدكتور طه الدسوقى .

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .. وبعد ..
فان الحديث عن الأخلاق حديث شيق وجذاب .
وحين يكون الحديث عن الاخلاق فى إطار الكتاب والسنة يكون اكثر جانبية واقدر على السيطرة على النفس والوجدان ، لما نراه من عمق الفكرة والقرب الشديد من الفطرة الانسانية ، ومراعاة الواقع العملى لها .
غير ان الحديث عن الأخلاق بشكل عام يمكن ان يحتاج منا إلى وقت اطول من الوقت المسموح به لمثل هذه المحاضرة ، ولذا راينا ان نقتصر على نقطتين من نقاط هذا البحث الشيق .
إحداهما : تتعلق بمعنى الالزام الخلقى واهميته فى ابراز النظرية الأخلاقية .
وثانيتهما : تتعلق بمصادر الالزام الخلقى فى إطار القرآن الكريم والسنة النبوية آخذين فى الاعتبار المذاهب الأخرى الأخلاقية او بعضها على الأقل كنقطة ارتكاز غاية فى الأهمية لكى توضح لنا ما تتميز به مصادر الالزام الخلقى فى القرآن الكريم وفى السنة المطهرة على قاعدة ان الضد يظهر حسنه الضد إذا صحت لنا فكرة التضاديين ما نعرض من اشياء .

مفهوم الالزام الخلقى :
إن اى مذهب او نظرية فى الأخلاق لا يمكن لها ان تحقق ذاتها الا إذا اخذت فى الاعتبار مبدأ الالزام ، لا على انه عنصر ثانوى يكون وجوده فى تحقيق الفكرة وجودا هامشيا ، وانما لابد وان يكون هذا العنصر فى الفكرة الأخلاقية هو العنصر النووى الذى لا تقوم الفكرة بدونه ، وكل ما عداه من العناصر يدور حوله ويصعد على اساس منه .
واذا اردنا ان ندفع بالفكرة شيئا ما نحو مجال اكثر وضوحا فانه بالامكان ان نقارن بين الأخلاق وبين علم آخر لا يشكل الالزام فيه اية ضرورة تذكر ، الا وهو علم الجمال الفنى لعلنا من خلال هذه المقارنة ان نحظى بشىء من الوضوح والجلاء .
إن المختصين فى مجال الجمال

الفنى يدركون تماما انه ـ اى هذا المجال ـ لا يضفى اى نوع من الالزام على المتخصصين فيه، او الذين يتذوقون مواده واعماله خاصة اذا كان هذا الجانب او ذاك من جوانب الجمال غير داخل فى اطار القدرة او الاستطاعة الانسانية.

فقد ينظر انسان إلى القبة السماوية فيرى آيات الابداع الفنى فيستحسن ذلك ولكنه لا يطرأ على خاطره مرة انه سوف يكون ملزم بصنع او محاكاة هذه القبة السماوية، لا لشىء الا لأنها فوق طاقته واستطاعته، وبرغم ذلك فقد تحقق لديه الذوق الفنى وهو حين تحقق لديه تحقق مجردا عن اى معنى من معانى الالزام.

على اننا يمكننا ان نقرب الموضوع اكثر إلى اذهاننا فنقول: إن الهاوى للفن او المحترف له إذا طرأت على ذهنه فكرة رسم لوحة لمنظر طبيعى اعجب به او اخذ عليه لبه ووجدانه فان هذا المشروع الذى طرأ على خاطره إنما هو مشروع ليس فيه شىء من معانى الالزام او الجبرية وإنما قصاراه انه موضوع مشروع ينفذه الفنان بريشته حين يجد الوقت والفراغ والمؤهلات النفسية والاجتماعية والطبيعية.

الفن اذا لا مجال فيه لشىء من الالزام.

فهل يتأتى لنا أن نقول: إن الأخلاق تشبه الفن فى هذا المجال بمعنى أن موضوع الخير فى الأخلاق يشبه أن يكون هو الجمال فى الفن، وتكون الرذيلة الخلقية تشبه القبح فى عالم الفن؟.

إنه مما لا شك فيه أن الخير جميل محبب إلى النفوس، وأن الرذيلة قبيحة تستهجنها الأسماع والأبصار وينفر منها الطبع والذوق السليمان، ولكنه من خطل القول وسوء التدبير أن نقول: بأن الأخلاق لا تتميز عن عالم الجمال، أو علم الجمال كما يسمونه، وأنه لمن خطل القول وسوء التدبير كذلك أن نقول بأن الأخلاق لا تتميز عن الجمال بقوة الالزام الذى يحتاج إلى قوة العزيمة والكمال النسبى فى الارادة.

ولو أننا حذفنا عنصر الالزام من الأخلاق ونحيناه جانبا عن الفكرة الخلقية لما كان للضمير الانسانى ميزة يزهو بها على ما سواه، ولكان كائنا معطلا عن جميع الوظائف التى يمكن أن تناط به، فحيث يقوم الضمير بوظيفته لابد أن نقر مع وظيفة الضمير بعنصر الالزام على أنه هو النقطة المحورية فى الفكرة الخلقية.

والقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ربما لا يستخدمان كلمة (الزام خلقى) وانما يستخدمان كلمات أخرى تكون أبلغ فى الدلالة على المقصود من كلمة الالزام ومنها كلمات: أمر وكتابة وفريضة.

ونحن لا نريد أن نتوقف عند الألفاظ والأسماء لعقد مقارنة بينها إذ ـ لا مشاحة فى الألفاظ ـ ما دامت المسميات قد وضحت معالمها أمامنا بغير لبس أو ريب.

مصادر الالزام الخلقى

محاولات ولكن:

إن هذه المشكلة ـ مشكلة الالزام الخلقى ـ قد أخذت وقتا غير قليل على طول التاريخ وعرضه من أولئك المشتغلين بهذا المجال من مجالات الدراسة.

والصفة العامة التى يمكن أن نصف بها هذه الجهود، أن هؤلاء المشتغلين بالدرس فى هذا المجال لم يتفقوا على رأى واحد فيما يتعلق بقضية مصادر الالزام، وانما آراؤهم فى هذا المجال متباعدة بعدا قد يصل إلى حد التضاد أو يقرب منه.

وأحيانا يكون الرأى هزيلا ضعيفا بحيث يمكن اغفال مناقشته لاستهجان عقل النقاد له وازدرائهم لمعطياته.

وأحيانا يكون فيه شىء من الجدية التى تفرض على الناقد أن يقف معه بعض الوقت ويمنحه بعض الجهد حين يتسنى له أن يقول كلمة فيه.

ومن أمثلة الآراء الضعيفة الهزيلة ما تراه بعض مدارس اليونان من أن مصدر الالزام هو اللذة الفردية والرغبة الشخصية التى يرجو الانسان الفرد تحقيقها لنفسه، راجيا من ورائها لذة موقوتة مهما ترتب عليها من الآلام المستقبلة أو المخاطر المتوقعة.

ومما يؤسف له أن هذه الفكرة وجدت من يروج لها فى العصور الحديثة سواء كان ذلك فى مذهب النفعية الأخلاقية، أو فى مذهب القوة وتحقيق السوبرمان.

ولنضرب صفحا هنا كما وعدنا فى أول الحديث عن هذه الآراء الضعيفة الهزيلة مكتفين بما لفتنا النظر اليه من الأمثلة السريعة.

ونريد الآن أن نذكر بعض النماذج للآراء التى تحتوى على شىء من الجدية ثم نقف وقفة مع كل مثال لنقول ما نراه فيه.

هنرى برجسون ومصادر الالزام:

لقد تحدث هنرى برجسون الفرنسى عن مصادر الالزام فى الأخلاق، ورأى حصر هذه المصادر فى عنصرين

أساسيين يعملان بالتوازى فى التأثير على الأفراد جميعا .

ويبدو العنصر الأول عنده فى الجبرية الاجتماعية وهى : جزئية يوافقه فيها علماء الاجتماع وقادة المدارس الكبرى فى هذا المجال ، بل إنهم يكادون يقتصرون على فكرة الجبرية الاجتماعية دون سواها ، ولعلى استطرد هنا فأقول إن بعض الكتاب المشتغلين بالسير قد تأثروا بهذا الاتجاه ، تأثيرا شديدا فاعتبروا وهم يؤرخون للسير الذاتية ، أو الكتابة عن الأفراد أن الفرد خاضع للمجتمع ملتزم بأوامره لا يمكنه الفكاك منها ، فهو بالنسبة اليه كالريشة المعلقة فى الهواء .

على أن هنرى برجسون وإن كان يرى هذا الاتجاه ويسلم به الا أنه لم يعتبره المصدر الوحيد فى الالزام الخلقى .

وخلاصة الجبرية الاجتماعية عند برجسون أن المجتمع يملك من قوة الالزام ما يستطيع بواسطته أن يخضع جميع الأفراد لمصلحة الجماعة ويجعلهم ينصاعون إلى عاداتها وتقاليدها وما تراه من أفكار أو تتوارثه من سلوك ، ويرى برجسون أن هذا النوع من الالزام لا يشترط أن تتوفر فيه أية نسبة من الاختيار الفردى أو الارادة الذاتية .

أما العنصر الثانى فهو يتراءى لبرجسون حين يعتقد أن الأفراد اذا وصل بعضهم إلى درجة العبقرية يمكن أن تكون لديه من قوة الجذب نحو الكمال ما يؤثر عليه وعلى سلوكه أن يسير فى الخط الأمثل .

وهذه الأشواق الزائدة التى تدفع الأفراد الممتازين نحو الخير والكمال لاتؤثر على سلوكهم الفردى فحسب ، ولكنها تدفعهم دفعا إلى أن يكونوا قيادات ممتازة يأخذون بيد المجتمع من خلفهم ويصعدون به على سلم الفضيلة بقدر ما أتيح لهم من الأشواق والرغبة فى الكمال .

ويتبين من هاتين النقطتين أو هذين المصدرين اللذين هما مصادر الالزام عند برجسون أن الانسان إما مدفوع بالغريزة الاجتماعية أو محمول على جناح العاطفة والرغبة الشخصية .

واذا حاول النقاد أن يقولوا كلمة تعليقا على مصادر الالزام الأخلاقى عند برجسون فانهم لن يجدوا صعوبة وهم يؤدون هذا الواجب الفكرى .

على ذلك أن برجسون فى تحليلاته أهمل أو أغفل النقطة المحورية فى الفكرة الأخلاقية .

إن الأخلاق لكى تحقق ذاتها متميزة عن غيرها من الأشياء لابد وأن تعتمد على قدر كاف من الحرية الشخصية . الأمر الذى أهمله برجسون اهمالا تاما حين جعل جميع الخلائق فيما عدا العباقرة مقهورين بقوة الضغط الاجتماعى .

أن برجسون حين تناسى هذه الجزئية تناسى معها الفرد الذى يتطلع دائما إلى تحقيق ذاته مستقلا عن الجماعة إن لم يكن على حسابها .

تلك واحدة من الملاحظات الكثيرة التى يمكن أن توجه إلى تحليل برجسون .

ويمكننا أن نقول كذلك إن الأخلاق ليست أمرا ارتجاليا تخضع للأهواء أو الاتجاهات الفردية بغير ضابط ، وإنما الأخلاق لها من المعايير ما يحجبها عن تأثيرات المغرضين أو عبث العابثين .

وتلك نقطة لا تقل أهمية فى تحقيق الفكرة الأخلاقية عن النقطة السابقة عليها وهى اشتراط قدر كاف من الارادة الذاتية .

وإذا كان برجسون قد أغفل الارادة الذاتية حين قال بالقهر الاجتماعى فإنه قد أهان المعيار الخلقى حين قال بفكرة الأشواق والتطلعات نحو الخير التى تسيطر على الممتازين من الناس والعباقرة من القادة الاجتماعيين .

ومن هنا يتبين لنا حجم العداء الكامل بين فكرة الأخلاق الجبرية الاجتماعية ، وبينها وبين الرغبة الشخصية والهوى الفردى .

والقرآن الكريم قد نص على حجم هذا العداء وحذر منه حين قلل أولا من قيمة وقدر فاعلية الجبرية الاجتماعية ومساهمتها فى الفكرة الأخلاقية **«قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون»** فهل يقدم الذين يريدون السير على سنة أسلافهم على الانقياد لهم دون تمييز ، حتى ولو **«كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون»** .

ومن ناحية أخرى فإن القرآن يشير إلى الخطر الذى يهدد الفكرة الأخلاقية إذ هى اعتمدت على الهوى والرغبة الشخصية **«أرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون»؟ «ولا تتبع الهوى فيضلك» «فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا»** .

ويتبين من هذا العرض والتعليق الذى سقناه عليه أن برجسون لم يستطع أن يساهم بمقترحاته فى مجال تحقيق المصادر الأخلاقية ، إلا بالمقدار الذى صادم الفكرة الأخلاقية ذاتها .

كانت ومصادر الالزام :

وحين نصل إلى هذه الجزئية من المحاضرة نجد أنفسنا أمام لون راق من ألوان التفكير ، إلا أنه لم يكمل الطريق إلى غايته .

إن كانت رفض ألوان التفكير السابقة عليه ، ويرى : أن الانسان بطبيعته منقسم إلى قسمين :

احدهما : مادى أو جسمى محسوس .

وثانيهما : معنوى لا تدركه الحواس .

وهذا الجزء المعنوى يحتوى ضمن ما يحتوى على العقل .

وبالمقارنة بين جزءى الانسان نجد الجانب المعنوى فيه أكثر الجانبين كرامة ورفعة .

ولأفضليته تلك كانت له حق القيادة وكان له من ثم حق التشريع والالزام الأخلاقى .

وهنا نجد أنفسنا ـ على رأى كانت ـ رعايا ومشرعين فى نفس الوقت .

وقبل الاستطراد فى الحديث مع كانت لاستكمال نظريته نحب أن نقف هنا وقفة تأمل . وفحص لما قيل .

إن المتأمل فى فكر كانت إلى الآن يجد أن لديه الرغبة الشديدة فى العودة بالانسان إلى كرامته اللائقة به وايقاظ الشعور بالفضيلة الذاتية فيه .

والمتأمل حتى فى نصوص القرآن يجد أن السياق العام للقرآن الكريم يحاول أن يشعر الانسان بفضيلته كانسان « أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هو قوم طاغون » « لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » . « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون » .

غير أن القرآن لا يأخذ خطا جافا كالذى فعله كانت بحيث يخاطب العقل وحده مع برود كامل فى العاطفة الانسانية التى لا يجوز لها أن تعمل . وإنما يوقظ الاسلام مع العقل أنبل العواطف الانسانية التى لها وجود لا يمكن انكاره لدى الأفراد ، ومن أنبل العواطف الاجتماعية عاطفة الأخوة « إنما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم » « ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان » « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » .

وهكذا يتبين أن القرآن قد أيقظ فى الانسان عاطفته وعقله جميعا .

ولكن تبقى المسألة محتاجة إلى أن تندفع خطوة إلى الأمام .

فهل يعتبر العقل الانسانى فى نظر الاسلام كما هو فى نظر كانت مستقلا بالتشريع ؟

إن المتأمل الواعى يجد الكثرة المتراكمة من المعضلات إذا نحن أسندنا إلى العقل مهمة التشريع دون أن يتدخل فيها سواه .

ومن هذه المعضلات أن العقول البشرية مختلفة فيما بينها ، ويعتز كل منها بماله من إمكانيات ومعنى ذلك أن كل فرد لديه إمكانيات الاجتهاد سوف يحاول أن يشرع لنفسه على الأقل إن لم يحاول إخضاع الغير له ، ومن حق هذا الغير أن يتساءل لماذا أضحى بفكرى من أجل فكر غيرى . وتتحير البشرية بين المذاهب والشيع .

وهناك معضلة أخرى يمكن أن تقابل العقل البشرى إذا هو استقل بالتشريع وهى معضلة يؤكدها الواقع العملى فى تاريخ الانسانية الطويل .

وخلاصة هذا اللون من الاعضال يدور حول المعيار الذى ستدور حوله جهود العقل المشرع ، هل سيشرع على أساس النفعية الهوجاء أو المهذبة ؟ أم أنه سيشرع على أساس من تصارع القوى ؟ وإذا عرضت عليه قضية هل سيحتكم فيها إلى الواقع المحس الذى هو الغابة ؟ أم سيحتكم إلى البواعث والدوافع والنوايا ؟

إعضال بعده إعضال وظلمات بعضها فوق بعض ، إذا أخرج العقل يده للانقاذ لم يكد يراها .

وقد أدرك كانت هذه الصعوبات وأمثالها فحاول أن يرجع بمصدر التشريع إلى ما هو أعلى وأرقى من العقل ، ولكنه ضل الطريق حيث عاد إلى العقل فى حالته الأكثر صفاء .

أما الاسلام فاننا إن تأملنا نصوصه نجد أنه لم يعط العقل حق التشريع بالاستقلال وإنما أيقظ فيه وظيفته التى هى المقارنة والموازنة بين المذاهب والاتجاهات ثم يسير فى الطريق الأوضح له .

أى أن العقل وظيفته منهجية بالدرجة الأولى تعطيه بعد التحليل والمقارنة حق الاقتناع بما هو الأمثل .

أما مصدر الالزام فينبغى أن يكون سلطة أعلى من الرعايا ومشرع أقدر على التشريع من جميع من يشرع لهم على أن يكون تشريعه فى معظم قضاياه الأخلاقية قابلا لأن يهضمه العقل ويقتنع به وينضجه وينضج به فيشعر بعد الاقتناع وكأنه واضعه فيتسلط على البدن ويوجهه إلى سلوك ينسجم مع التشريع الذى

جاءه من السلطة العليا «يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين انما يأمركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله ما لا تعلمون».

مصادر الالزام الخلقى فى الاسلام:

إن المسلمين لا يكادون يرتابون لحظة واحدة فى مصدرهم التشريعى الوحيد.

إن الانسان حين يرتاب عقله ويتشتت بين أدرب الحيرة والاضطراب يجب عليه أن يدين تشريعيا إلى قوة أعلى منه ترعى مصالحه الدستورية وتحقق له أهدافه وغاياته، ولقد أدرك المسلمون ذلك منذ اللحظة الأولى للرسالة المحمدية، أدركوا ذلك حين احترموا عقولهم ومصيرهم الذى ينبغى أن يسيروا إليه على درج الكمال وسلم الفضيلة.

ولقد أدرك ذلك غير المسلمين من بعض المشتغلين بالدساتير والتشريعات.

ويكفى أن نقرأ العقد الاجتماعى لجان جاك روسو لنجد فيه حماسا منقطع النظير، وتحفز شديد إلى الانحياز إلى القوة الأعلى ليلتمس منها وعندها التشريع الصحيح للمجتمع والناس، غير أنه لاسباب لا نطيل بذكرها انقطع دون الوصول لغايته.

أما المجتمع الاسلامى فى عصوره الأولى وإلى قرون تلت استطاع أن يطبق فى الواقع المحسوس استجابته للمشرع الواحد والمصدر الوحيد الذى لا ثانى له.

واستيعاب الفكر الاسلامى لفكرة المشرع الواحد ومصدر الالزام المستند إلى السلطة العليا يعيد للانسان كرامته اللائقة به ويرفعه إلى مستواه المتميز عن الكائنات الدنيا المشاركة له فى هذا الكون.

وتنتهى المسألة عند كل مسلم إلى أن الله وحده هو مصدر الالزام دون سواه.

مصادر الالزام بين التعدد والوحدة فى الاسلام:

غير أن هذه النتيجة التى انتهى اليها العقل الاسلامى وهى أن الله عز وجل هو مصدر الالزام وحده يمكن أن يطرأ عليها سؤال مشروع، وهذا السؤال مؤداه أننا إذا نظرنا إلى واقع الفقهاء المشتغلين بعلم أصول الفقه أو ما يسمونه حديثا بالمدخل إلى القانون أو فلسفة القانون قد نبهوا على أن مصادر التشريع فى الاسلام أربعة هى الكتاب والسنة والاجماع والقياس.

وهذه النتيجة التى انتهى إليها الفقهاء أو بعضهم على الأقل تخالف مبدئيا ما انتهينا إليه فى تحليلنا السالف الذكر حيث قد انتهينا إلى أن مصدر التشريع واحد وانتهى الفقهاء إلى التعدد فيه ولقد أدرك الغزالى هذه المعضلة الفكرية حيث أشار إليها فى كتابه المستصفى كما نقلها عنه الشيخ الخضرى فى كتابه أصول الفقه والدكتور دراز فى رسالته التى نال بها الدكتوراه من إحدى جامعات فرنسا وقد حاول الامام الغزالى فى لباب هذه الفكرة أن يعرض المشكلة مبينا أن هذا التعدد السالف الذكر إنما هو تعدد فى الظاهر فقط، أما فى حقيقة الأمر فإننا لن نجد إلا مصدرا واحدا من مصادر الالزام هو الله عز وجل.

ويتبين ذلك حين نعلم أن القرآن كلام الله.

ثم نعلم فى نفس الوقت أن السنة التى هى كلام النبى لا تخرج عن كونها من الله عز وجل!

«وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى» «وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» «ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين».

ويتبقى امامنا الاجماع والقياس.

والمتأمل فى الاجماع وتعريفه يجد أن الاجماع هو اتفاق علماء الأمة والذين لهم قدرة على تذوق روح الشريعة على أمر لم يرد فيه نص صريح من غير أن يكون هناك اشتراط لقاء بين هؤلاء المجتهدين أو مصلحة تجمع بينهم على هذا الرأى أو ذاك.

واذا كان الاجماع على هذا النحو فانه لن يخرج عن اطار الكتاب والسنة اللذين قد عادا إلى مصدر واحد، وتكون المصادر الثلاثة الأن لا تشير إلى التعدد الا فى الظاهر.

ويبقى فقط القياس.

والحديث حول القياس يطول. ويكفينا هنا أن نشير إلى تعريفه لكى يتبين لنا انه لن يخرج عن اطار الكتاب والسنة.

فالقياس باجماع الفقهاء هو: حمل مسألة لم يرد فيها نص على اخرى قد ورد فيها نص لاشتراكهما فى العلة.

ويتبين من هذا التعريف أن القياس هو الحاق مسألة بأخرى فى الحكم لمجرد اشتراكهما فى العلة، وهذا يفيد توسيع عدد الوحدات التى ينطبق عليها الحكم التشريعى ولا يفيد تشريعا جديدا يلائم جزئية مستحدثة.

طه الدسوقى حبيشى

الرشـــوة

جريمة اجتماعية

« لعن اللـــه الراشـــى والمرتشى » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن الراشي يعطى المرتشى ليأخذ غير حقـــه ، والمرتشى يأخـــذ ليعطى ماليس حقا للمرتشى.. ومن هنا كانت الرشوة محرمة شرعا ، لما لها من آثار ضارة على المجتمع جماعات وأفرادا ، لأنها أخذ وعطاء بغير حق .

وعن الرشـــوة وأثارها الضارة يحدثنا فضيلة الشيخ عبد المنصف محمود عبدالفتاح.

الرشوة : ما يعطيه الشخص لحاكم او غيره ، او يحمله على ما يريد .. وجمعها : رشا ..
يقال : رشوت فلانا ارشوه : اعطيته رشوة فارتشى : اى اخذ .. وترشيته : لاينته .. كما يصنع الحاكم بالرشوة ، واسترشى فى حكمه : طلب الرشوة عليه ..
والراشى : هو الذى يعطى من يعينه على الباطل ، واصله رشا الفرخ راسه : إذا مده إلى امه لتزقه ، واسترشى الفصيل : طلب الرضاع ..
والرشوة : حرام بالاجماع ، سواء كانت للحاكم او للقاضى او للعامل او لغيرهم ، لما لها من آثار سيئة ، وعواقب وخيمة ، واضرار جسيمة ..
قال الله تعالى : « ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتاكلوا فريقا من اموال الناس بالاثم وانتم تعلمون » البقرة : ١٨٨ .

قيل : هو أن يدفع الانسان إلى الحاكم رشوة ؛ ليحكم له ، أو يحمله على تحقيق رغبته .. والمعنى على هذا التأويل : لا تصانعوا الحكام بأموالكم ولا ترشوهم ؛ ليقطعوا لكم حق غيركم ..

روى الترمذى وابن ماجة وابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « لعن رسول الله ﷺ : الراشى والمرتشى فى الحكم » واللعن : هو الطرد والابعاد من رحمة الله .. وروى أحمد والبزار والطبرانى عن ثوبان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لعن الله الراشى والمرتشى والرائش ، يعنى الذى يمشى بينهما » وهو السفير بين المعطى والآخذ ، وإن لم يأخذ على سفارته أجرا ، فإن أخذ : فهو أشد حرمة ..

الرشوة حرام بالاجماع :

والرشوة التى تعطى للقاضى : إن كانت ليحكم له بغير حق : فهى حرام على الآخذ والمعطى ؛ لأن الراشى يساعد المرتشى على تضييع الحقوق ، ويغريه بالرشوة على التحكم فيما هو حق لغيره ، فيستمرىء الحصول على المال ، من هذا الطريق غير المشروع ، والمرتشى قد أخذ مال غيره ، ومنع الحق عن صاحبه ، وهو جور وظلم .. وإن كانت ليحكم له بالحق على غريمه : فهى حرام على الحاكم ، دون المعطى ؛ لأنها لاستيفاء حقه ، وقيل : تحرم على المعطى أيضا ؛ لأنها توقع الحاكم فى الاثم !!

وأما الهدية : فان كانت ممن يهاديه ، قبل أن يعهد إليه بهذا المنصب ، فلا تحرم استدامتها ، وإن كانت قد أعطيت له ، بعد أن ولى هذا الأمر : تزلفا أو لقضاء حاجة ، أو كانت ممن بينه وبين غيره : خصومة عنده : فهى حرام على كل من الحاكم والمهدى ..

ولعل أشد وعيد ورد فى شأن الذين

يرتمون بين أحضان الرشوة : ذلك الداء الوبيل والمرض الخطير : الذى يودى بحياة الأمة : ما رواه الطبرانى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **الراشى والمرتشى فى النار** » وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « **من ولى عشرة فحكم بينهم ، بما أحبوا او بما كرهوا : جىء به (اى يوم القيامة) مغلولة يده ، فان عدل ولم يرتش ولم يحف : فك الله عنه ، وإن حكم بغير ما أنزل الله وارتشى وحابى فيه : شدت يساره إلى يمنه ، ثم رمى به فى جهنم ، فلم يبلغ قعرها خمسمائة عام** ، رواه الحاكم . . وروى عن مسروق رضى الله عنه : أنه كلم ابن زياد فى مظلمة فردها ، فأهدى إليه صاحب المظلمة وصيفا فرده ولم يقبله وقال سمعت ابن مسعود يقول : « من رد عن مسلم مظلمة ، فأعطاه على ذلك قليلا أو كثيرا فهو سحت !! فقال رجل يا أبا عبد الله : ما كنا نظن أن السحت إلا الرشوة فى الحكم فقال : ذلك كفر ، ونعوذ بالله ، أى لمن استحل ذلك ، ومصداق هذا ما رواه الطبرانى بسند صحيح عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه ، قال : « **الرشوة فى الحكم كفر ، وهى بين الناس سحت** » ولم يفت ابن مسعود أن يفسر السحت بقوله : « السحت أن تطلب لأخيك حاجة فتقضى ، فيهدى إليك هدية فتقبلها منه » قال رسول الله ﷺ : « **هدايا العمال سحت** » وفى رواية الامام أحمد عن أبى حميد الساعدى « **هدايا العمال غلول** » . .

وروى ابن سعيد عن طريق فرات ابن مسلم قال : « اشتهى عمر ابن عبد العزيز : التفاح فلم يجد فى بيته شيئا يشترى به !! فركبنا معه ، فتلقاه غلمان الدير : بأطباق تفاح . . فتناول واحدة فشمها ، ثم رد الأطباق ، فقلت له فى ذلك ، فقال : لا حاجة لى فيه ، فقلت : ألم يكن رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما : يقبلون الهدية ؟ فقال : إنها لأولئك هدية ، وهى للعمال بعدهم رشوة » . .

الورع صفة حميدة :

وكثيرا ما كان يحمل الورع : بعض الولاة والقضاة الأتقياء : على طلب الاقالة من مناصبهم ، مختارين طائعين ، فحافة الوقوع فى خطر الرشوة الداهم ، أو الاحتراق بما يتطاير من شررها . .

روى أن عافية بن يزيد القاضى : كان يلى القضاء ببغداد للمهدى (الخليفة العباسى) فجاءه يوما وهو خال (أى ليس معه أحد) فاستأذن عليه ، فلما دخل طلب منه : أن يعفيه من القضاء وأن يقيله من ولايته . . فظن المهدى : أن بعض الولاة قد عارضه فى حكمه ، فكاشفه بظنه وقال له : إن كان عارضك أحد ، لتنكرن عليه ذلك !! فقال القاضى : لم يكن شىء من ذلك . .

قال المهدى : فما سبب استعفائك من القضاء ؟ قال : يا أمير المؤمنين . . تقدم إلى خصمان من منذ شهر فى قضية مشكلة ، وكل يدعى بينة وشهودا ، ويدلى بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت . . فرددت الخصوم ، رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفصل بينهما ، فسمع أحدهما : أنى أحب الرطب . . فعمد فى وقتنا هذا ، وهو أول أوقات الرطب ، فجمع رطبا ما رأيت أحسن منه ، ولا يتهيأ فى هذه الأيام جمع مثله لأمير المؤمنين ، ورشا بوابى بدراهم على أن يدخل على الرشوة فلما أدخلها على أنكرت ذلك ، وطردت بوابى ، وأمرت برد الرطب إلى الرجل فرد عليه . . فلما كان اليوم : وهو يوم المحاكمة ، والفصل فى القضية : تقدم الخصمان ، فما تساويا فى عينى ولا فى قلبى . . فهذا ياأمير المؤمنين ، ولم أقبل ، فكيف يكون حالى لو قبلت ؟ ولا آمن أن تقع على حيلة فى خلقى ودينى ، وقد صار بعض الناس إلى ما رأيت !! فأقلنى يا أمير المؤمنين : أقالك الله من المحن والعثرات ، وأعفنى عفا الله عنك !!

قبيح بنا : أن نتقدم بالرشوة إلى من بيده إنجاز أعمالنا ، ونحاول أن نميله لأخذها ، فنجنى عليه شر جناية ، ونعوده على مخالفة القوانين القاضية بتحريمها ، ونعلمه الطمع والجشع ، ونلفته إلى شىء قد لا يكون فى حسبانه ، ولم يتعود عليه من قبل ، وفى هذا إفساد لنفسه ، وتخريب لذمته ، وبيع لضميره ، بدراهم معدودة . .

وأقبح من هذا وأفظع : أن نحاول بالرشوة أو المحسوبية أو المحاباة ، تخطى ذوى الجدارة والكفاءة فى الوظائف والأعمال ، أو الحصول على ما ليس من حقنا ، أو إلحاق الضرر بغيرنا ، فإن ذلك من الاثم بمكان كبير !!

ولا يتبادر إلى الذهن ، أن تحريم الرشوة ، قاصر على الحكام والقضاة فحسب ، بل إنه يشملهم وغيرهم من كل من ولى من أمور الناس شيئا ، قال رسول الله ﷺ : « **من استعملناه على عمل فرزقناه رزقا ، فما أخذه بعد ذلك فهو غلول** » . .

عبد المنصف محمود عبد الفتاح

المرأة فى الاسلام

المرأة نصف المجتمع ، فهى أم ، واخت ، وزوجة ، وبنت. والمرأة فى الاسلام ، كان لها حظ كبير وكان لها من التكريم ما لها .

فكان منهن وافدة النساء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مشاركة فى الحروب تحمل القرب وتضمد الجروح ويكفى ماقاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السيدة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها « خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء » وعن المرأة فى الاسلام يحدثنا الأستاذ توفيق على وهبه ..

جاء الاسلام ليلغى الظلم ويمنع استغلال الانسان للانسان ، وليفتح الطريق الى الحرية أمام الناس جميعا غنيهم وفقيرهم قويهم وضعيفهم ، حرهم ورقيقهم ولم يمنح الاسلام الحقوق للرجال فقط ، بل للنساء ايضا . لقد كانت المرأة فى وضع لا يليق بها كانسانة ، ولم يكن لها اى حق ، بل كانت كما مهملا ووصل الامر انهم كانوا يتوارثونها ضمن تركة المتوفى .

الاسلام يكرم المرأة :

أعلى الاسلام شأن المرأة وكرمها وأعاد اليها حقوقها باعتبارها شريكة للرجل فى الحياة ، ولقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز المرأة والرجل فى أكثر من موضع حيث يقول جل وعلا « **يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم** » (١) ويقول عنها سبحانه وتعالى : « **هن لباس لكم وانتم لباس لهن** » (٢) وفى هذا معنى المودة والاطمئنان اذ جعل كلا منهما مسكنا وحماية للآخر . ويقول ﷺ « **النساء شقائق الرجال** » .

واذا كان الاسلام قد اعطى للمرأة حقوقها ، وساوى بينها وبين الرجل فى كثير من النواحى الا ان هذه المساواة ليست تامة من جميع الوجوه إنما هناك بعض الاستثناءات على المبدأ العام للمساواة فقد خلق الله سبحانه وتعالى الانسان من ذكر وأنثى وجعل لكل منهما خصائص ومقومات وأهله لما سيقوم به من مهام فى الحياة . . فاعطى الرجل قوة فى الجسم ليسعى على الرزق ويكدح من اجل لقمة العيش ومنح المرأة العطف والحنان لتربية اولادها وتنشئتهم نشأة طيبة . وصدق الشاعر اذ يقول :

الأم مدرسة إذا اعددتها
اعددت شعبا طيب الأعراق

دعوى باطلة :

لست أدرى لماذا ترتفع الأصوات بين الحين والآخر بالمناداة بالمساواة بين الرجل والمرأة مساواة مطلقة وكأن المرأة والرجل مختلفان وليسا شيئا واحدا ، لقد نسى هؤلاء ان المرأة هى أم الرجل وأخته وابنته وزوجته ، وأن الرجل بالنسبة للمرأة أبوها وأخوها وابنها وزوجها ، فكل منهما مكمل للآخر ولا يمكن لأحدهما أن يظلم الآخر وليس هناك ما يدعو الى مثل هذه الدعوات الخبيثة التى لا يراد منها الا تفتيت المجتمع وبث الفتن والوقيعة بين الرجل وشقيقته أو بين الزوج وزوجته أو بين الأم وابنها ان الله سبحانه وتعالى خلق الرجل والمرأة من نفس واحدة وركب جسم كل منهما بالكيفية التى تناسب وظيفته فى الحياة اذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل بينهما

(١) سورة الحجرات اية (١٣) .
(٢) سورة البقرة اية ١٨٧ .

اختلافا فكيف بنا لا نقبل ان يكون بينهما هذا الاختلاف ؟ .

يقول الله جل وعلا «وللرجال عليهن درجة» (٣) فكيف بهم يتناسون هذا ؟ .

ان طلب المساواة التامة بين الرجل والمرأة يحط من شأنها ويجعل منها آلة فى عجلة الانتاج وينزل بها عن المستوى الانسانى اللائق الذى أراده لها الله سبحانه وتعالى .

والاسلام لا يقبل ان تستذل المرأة او تستباح حرماتها او تنتهك انسانيتها ، وانما يضعها فى الوضع الملائم لها كام تقوم على رعاية ابنائها شباب المستقبل ورجاله وحماة الامة وابطالها .

عمل المرأة :

يفسح الاسلام المجال امام المرأة لكى تعمل عملا ما وجدت ضرورة لعملها فاذا لم تكن ثمة ضرورة فلتبق فى بيتها تدبره وترعى ابناءها وتحسن تربيتهم . وقد يظن البعض ان هذا عمل سهل هين ، ولكنهم واهمون . ان المرأة التى تقدم للوطن ابناء اقوياء اصحاء متعلمين خير من تلك التى تترك ابناءها لمن يتولى تربيتهم وقد يفسد اخلاقهم فتنتكب الامة فى شبابها وامل مستقبلها .

ان عمل المرأة فى بيتها له من الأهمية أكثر من عملها خارجه وان واجب الأمة أن تعلم المرأة الطرق المثلى فى تدبير شئون بيتها ورعاية أسرتها والقيام بواجبات أولادها ، وهذا بالطبع لا يمنعها من المشاركة فى الحياة الاجتماعية والمساعدة فى ادارة الحياة السياسية فى مجتمعها ، فلها حق الاشتراك فى الجمعيات الخيرية والادلاء بصوتها فى الانتخابات العامة وترشيح نفسها الى غير ذلك بشرط الا يعطل ذلك عملها الأساسى الذى هيأها الله له وهو الأمومة .

اذا كان الاسلام قد منح للمرأة كل حقوقها فان واجبها ان تحسن استخدام هذا الحق ، وعدم المغالاة فيه .

وعلى هؤلاء الذين يدعون الى المساواة التامة بين الرجل والمرأة ان .. ينظروا الى طبيعة كل منهما اولا .. وليعلموا ثانيا ان المرأة والرجل شىء واحد لا ينفصل ، ولكل منهما دوره فى الحياة والواجب عليه ان يحسن القيام به ، فالرجل بطبيعته لا يمكنه ان يحمل ويلد ويربى الاولاد لان ذلك من شأن النساء وحدهن ... وكذا المرأة لا تطلب منها ما هو فوق طاقتها والا نكون قد ظلمناها ونحن نظن اننا نحسن بها صنعا .

عمل المرأة الأساسى فى البيت :

لقد خرجت المرأة للعمل والجهاد فى حياة الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ولكن ذلك لم يكن هو المبدأ العام ، اذ ان المبدأ العام هو القرار فى البيوت والاستثناء هو الخروج للعمل او للضرورة ، فاذا كان المجتمع فى حاجة الى عمل المرأة او كانت المرأة نفسها فى حاجة الى هذا العمل فلا مانع من ذلك .

وهذا الذى يقرره الاسلام انما ينظر فيه الى تكوين المرأة الجسمى ـ كما سبق القول ـ بل الأكثر من ذلك أنه أعفاها من بعض التكاليف الشرعية والعبادات ، فالمرأة اذا حاضت أو نفست لا تصلى ولا تصوم ولا تكلف باعادة الصلوات وان كانت تعيد الصوم ...

ولا تكلف بالجهاد الا اذا تطوعت وكانت الحرب فى حاجة الى خدماتها .

وهكذا نجد أن شريعة الله الخالدة تنظر الى الرجل والمرأة نظرة واحدة باعتبارهما من سلالة واحدة لا فرق بينهما الا ان هذا ذكر وتلك أنثى .

خلقهما الله من نفس واحدة وخصص لكل دوره فى الحياة وقد ركب الله سبحانه وتعالى جسم كل منهما بالطريقة المناسبة لاداء الدور المنوط به على خير وجه .

---

(٣) سورة البقرة ٢٢٨ .

من القيم الحضارية فى الاسلام

« العمل »

العمل : هو الحركة الدائبة فى الحياة ، وهو الدليل على أن الانسان حى ..

ومن أجل ذلك نادى الله سبحانه رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأمر المؤمنين بالعمل فقال « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » .

ولذلك ربط الاسلام العمل الصالح بالعقيدة بحيث يصبح عملا فعالا فى المجتمع فجعل العمل عبادة ..

وعن العمل يحدثنا الأستاذ محمود عاشور فيقول ..

العمل هو الصلة الوثيقة التى تربط ما بين الانسان .. وبين الوجود .

يعمل الانسان بعقله .. باحثا عن مصدر وجوده .. فيكون ذلك طريقه إلى الاتصال باصل الوجود كله الذى منح الوجود لكل ما فى الكون .

ويعمل الانسان بفكره منطلقا فى آفاق الكون .. ينقب عن اسراره .. ويكشف قوانينه .

ويعمل الانسان محاولا تذليل ما يعترضه من صعوبات .. وما تطرح الحياة امامه من تحديات وخلال هذا التفاعل تتم عمليات متبادلة من الأخذ والعطاء من نتاجها قام صرح الحضارة وسعادة الانسان او شقاؤه .. كرامته او هوانه ، ورفاهة الحياة ورغدها ، او خشونتها وقسوتها .. كل ذلك رهن بمدى وطبيعة هذا التفاعل بين الانسان والحياة .. هذا التفاعل الذى لا يحدث إلا نتيجة مبادرة من جانب الانسان تتمثل فى صورة ما من صور « العمل » يمارسها بشكل او آخر ..

وليس تاريخ التطور البشرى .. وما يحوى بين ثناياه من مظاهر التقدم الحضارى الا محصلة لهذا التفاعل بين الانسان الذى حباه خالقه بطاقات لا تحد .. وبين الكون الذى سخر لهذا الانسان بكل ما فيه من امكانات ؟

هذه النظرة الايجابية ضرورية : للفرد إذا أراد بلوغ ما يطمح اليه من أمل ، وللجماعة متى صممت على تحقيق ما تصبو إليه .

ليس من المبالغة اذن ان يقال : ان قيمة « العمل » هى أسمى القيم الانسانية فهى التى تمنح سائر القيم حياة فعلية فى عالم الواقع .

من هنا تدرك سبب هذا الاهتمام البالغ من جانب الاسلام « بالعمل » وتقديسه له ..

فالتصور الصحيح لطبيعة الحياة ـ كما يصورها القرآن الكريم ـ يجعل العمل شرطا أساسيا لقدرة الانسان على البقاء فيها .. « لقد خلقنا الانسان فى كبد » فى تعب ومشقة فتلك طبيعة وجوده يواجه بها من ربه ليكون على بينة من أمره !

والحياة لهذا لا تحتمل لهوا ولا عبثا .. « افحسبتم انما خلقناكم عبثا ؟ » !

بهذا المنطق الموضوعى الواعى ـ سوف يفرض موقفا يحدد موقف الانسان من الحياة . لأنه بعد هذا التصور الواقعى للحياة .. ومكان « العمل » الانسانى فيها نجد فى توجيه الاسلام كثيرا من الدوافع تحفز المؤمن الى تبنى هذه القيمة والحرص عليها ..

واعظم دوافع « العمل » فى الاسلام يتمثل فى امرين :

اولهما : ربط العمل الصالح بعقيدة المسلم .. بحيث يصبح عضوا أساسيا فيها .. فليس يكفى فى تحقيق الايمان .. مجرد اقناع عقلى .. ولا مجرد فكرة لا تتجاوز حدود العقل الذى توصل اليها وانما

لابد من تحويل الفكرة الى عمل .. وترجمتها الى سلوك .

هذا الربط تلمسه فى كل آيات القرآن الكريم التى تتناول قضية الايمان والعقيدة وتجدها جميعا من هذا النمط : « **ان الذين آمنوا بالله ورسوله .. وانفقوا** »

« **انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا .. وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله** »

وليس العمل الصالح قاصرا ـ كما يفهم الناس ـ على العبادات والطاعات بمعناها الضيق وانما هو عام شامل يتسع لكل نشاط يبذله المؤمن يحقق به نفعا لنفسه أوخيرا لمجتمع أو برا بالانسانية .

ثانيهما : ربط العمل ـ والدنيوى بالذات ـ بعبادة المسلم ,, ربطا يحول الحياة كلها الى معبد مقدس ومحراب ينقلب فيه المؤمن من عبادة الى اخرى .. مرة فى المسجد ومرة فى المصنع .. واخرى فى الحقل .. حينا على المكتب .. وحينا على متن طائرة .

وهكذا تصبح الحياة ميدان جهاد المؤمن الدائم .. ويصبح العمل عبادته المتصلة وفى مقدمتها فرائض الله يتعبد بها المؤمنون !

ان هذا التلاحم الوثيق بين « العمل » من جانب .. وبين العقيدة .. والعبادة من جانب آخر هو الذى يوضح دلالة هذا الشعار الذى رفع القرآن لواءه أمام كل مؤمن « **اعملوا .. فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون** » .

« **اعملوا ..** » دعوة عبادة تشمل كل نشاط فيه نفع أو خير يؤهله لأن يكون مرضيا لله ورسوله .. مقدرا من جانب المؤمنين .!

وان الشعار على « ايجازه .. ملىء وغنى بالمضمون .

هل أحسست بروح الجماعة تطل عليك من خلال حروفه .

ان ذكر الله ـ لاشك ـ أوحى اليك بجمال العقيدة والجهاد فى سبيلها .. وهو يتصل بقضية التوحيد بالدرجة الأولى .!

وذكر رسوله يوحى بجمال الدعوة والرسالة ، وذكر المؤمنين يفتح مجالا ثالثا رحبا فسيحا يشمل كل ماهو خير للجماعة .. وبر بالانسانية فى ضوء هذا التوجيه : نحن بحاجة الى تصحيح الكثير من المفاهيم والتصورات !

هذه السلبية القاتلة التى سادت حياة المجتمعات الاسلامية لقرون طويلة ـ ولازالت رواسبها باقية . والتى راجت تحت شعارات الزهد والتصوف بمضامين دخيلة على الاسلام .

يجب أن تنتهى لنفسح الطريق امام الطاقات المؤمنة حتى تنطلق بايجابية تسهم فى بناء المجتمع على أقصى ما تطيق ! وبقدر ما تتحمل !

لقد انتهر النبى ﷺ صحابيا من أصحابه رآه فى المسجد فى غير أوقات الصلاة ورأى فى موقفه اتجاها للعزلة عن الحياة التى هى مجال حركة السلم .. واضطر الصحابى أن يعتذر بأنه يعانى أزمة نفسية نتجية لديون تراكمت عليه فسببت له كثيرا من الهموم .

ومن الطريف النافع ذكر العلاج الذى وصف النبى لهذا الرجل : « **اللهم انى اعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال** » !

انها جرعة دواء من عناصر اربعة .. الأمل .. العمل .. الثقة .. الاكتفاء !

تصور آخر يحتاج الى تصحيح .. ورثنا اتجاها خاطئا ينظر للعمل البدنى باحتقار ويزن اقدار الناس على حسب مظهرهم .. وما يدل عليه المظهر من نوع العمل الذى يمارسونه .. وهى نظرة هدمها الاسلام من الأصل .

ولقد كانت القدوة العملية أساس التحويل الاجتماعى لهذه القيم بجانب الدعوة الى البديل الجديد .. هذه القدوة يقدمها النبى ﷺ حينما ينهض بعبء الدعوة ونشرها .. وبناء المجتمع الجديد وحمايته ، وتربية الأمة وارساء مقوماتها .

لقد اسقط الاسلام بهذا كل الاعتبارات والمقاييس الاجتماعية الزائفة التى ألف الناس أن يزن بعضهم بعضا على أساسها .. فلا حسب ولا نسب .. ولا مال ولا ثروة .. ولا انتماء لطبقة .. لا شىء من ذلك بذى قيمة يضفيها على صاحبه .. فقط تتحدد قيمة الانسان بعمله .. « ولكل درجات مما عملوا »

ان العمل بكمه وكيفه هو معيار التفاضل بين الناس والكيف هنا يتضمن مستوى الاجادة .. ويتضمن شرف الهدف وسمو الغاية « انما الاعمال بالنيات » وهو معنى جدير بالاهتمام ينحى عن العمل كثيرا من العيوب كالمظهرية .. والنفعية .

ان الاسلام بهذا التوجيه يترك كثيرا من الناس عراة مجردين من اى اعتبار اجتماعى صحيح بعد ان مزق الثياب الزائفة التى نسجتها لهم قيم بالية وتصورات خاطئة عن الانسان والحياة .

« محمود عاشور »

الهجرة النبوية الشريفة
بأقلام المؤرخين

من كتاب « سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد » الجزء الثالث
للامام محمد بن يوسف الصالحى الشامى .
طبعة المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

« التحرير »

فى هِجْرة رسول الله صلى الله عليه وسَلَّم بنفسه الكريمة
وما وقع فى ذلك من الآيات

قال الله تعالى : (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ واجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيراً[1]) . روى الإمام أحمد والترمذى والحاكم والضياء وصَحَّحُوه عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فأُمِر بالهجرة من مكة وأُنْزِل عليه (وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ) الهجرة إلى المدينة (واجْعَلْ لِى مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيراً) / : كتاب الله عز وجل ، وفرائضه وحدوده . وروى الحاكم وصَحَّحَه عن قتادة فى الآية قال : (أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صدق) [يعنى المدينة[2]] « وأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صدق » يعنى مكة . وروى الزبير بن بَكَّار عن زيد بن أَسْلَم فى الآية قال : جعل الله تعالى مُدْخَلَ صِدْق المدينة ومُخْرَجَ صِدْق مكة ، وسلطاناً نصيراً الأنصار .

قال ابن سعد : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج من بيته أتى بيت أبى بكر

بمكة فكان فيه إلى الليل ، ثم خرج هو وأبو بكر فمضيا إلى غار ثور فدخلاه[1] » . وروى موسى بن عُقْبَة وابن إسحق والإمام أحمد والبخارى وابن حِبَّان عن عائشة رضى الله عنها ، وابن إسحق والطبرانى عن أختها أسماء رضى الله عنها أن أبا بكر رضى الله عنه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج قِبَل المدينة[2] ، فقال [له] رسول الله صلى الله عليه وسلم : « على رِسْلِك فإنى أرجو أن يُؤْذَن لى » . فقال أبو بكر : وهل ترجو ذلك بأبى وأمى أنت ؟ قال : « نعم » . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم لِيَصْحَبَهُ وعَلَفَ راحلتين كانتا عنده وَرَقَ السَّمُر[3] ، وهو الخَبَط[4] أربعة أشهر .

[قال ابن شِهاب أخبرنى عُرْوَة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها قالت[5] :] « لم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طَرَفَىْ النهار بُكْرَةً وعَشِيَّةً » . قالت : « فبينما نحن [يوماً] جلوسٌ فى بيت أبى بكر فى نَحْر[6] الظهيرة قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَقَنِّعاً[7] فى ساعة لم يكن يأتينا فيها » . فقال أبو بكر : « فِدَاءٌ له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أَمْرٌ » . قالت : « فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فأُذِن له فدخل ، فَتَأَخَّر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فقال أبو بكر : « يا رسول الله ما جاء بك إلا أَمْرٌ حُدِث » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « أَخْرِج مَنْ عندك » . فقال أبو بكر : لا عَيْنَ عليك إنما هما ابْنَتَاى ، وفى لفظ أَهْلُك . قال : « إن الله قد أَذِن لى فى الخروج والهجرة » . فقال أبو بكر :

---

(١) أضاف بن سعد : وضربت العنكبوت على بابه بعشاش بعضها على بعض ، وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الطلب حتى انتهوا إلى باب الغار ، فقال بعضهم : إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد فانصرفوا ، انظر طبقات ابن سعد (طبعة القاهرة سنة ١٣٥٨هـ جـ ١ ص ٢١٣) .

(٢) لفظ البخارى (جـ ٥ ص ١٥٦) : وتجهز أبو بكر قبل المدينة .

(٣) فى النهاية (جـ ٢ ص ١٨١) : السمر هو ضرب من شجر الطلح الواحدة سمرة ومنه الحديث : يا أصحاب السمرة وهى الشجرة التى كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية .

(٤) فى النهاية (جـ ١ ص ٢٨٠) : الخبط ضرب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها واسم الورق الساقط خبط بالتحريك فعل بمعنى مفعول وهو من علف الإبل .

(٥) زيادة فى إسناد الحديث من صحيح البخارى (جـ ٥ ص ١٥٤) .

(٦) فى النهاية (جـ ٤ ص ١٣١) : فى حديث الهجرة : نحر الظهيرة هو حين تبلغ الشمس منتهاها من الارتفاع كأنها وصلت إلى النحر وهو الصدر .

(٧) متقنعاً أى مغطياً رأسه ، وتقنع مطاوع قنع . وفى النهاية مقنع بالحديد أى المتغطى بالسلاح .

« الصحْبَة يا رسول الله » . قال : « نعم » . قالت عائشة : « فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرَح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذٍ » .

قال أبو بكر : « يا رسول الله خُذْ إحدى راحِلَتَيَّ هاتَيْن » . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بالثَّمَن ، لا أركب بعيراً ليس هو لى » . قال : فهو لك . قال : « لا ولكن بالثمن الذى ابْتَعْتَها به » . قال « أخذتُها بكذ وكذا » . قال : « أخذتُها بذلك » . قال : هى لك . وعند البخارى فى غزوة الرجيع أنها الجَدْعاء[1] ، وأفاد الواقدى أن الثمن ثمانمائة . واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلاً من بنى الدِّيل [وهو من بنى عَبْد ابن عَدِىّ[2]] هادياً خِرِّيتاً – والخِرِّيت الماهر بالهداية – [قد غَمَس حِلْفاً فى آل العاص ابن وائل السَّهْمِى[2]] وهو على دين كُفَّار قريش – وأسلم بعد ذلك – فأَمِناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غارَ ثور بعد ثلاث [ليال[2]] براحلتيهما [صبح ثلاث[2]] .

قالت عائشة : فَجَهَّزناهما أَحَثَّ الجِهَاز[3] وصنعنا لهما سُفْرَة فى جِراب . وأفاد الواقدى أنه كان فى السُّفْرَة شاة مطبوخة . قالت عائشة : فشَقَّتْ أسماء بنت أبى بكر قِطْعَةً من نطاقِها – وفى لفظ قطعت نِطَاقَها فطعتَيْن فأَوْكَت[4] بقطعة منه الجِراب وشَدَّت فم القِرْبَة بالباقى فسُمِّيَتْ ذات النطاق وفى لفظ النِّطَاقَيْن . وعند البلاذُرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) لفظ البخارى (جـ ٥ ص ٢٣٤) فى باب غزوة الرجيع عن عائشة رضى الله عنها . قال أبو بكر : يا رسول الله عندى ناقتان قد كنت أعددتهما للخروج . فأعطى النبى صلى الله عليه وسلم إحداهما وهى الجدعاء . وفى شرح المواهب (جـ ١ ص ٣٢٧) : وأفاد الواقدى أن الثمن ثمانمائة درهم وأن التى أخذها النبى صلى الله عليه وسلم هى القصواء وكانت من نعم بنى قشير وعاشت بعده عليه السلام قليلا وماتت فى خلافة أبى بكر وكانت مرسلة ترعى بالبقيع . وذكر ابن إسحق أنها الجدعاء وكانت من إبل بنى الحريش وكذا فى رواية ابن حبان عن هشام عن أبيه عن عائشة أنها الجدعاء ذكره فى فتح البارى .

(٢) زيادة من صحيح البخارى (جـ ٥ ص ١٥٧) .

(٣) فى الأصول : أحب الجهاز وهو موافق لما فى ابن سعد (جـ ١ ص ٢١٤) وآثرنا إثبات رواية البخارى وفى شرح المواهب (جـ ١ ص ٣٢٧) : فجهزناهما أحث بمهملة ومثلثة أسرع وفى رواية بموحدة والأولى أصح ، الجهاز قال الحافظ بفتح الجيم وتكسر ومنهم من أنكره وهو ما يحتاج إليه فى السفر . وقال فى النور بكسر الجيم أفصح من فتحها بل لحن من فتح . والذى فى الصحاح : وأما جهاز العروس والسفر فيفتح ويكسر .

(٤) لفظ ابن سعد (جـ ١ ص ٢١٤) : فأوكت به الجراب وقطعت أخرى فصيرته عصاماً لفم القربة . وفى النهاية (جـ ٤ ص ٢٢٩) أوكوا الأسقية أى شدوا رءوسها بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شىء يقال أوكيت السقاء أوكيه إيكاء فهو موكى . والعصام رباط وجمعه عصم .

قال : « إن لها نِطاقَيْن فى الجَنَّة » فسميت ذات النطاقين [1] .

قال ابن إسحق : « وأَعْلَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلِيّاً بخروجه وأمره أن يتخلف بعده [بمكة] حتى يُؤدِّى عنه الودائع التى كانت عنده للناس / وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شىء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته » . قالت عائشة : « ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بغارٍ فى جبل ثَوْر » . وفى حديث عُمَر عند البيهقى أنهما خرجا ليلاً . وذكر ابن إسحق والواقدى أنهما خرجا من خَوْخَة فى ظَهْر بيت أبى بكر . وروى أبو نُعَيْم عن عائشة بنت قُدَامة [2] أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقد خرجت من الخَوْخَة متنكراً فكان أول من لقينى أبو جهل فأَعْمَى الله عز وجل بَصَرَه عَنِّى وعن أبى بكر حتى مَضَيْنَا » . قالت أسماء : « وخرج أبو بكر بماله خمسة آلاف دِرْهَم » . قال البَلاذُرِى : « وكان مال أبى بكر يوم أسلم أربعين ألف درهم ، فخرج إلى المدينة للهجرة وماله خمسة آلاف أو أربعة ، فبعث ابْنَه عبد الله فحملها إلى الغار » . قالت : « فدَخَل علينا جَدِّى أبو قُحَافة وقد ذهب بَصَرُه فقال : « والله إنى لأَراه قد فَجَعَكُم بماله مع نفسه » . قالت : « قلت : كَلاَّ يا أَبَت إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً » . قالت : « فَأَخَذْتُ أحجاراً فَوَضَعْتُها فى كُوَّةٍ فى البيت ، كان أبى يضع ماله فيها ، ثم وضعتُ عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده فقلتُ : يا أبت ضَعْ يَدَك على هذا المال . قالت : فوضع يَدَه عليه . فقال : لا بأْس إن كان ترك لكم هذا فقد أَحْسَنَ ، وفى هذا بَلاَغٌ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئاً ولكنى أردت أن أُسَكِّن الشيخ [بذلك [3]] » .

وفى حديث عند البيهقى أن أبا بكر رضى الله عنه لما خرج هو ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار ، جعل أبو بكر يمشى مَرَّةً أمام النبى صلى الله عليه وسلم ، ومرةً خَلْفَه

---

(١) بالتثنية هى رواية الكشميهنى ورواية غيره النطاق بالإفراد قال ابن حجر : النطاق ما يشد به الوسط وقيل هو إزار فيه تكة وقيل ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الأعلى على الأسفل قاله أبو عبيد الهروى قال : وسميت ذات النطاقين لأنها كانت تجعل نطاقاً على نطاق . وقيل كان لها نطاقان تلبس أحدهما وتحمل فى الآخر الزاد قال ابن حجر : والمحفوظ فى البخارى أنها شقت نطاقها نصفين فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين بالتثنية والإفراد بهذين الاعتبارين — عن الزرقانى فى شرح المواهب ج ١ ص ٣٢٨ .

(٢) هى عائشة بنت قدامة بن مظعون القرشية الجمحية كانت هى وأمها رائطة بنت سفيان الخزاعية من المبايعات ، انظر أسد الغابة ج ٥ ص ٥٠٥ والإصابة ج ٨ ص ١٤٢ رقم ٧٠٨ .

(٣) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ١٠٢ .

ومرةً عن يمينه ومرةً عن شِمَاله ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : « يا رسول الله أَذْكُرُ الرَّصَدَ[1] فأكون أَمَامَك وَأَذْكُرُ الطَّلَبَ فأكون خَلْفَك ، ومرةً عن يمينك ومرةً عن يسارك لآمن عليك ، فلما انتهينا إلى فم الغار قال أبو بكر : والذى بعثك بالحق لا تَدْخُلُهُ حتى أَدْخُلَه قبلك ، فإن كان فيه شىء نزل بى قبلك » . فدخله فجعل يلتمس بيده ، فجعل كلما دَخَل جُحْراً قام إلى ثوبه فشَقَّهُ ثم أَلْقَمَه الجُحْر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع : فبقى جُحْر ، فوضع عَقِبَيه عليه ، ثم دَخَل رسول الله صلى الله عليه وسلم فَجَعَلَتْ الحَيَّات يَلْسَعْنَ أبا بكر رضى الله عنه وجعلت دموعه تنحدر .

وروى ابن أبى شيبة وابن المنذر عن أبى بكر أنهما لما انتهيا إلى الغار إذا جُحْر فألقمه أبو بكر رجليه . قال : « يا رسول الله إن كان لَدْغَة أو لسعة كانت بى » . وروى ابن مَرْدَوِيه عن جُنْدَب بن سُفْيَان[2] قال : « لما انطلق أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار قال أبو بكر : يا رسول الله لا تدخل الغار حتى أَسْتَبْرِئَه . فدخل أبو بكر الغار فأصاب يَدَه شىءٌ فجعل يمسح الدم عن إصبعه ويقول

هل أنت إلا إِصْبَعٌ دَمِيت وفى سبيل الله مالَقِيت[3]

وفى حديث أنس عند أبى نُعَيْم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصبح قال لأبى بكر « أَيْنَ ثَوْبُك ؟ » فأخبره بالذى صنع فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يَدَيْه فقال : « اللهم اجْعَلَ أبا بكر معى فى دَرَجَتِى فى الجنة » . فأوحى الله إليه : « قد استجاب الله تعالى لك » . وروى ابن سعد وأبو نُعَيْم والبيهقى وابن عساكر عن أبى مُصْعَب المكى قال : « أدركتُ أنس بن مالك ، وزيد بن أَرْقَم ، والمُغِيرة بن شُعْبَة يتحدثون أن النبى صلى

---

(١) الرصد – محركة – القوم يرصدون كالحرس يستوى فيه الواحد والجمع والمؤنث ، وربما قالوا أرصاد .

(٢) هو جندب بن عبد الله بن سفيان البجلى أبو عبد الله ، وقد ينسب إلى جده فيقال جندب بن سفيان ، سكن الكوفة ثم البصرة قدمها مع مصعب بن الزبير ، وروى عنه أهل المصرين ، وروى عنه من أهل الشام شهر بن حوشب فقال حدثنى جندب بن سفيان . قال ابن السكن : وأهل البصرة يقولون جندب بن عبد الله ، وأهل الكوفة يقولون جندب ابن سفيان ، غير شريك وحده ويقال له جندب الخير وأنكره ابن الكلبى . وقال البغوى يقال له جندب الخير وجندب الفاروق . . . وقال ابن حبان وهو جندب بن عبد الله بن سفيان . . انظر الإصابة ج ١ ص ٢٦٠ رقم ١٢٢٠ .

(٣) ذكر الواقدى وابن هشام أن هذا البيت للوليد بن الوليد بن المغيرة الصحابى لما رجع فى صلح الحديبية إلى المدينة وعثر بحجرتها فانقطعت إصبعه . انظر الزرقانى على المواهب ج ١ ص ٣٣٦ .

الله عليه وسلم ليلةَ الغار أمَرَ شجرةً – وفى رواية عند قاسم بن ثابت[1] : أنبتَ اللهُ شجرة الرَّاءة[2] ، فنبتت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسترته ، وبعث الله العنكبوت فنَسَجَتْ ما بينهما فسترت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا فى فَمِ الغار ، وأقبل فتيان قريش من كل بطن بِعِصِيِّهم وهَراويهم[3] وسيوفهم ، حتى إذا كانوا من النبى صلى الله عليه وسلم على أربعين ذراعاً ، جعل بعضهم ينظر فى الغار فلم يَرَ إلا حمامتين وحشيتين بفَمِ الغار ، فرجع إلى أصحابه ، فقالوا له : مالك ؟ قال : رأيتُ حمامتين وحشيتين فعرفتُ أنه ليس فيه أحد ، فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ما قال : فعرف أن الله قد درأ عنه بهما فبارك عليهما النبى صلى الله عليه وسلم وفرض جزاءهن وانحدرتا فى الحَرَم فَأَفْرَخَ ذلك الزوج كل شىء فى الحَرَم[4] . وروى الإمام أحمد بسَنَدٍ حَسَن عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن المشركين قَصُّوا أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما بلغوا الجَبَل اختلط عليهم ، فصعدوا الجَبَل فَمَرُّوا بالغار فَرَأَوْا على بابه نسيج العنكبوت ، فمكث فيه ثلاثة أيام .

---

(١) هو قاسم بن ثابت بن حزم العوفى السرقسطى يكنى أبا محمد رحل مع أبيه فسمع بمصر من أحمد بن شعيب النسائى وسمع بمكة وعنى بجمع الحديث واللغة هو وأبوه وأدخلا الأندلس علماً كثيراً . وألف قاسم كتاباً فى شرح الحديث سماه كتاب الدلائل بلغ فيه الغاية من الإتقان ومات قبل إكماله فأكمله أبوه ثابت بعده . وكان قاسم عالماً بالحديث والفقه متقدماً فى معرفة الغريب والنحو والشعر وكان ورعاً ناسكاً وأبى أن يلى القضاء ، توفى فى سرقسطة سنة ٣٠٢ هـ . أنظر تاريخ العلماء والرواة بالأندلس لابن الفرضى (جـ ١ ص ٤٠٢ : ٤٠٣ رقم ١٠٦٢) . هذا وقد ترجم له الزرقانى فى شرحه على المواهب (جـ ١ ص ٣٣١) ترجمة مختصرة قال فيها بأنه توفى ٣٦٠ هـ . والأصوب ما ذكره ابن الفرضى حيث قال إنه ولد سنة ٢٥٥ هـ . أما عن كتاب الدلائل لقاسم بن ثابت فقد أشار إليه الزرقانى بأن مؤلفه شرح فيه ما أغفله أبو عبيد القاسم ابن سلام وابن قتيبة من غريب الحديث .

(٢) فى القاموس المحيط : أروأ المكان كثر به الراء وقال الزبيدى فى التاج : الراءة شجيرة ترتفع على ساق ثم يرتفع لها ورق مدور وقيل إنها شجيرة جبلية لها زهرة بيضاء كأنها قطن أو نوع من شجر الطلح ، وجمع الراءة الراء . وقال السهيلى (جـ ٢ ص ٤) إن قاسم بن ثابت ذكر فى الدلائل فيما شرح من غريب الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة وهى شجرة معروفة فحجبت عن الغار أعين الكفار وقال أبو حنيفة (يقصد السهيلى أبا حنيفة الدينورى وكان عشاباً) : الراءة من أغلاث الشجر وتكون مثل قامة الإنسان ولها خيطان وزهر أبيض تحشى به المخاد فيكون كالريش لخفته ولينه .

(٣) فى الصحاح الهراوة العصا الضخمة والجمع الهراوى بفتح الواو . وفى شرح الزرقانى على المواهب (جـ ١ ص ٣٣٢) : وقال البرهان كان ينبغى أن يكتب بالألف وينطق بها فيقال : هراواهم أو أنه يقال : هراوى وهراوى – بفتح الواو وكسرها – كصحارى وصحارى – بفتح الراء وكسرها .

(٤) فى الزرقانى على المواهب أن حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين جزاء وفاقاً لما حصل بها الحماية جوزيا بالنسل وحمايته فى الحرم فلا يتعرض له ، وفى المثل : آمن من حمام الحرم .

وروى الحافظ أبو بكر أحمد بن سعيد القاضى شيخ النسائى فى مسند الصديق عن الحسن البصرى قال : « جاءت قريش يطلبون النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رَأَوْا على باب الغار نَسْجَ العنكبوت[1] قالوا : لم يدخله أحد . وكان النبى صلى الله عليه وسلم قائما يصلى وأبو بكر يرتقب . فقال أبو بكر : يا رسول الله هؤلاء قومك يطلبونك ، أمَا والله ما على نفسى أبكى ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تخف إن الله معنا » وروى الإمام أحمد والشيخان عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال : « قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار . لو أن أحدهم نَظَرَ إلى قدمه لأبصرنا تحت قدميه[2] » فقال : « ما ظَنُّك باثنَيْن الله ثالثهما » .

وروى أبو نعيم عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أن أبا بكرٍ رأى رجلاً مواجهاً الغار فقال : « يا رسول الله إنه يرانا » . « قال كلا إن الملائكة تستره الآن بأجنحتها » . فلم ينشَب أن قعَد يبول مستقبلنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر لو كان يراك ما فَعَل هذا » .

ويرحم الله الشَّرَف البوصيرى[3] حيث قال :

وَيْحَ قومٍ جَفَوْا نَبِيًّا بأَرْضٍ ... أَلِفَتْهُ ضِبَابُها والظِّبَاءُ
وسَلَوْه وحَنَّ جِذْعٌ إِلَيْهِ ... وقَلَوْهُ وَرَدَّهُ الغُرَبَاءُ

---

(١) من بليغ الأبيات التى قيلت فى هذا الصدد :

والعنكبوت أجادت حوك حلتها ... فما تخال خلال النسج من خلل

(٢) العبارة هنا بها تكرار ، وهى كما أوردها ابن الأثير فى أسد الغابة (جـ ٣ ص ٢٠٩) : لو أن أحدهم نظر إلى تحت قدميه لأبصرنا .

(٣) فى الأصول : الأبوصيرى وأثبتنا الاسم الذى اشتهر به صاحب البردة . وعلق الزرقانى فى شرحه على المواهب (جـ ١ ص ٣٣٠) على هذه النسبة لبلدة بوصير قائلا : لو سلم أن القرية بلفظ الكنية فإنما يقال فى النسبة « صيرى » بحذف الجزء الأول كما يقال بكرى فى النسبة إلى أبى بكر إذ لا ينسب إلى الاسمين معاً المضاف والمضاف إليه لأن إعراب أولهما بحسب العوامل والثانى مخفوض بالإضافة. غير أن هذا لا يصح لأن بو أو أبو أساسية فى الكلمة . قال محمد رمزى فى القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ج ٢ ص ٦٩ القاهرة سنة ١٩٥٨ . وبناء على ذلك يجب أن يلاحظ أن كلمة أبو التى فى أول اسم بوصير هى جزء من الاسم لا يجوز أن تتغير بما يدخل عليها من عوامل الإعراب كما يفعل بعض الكتاب الذين لا يعرفون أصل هذا الاسم .

أَخْرَجُوهُ مِنْهَا وآوَاهُ غَـارٌ وحَمَتْـــهُ حَمَامَةٌ وَرْقَاءُ
وكَفَتْهُ بِنَسْجِهَـا عَنْكَبُوتٌ ما كَفَتْهُ الحَمَامَةُ الحَصْدَاءُ(١)

قالت عائشة رضى الله عنها : « فكَمَنا فى الغار ثلاثَ ليال وكان عبد الله بن أبى بكر يبيت عندهما ، وهو غلام ثَقِفٌ لَقِن(٢) ، فيُدْلِج من عندهما بسَحَر فيصبح مع قريش [بمكة كبائت](٣) ، فلا يَسْمَع بأَمْرٍ يُكَادان به(٤) إلا وعاه حتى يأْتيهما بخَبَر ذلك حين يختلط الظلام . وعند ابن إسحق أن أسماء بنت أبى بكر كانت تأتيهما إذا أمست بما يُصْلِحُهما من الطعام . وكان عامر بن فُهَيْرة يَرْعَى غَنَماً لأبى بكر فى رُعْيَان(٥) أهل مكة فإذا أَمْسَى يُرِيحُهما عليهما حين تذهب ساعة من العِشاء ، فَيَبِيتَان فى رِسْل [وهو لَبَن مِنْحَتِهما(٦)] ورَضِيفهما(٧) [حتى يَنْعَق بها عامر بن فُهَيْرَة بِغَلَس(٨)] ، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث .

فلما مضت الثلاث وسَكَنَ عنهما الناس أتاهما صاحبهما الذى استأْجراه فَرَكِبا وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الدِّيلى . وأَردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاه ليخدمهما فى الطريق .

وروى أبو نُعَيْم من طريق إبراهيم بن سعد عن محمد بن إسحق قال : « بلغنى أن

---

(١) يقال شجرة حصداء أى كثيرة الورق فكأنه استعارة للحمامة لكثرة ريشها .

(٢) فى النهاية (ج ١ ص ١٣١) فى حديث الهجرة وهو غلام لقن ثقف أى ذو فطنة وذكاء ، ورجل ثقف وثقف وثقف – بكسر القاف وضمها وتسكينها – والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه . وعند الزرقانى لقن أى سريع الفهم .

(٣) زيادة من صحيح البخارى (ج ٥ ص ١٥٧) .

(٤) هذه رواية الكشميهنى ورواية غيره : يكتادانه أى يطلب لهما فيه الغوائل .

(٥) فى الصحاح الراعى جمعه رعاة مثل قاض وقضاة ورعيان مثل شاب وشبان ورعاء مثل جائع وجياع .

(٦) زيادة من البخارى ، والمنحة من لبن أى غنم فيها لبن . والرسل كما فى الصحاح اللبن وقد أرسل القوم أى صار اللبن فى مواشيهم .

(٧) فى النهاية (ج ٢ ص ٨٥) فى حديث الهجرة : فيبيتان فى رسلهما ورضيفهما . الرضيف (بالضاد المعجمة بزنة رغيف وهى مصحفة بالصاد المهملة فى طبعة المنيرية للبخارى) هو اللبن المرضوف وهو الذى طرح فيه الحجارة المحماة ليذهب وخمه .

(٨) صحيح البخارى ج ٥ ص ٢٣٤ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خَرَج مُهاجِراً قال : « الحمد لله الذى خلقنى ولم أَكُ شيئاً ، اللهم أَعِنِّى على هَوْل الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والأيام ، اللهم اصْحبنى فى سَفَرى واخْلُفْنِى فى أهلى وبارِكْ لى فيما رزَقْتَنِى ، ولك فَذَلِّلْنى ، وعلى صالح خَلْقِى فقَوِّمْنى ، وإلى رَبِّى فَحَبِّبْنِى ، وإلى الناس فلا تَكِلْنِى ، أنت رَبُّ المُسْتَضْعفِين وأنت رَبِّى ، أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الكريم الذى أَشْرَقَتْ له السموات والأَرض فكشفت به الظُلُمات وصَلُحَ عليه أَمْرُ الأَولين والآخرين ، أن يَحِلَّ بى غَضَبُك أو يَنْزِلَ عَلَىَّ سُخْطُك ، أعوذ بك من زوال نِعْمَتِك وفُجَاءةِ نِقْمَتِك وتَحَوُّلِ عَافِيَتِك وجميع سُخْطِك ، لَكَ العُتْبَى خير ما استطعت ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بك » .

وروى الإمام أحمد والشيخان ويعقوب بن سفيان[1] عن البَرَاء بن عازِب رضى الله عنه أن أباه قال لأبى بكر رضى الله عنه : كيف صَنَعْتُما ليلة سَرَيْتَ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : خرجنا فأَدْلَجْنَا فأَحْيَيْنا يَوْمَنا وليلتنا حتى أظهرنا وقام قائم الظهيرة فضربت ببصرى هل أرى ظِلاً نأوى إليه فإذا أنا بِصَخْرَةٍ فَأَهْوَيْتُ إليها فإذا بَقِيَّةُ ظِلِّها فَسَوَّيْتُه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفرشت له فَرْوَة ثم قلت: اضطجع يا رسول الله وأنا أَنْفُض لك ما حولك ، ثم خرجتُ [هل أرى أحداً من الطَّلَب[2]] فإذا براعٍ مُقْبِل بغنمه يريد من الصخرة ما أردنا : فَلَقِيتُه فقلت له : لمن أنت يا غلام ؟ فقال : لرجل من أهل مكة ، فسَمَّاه فعرفته فقلت : هل فى غَنَمك من لبن؟ قال : نعم . قلتُ: هل أنت حَالِبٌ لى ؟ قال : نعم . فأَمرته فاعتقل شاةً منها . فقلت : انفض الضرع من التراب والقَذَى ، فحلب لى فى قَعْبٍ معه كُثْبَةٌ[3] من لبن ومعه إداوة أرتوى فيها للنبى صلى الله عليه

---

(١) هو الإمام الحجة أبو يوسف يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسى الفسوى صاحب التاريخ الكبير والمشيخة روى عنه الترمذى والنسائى وابن خزيمة وأبو عوانة وابن أبى حاتم وآخرون وبقى فى الرحلة ثلاثين سنة . قال أبو زرعة الدمشقى قدم علينا من نبلاء الرجال يعقوب بن سفيان يعجز أهل العراق أن يروا مثله ، توفى سنة ٢٧٧هـ ، انظر تذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٤٥ و ١٤٦ وخلاصة الخزرجى ص ٣٧٥ . وإسناد هذا الحديث الذى رواه يعقوب مختلف عما أورده ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٣ ص ٢١٠) ومن رواته محمد أبو سعيد عن إسرائيل عن أبى إسحق عن البراء بن عازب قال اشترى أبو بكر من عازب رحلا بثلاثة عشر درهما فقال أبو بكر لعازب مر البراء فليحمله إلى منزلى فقال لا حتى تحدثنا كيف صنعت حيث خرجت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت معه .

(٢) زيادة من أسد الغابة .

(٣) الكثبة كما فى النهاية (ج ٤ ص ٩) : بضم الكاف وتسكين المثلثة كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك والجمع كثب .

وسلم يشرب منها ويَتَوَضَّأ ، على فمها خِرْقة ، فَأَتَيْتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، وكَرِهْتُ أن أوقظه من نومه ، فوقفت حتى استيقظ ، فَصَبَبْتُ على اللبن من الماء حتى بَرَدَ أَسْفَلُه ، فقلت : يا رسول الله اشرب من هذا اللبن . فشَرِبَ حتى رَضِيت . / ثم قال : أَلَم يأن الرحيل ؟ » قلت : بلى. قال فارتحلنا بعد ما زالت الشمس .

قِصَّة أُم مَعْبَد رضى الله عنها

روى الطبرانى والحاكم وصحَّحَه ، وأبو نُعَيْم وأبو بكر الشافعى عن حُبَيْش بن خالد الأَشْعر[1] الخُزَاعى القُدَيْدِى[2] ، أخى أم مَعْبَد رضى الله عنهما ، وأبو بكر الشافعى عن أبى سَلِيط[3] – بفتح السين المهملة وكسر اللام فمُثَنَّاة تحتية فطاء مهملة – واسمه أُسَيْرَة – بضم أوله وفتح ثانيه وسكون المُثَنَّاة التحتية – ابن عَمْرو الأنصارى رضى الله عنه ، وابن سعد والبيهقى عن أبى مَعْبَد[4] ، وابن السَّكَن عن أم مَعْبَد رضى الله عنها ، والبَزَّار[5] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر ، ومولى أبى بكر عامر بن فُهَيْرَة ودليلهم الليثى عبد الله بن الأُرَيْقِط[6] ، مَرُّوا على خَيْمَة[7] أم مَعْبَد الخُزَاعية ، وهى لا تعرفه ، وكانت بَرْزَةً جلدة تحتبى بِفِنَاء

---

(١) اختلف فى نسبه إذ جاء فى أسد الغابة (ج١ ص٣٧٦) : حبيش بن خالد بن منقذ بن ربيعة بن أصرم .. وقيل حبيش بن خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة – لايذكرون منقذاً – الخزاعى الكعبى أبو صخر وأبو خالد ، يقال له الأشعر . وقال ابن الكلبى حبيش هو الأشعر وزاد فى نسبه . . وهو أخو أم معبد وصاحب حديثها .

(٢) نسبه إلى قديد موضع قرب مكة وهو على لفظ التصغير وفى معجم البكرى (ج ٣ ص ١٠٥٤) أن هذه القرية سميت قديداً لتقدد السيول بها وهى لخزاعة .

(٣) أبو سليط الأنصارى مدنى اسمه أسيرة بن عمرو بن قيس بن مالك . . الخزرجى النجارى .

(٤) أبو معبد الخزاعى زوج أم معبد مختلف فى اسمه . قال محمد بن إسماعيل اسمه : حبيش وأنه سمع حديثه من أم معبد فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم . وروى عن أبى معبد زوجها وعن حبيش بن خالد أخيها ، كلهم يرويه بمعنى واحد . قيل توفى أبو معبد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يسكن قديداً .

(٥) فى الأصول : والبزار عن ثم بياض بقدر ثلاث كلمات لم نستطع تكملته .

(٦) فى إحدى النسخ الخطية من سيرة ابن هشام هو عبد الله بن أرقد بالدال بدل الطاء ، وفى رواية الأموى أريقد بالتصغير وقيل رقيط كما فى الزرقانى على المواهب (ج ١ ص ٣٣٩) وهو من الديل وقيل الدئل كما فى فتح البارى . وكان الأريقط على دين كفار قريش ولم يعرف له إسلام فيما بعد كما جزم به عبد الغنى المقدسى وتبعه النووى وقال ابن حجر فى الإصابة لم أر من ذكره فى الصحابة إلا الذهبى فى التجريد وقال السهيلى (ج ١ ص ٨) : عبد الله بن أريقط لم يكن إذ ذاك مسلماً ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك .

(٧) فى رواية : خيمتى .

القُبَّة ثم تَسْقِى وتُطْعِم فسألوها لَحْمًا وتَمْراً ليشتروه منها ، فلم يُصيبوا عندها شيئا من ذلك ، وإذا القَوْمُ مُرْمِلُون مُسْنِتُون . فقالت : والله لو كان عندنا شىء ما أعوزنا كم . فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاةٍ فى كِسْر الخَيْمَة – وفى لفظ فى كِفَاء البيت – فقال : « ما هذه الشاة يا أم مَعْبَد ؟ » قالت : شاة خَلَّفَها الجَهْد عن الغَنَم . قال : « هل بها من لبن ؟ » قالت : هى أَجْهَد من ذلك . قال : « أتأذنين لى أن أَحْلُبها ؟ » قالت : بأبى أنت وأمى [نعم][1] إن رَأَيْتَ بها حَلْباً فَاحْلُبها فوالله ما ضربها فحل قط فشأنك بها . فَدَعَا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فَمَسَحَ بيده ضَرْعَها وظَهْرَها وسَمَّى الله عز وجل ودعا لها فى شاتها فتَفَاجَّتْ عليه ودَرَّتْ [واجْتَرَّتْ][2] ، ودعا بإناءٍ يُرْبِضُ[3] الرَّهْطَ فحلب فيه ثَجًّا حتى عَلَاه البهاء – وفى لفظ الثُّمَال[4] – ثم سقاها حتى رويت ثم سقى أصحابه حتى رَوَوْا ، ثم شَرِب صلى الله عليه وسلم آخرهم ، وقال : « ساقى القَوْم آخِرُهُمْ شُرْباً »[5] . ثم حَلَبَ فيه ثانيةً بعد بدء[6] حتى ملأ الإناء ثم غادره عندها . فبايعها وارتحلوا عنها .

وروى ابن سعد وأبو نعيم عن أم معبد قالت : « بقيت الشاة التى لمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرعها عندنا حتى كان زمان الرمادة وهى سنة ثمانى عشرة من الهجرة زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكنا نحلُبها صَبُوحاً وغَبُوقاً ، وما فى الأرض قليل ولا كثير » . وقال هشام بن حُبَيْش : « أنا رأيتُ الشاة وإنها لتَأْدُم أُمَّ مَعْبَد وجميع صِرْمَتِها » ، أى أهل ذلك الماء .

فَقَلَّ ما لَبِثَتْ أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أَعْنُزاً حِيَالاً[7] عِجَافاً [يَتَسَاوَكْنَ

---

(١) زيادة من أسد الغابة (جـ ١ ص ٣٧٧) .

(٢) زيادة من أسد الغابة والسهيلى (جـ ٢ ص ٨) والنهاية (جـ ٣ ص ١٨٤) .

(٣) يربض الرهط أى يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الأرض من ربض بالمكان يربض إذا لصق بالمكان وأقام ملازما له . انظر النهاية جـ ٢ ص ٥٩ .

(٤) فى النهاية (جـ ١ ص ١٣٤) فى حديث أم معبد : فحلب فيه ثجاً حتى علاه الثمال ، الثمال هو بالضم الرغوة واحدة الثمالة .

(٥) أخرجه الترمذي وابن ماجه ، انظر الجامع الصغير (جـ ٢ ص ٣٠) .

(٦) فى السهيلى (جـ ٢ ص ٨) : ثم حلب فيه مرة أخرى عللا بعد نهل .

(٧) ٢ : كل أنثى لا تحبل فهى حائل يقال امرأة حائل وناقة حائل والجمع حر وحيال . وفى النهاية (جـ ١ ص ٢٧٢) : والشاء عازب حيال أى غير حوامل ، حالت تحول حيالا ، وهى شاء حيال وإبل حيال ، والواحدة حائل وجمعها حول أيضا بالضم .

هزالاً مخهن قليل[1]]

فلما رأى اللبن عَجِب فقال : من أين لَكِ هذا اللبن يا أم معبد والشاة عازب ولا حلوب فى البيت ؟ قالت : « لا والله إلا أنه مَرَّ بنا رجل مُبَارَك من حاله كذا وكذا » . قال : « صِفِيهِ لى يا أم مَعْبَد » . قالت : « رأيْتُ رجلاً ظاهِرَ الوَضَاءة أبْلَجَ الوَجْهِ حَسَن الخُلُق ، لم تَعِبْهُ ثُجْلة ولم تُزْرِ به صَعْلة ، وَسِيمٌ قَسِيم ، فى عَيْنَيْه دَعَج وفى أشفاره وَطَف وفى صوته صَحَل – أو قالت صهل – وفى عنقه سَطَع ، وفى لحيته كثاثة ، أَزَجّ أَقْرَن ، إن صَمتَ فعليه الوَقَار ، وإن تكلم سَمَا وعَلَاهُ البَهَاء ، أجملُ الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب ، حُلْو المنطق فَصْل لا نَزْر ولا هَذْر ، كأن منطقه خَرَزَات نظم يَتَحَدَّرْن ، رَبْعَةٌ لا تشنؤه من طول ، ولا تقتحمه / عَيْنٌ من قِصَر ، غُصْنٌ بين غُصْنَيْن ، فهو أنْضَرُ الثلاثة منظراً وأحسنُهم قدراً ، له رُفَقَاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمَر تبادروا إلى أمره ، مَحْفُود[2] محشود لا عابس ولا مُفَنَّد » . فقال أبو معبد : « هذا والله صاحب قريش الذى ذُكِر لنا من أمره بمكة ما ذُكِر ولقد هممت أن أصحبه ولأفْعَلَنّ إن وجدت إلى ذلك سبيلاً » .

قالت أسماء رضى الله عنها : « لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نَفَرٌ من قريش فيهم أبو جَهْل بن هشام فخرجت إليهم فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ » فقلت « والله لا أدرى أين أبى » . فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشاً خبيثاً ، فلَطَم خَدِّى لَطْمَةً خرج[3] منها قُرْطِى ، ثم انصرفوا ، فمكثنا ثلاثة أيام ما ندرى أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى رجل من الجِنّ من أسفل مكة يتغنّى بأبيات من شعر غناء العرب وتبعه الناس يسمعون صوته وما يَرَوْنَه حتى خرج من أعلا مكة وهو يقول :

---

(١) زيادة من أسد الغابة (حـ ١ ص ٣٧٧) وتساوك أى سار سيرا ضعيفا وتساوكت الماشية أى هزلت حتى تمايلت فى مشيها من الضعف . وفى حديث أم معبد فى النهاية (جـ ٢ ص ١٩٤) فجاء زوجها يسوق أعنزاً عجافا تساوك هزالا وفى رواية ما تساوك هزالا يقال تساوكت الابل إذا اضطربت أعناقها من الهزال أراد أنها تتمايل من ضعفها ويقال أيضا جاءت الإبل ما تساوك إلا هزالا ما تحرك رءوسها . ومخهن قليل أى الودك الذى فى العظم .

(٢) المحفود الذى يخدمه أصحابه ويعظمونه ويسرعون فى طاعته ، عن النهاية (جـ ١ ص ٢٣٩) .

(٣) فى رواية خرم وفى أخرى طرح منها .

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جزائِهِ[1] رفيقَيْن قالا[2] خَيْمَتَىْ أُمِّ مَعْبَدِ
هما نَزَلا بالبرِّ[3] وارْتَحَلا به فأفلح من أَمْسَى رفيقَ مُحَمَّدِ
فَيَالَقُصَىٍّ ما زَوَى[4] اللهُ عَنْكُمُ به من فَعالٍ[5] لا تُجَارَى[6] وسُؤْدَدِ
لِيَهْنِ بنى كَعْبٍ مَقَامَ[7] فتاتِهم وَمَقْعَدها للمؤمنين بِمَرْصَدِ[8]
سَلُوا أُخْتَكُمْ عن شاتها وإنائها فَإِنَّكُمُ إن تسألوا الشاةَ[9] تَشْهَدِ
دعاها بشاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّبَتْ له بصريحٍ ضَرَّةُ الشَّاةِ[10] مُزْبِدِ
فغادَرَها رَهْناً لديها لحالبٍ يُرَدِّدُها[11] فى مَصْدَرٍ ثم مَوْرِدِ

فلما سمع ذلك حَسَّان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه قال يجاوب الهاتف :

لقد خَابَ قَوْمٌ غاب عنهم نَبِيُّهُمْ وقُدِّسَ من يسرى إليه ويَغْتَدِى[12]
تَرَحَّلَ عن قَوْمٍ فَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ وحَلَّ على قَوْمٍ بنورٍ مُجَدَّدِ
هَدَاهُمْ به بعد الضَّلَالَةِ رَبُّهُمْ وأَرْشَدَهُمْ من يَتْبَعِ الحَقَّ يُرْشَدِ
وهل يَسْتَوِى ضُلَّالُ قَوْمٍ تَسَفَّهُوا عَمًى وهُدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمُهْتَدِ[13]
لقد نَزَلَتْ منه على أَهْلِ يَثْرِبٍ رِكَابُ هُدًى حَلَّتْ عليهم بِأَسْعُدِ
نَبِيٌّ يَرَى ما لا يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ ويَتْلُو كِتَابَ اللهِ فى كُلِّ مَسْجِدِ

---

(١) فى رواية أبى سليط : جزى الله خيرا والجزاء بكفه .
(٢) قالا أى نزلا وقت القيلولة ، وفى رواية حلا .
(٣) فى الأصول : بالهدى وأثبتنا رواية ابن سعد وابن الأثير والنويرى وفى الخشنى :
هما نزلاها بالهدى فاهتدت به فقد فاز من أمسى رفيق محمد
وفى شرح المواهب هما رحلا بالحق وانتزلا به . وفى رواية هما نزلا بالهدى واغتدوا به .
(٤) زوى أى جمع وقبض .
(٥) فى شرح المواهب قال البرهان وتبعه الشامى مؤلف هذا الكتاب : الظاهر بفتح الفاء وخفة العين وهو الكرم .
(٦) وفى رواية لا تجازى بالزاى بدلا من الراء . كما أن عجز هذا البيت فى الديوان : به من فخار لا يبارى وسؤدد .
(٧) فى ت وم : مكان وفى ط والديوان والخشنى مقام .
(٨) أى مقعدها بمكان ترقب المؤمنين فيه لتواسيهم .
(٩) فى الأصول : « إن تسألوا الناس وأثبتنا رواية ديوان حسان والخشنى وابن الأثير فى أسد الغابة (جـ١ ص٣٧٧)
(١٠) الصريح اللبن الخالص لم يخلط ، والضرة : أصل الضرع .
(١١) فى نهاية الأرب للنويرى (جـ ١٦ ص ٣٣٧) . تدر بها بدلا من يرددها .
(١٢) فى الأصول زال بدلا من غاب وأثبتنا رواية الديوان .
(١٣) فى الخشنى وهاذ به نال الهدى كل مهتد .

وإن قال فى يَوْمٍ مَقَالَةَ غائِبٍ فتصديقُها فى اليَوْم أو فى ضُحَى الغَدِ
لِيَهْنِ أبا بَكْرٍ سَعَادَةُ جَـــدِّهِ بِصُحْبَتِهِ من يُسْعِدِ اللهُ يَسْعَـدِ

قِصَّة سُراقة رضى الله عنه

روى الإمام أحمد ويعقوب بن سفيان والشيخان عن سُرَاقة بن مالك رضى الله عنه ، والإمام أحمد والشيخان ويعقوب عن أبى بكر رضى الله عنه قال سُرَاقة بن جُعْشُم : جاءنا رُسُل كُفَّار قريش يجعلون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر دِيَةَ كُلٍّ واحد مِنْهُما مائة ناقة من الإبل لمن قَتَله أو أَسَره ، فبينا أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مُدْلِج[1] أقبل رجل منهم حتى قام علينا [ونحن جلوس][2] فقال : يا سُرَاقة إنى قد رأيت آنفاً أَسْوِدَةً[3] بالساحل - وفى لفظ : رَكَبَةً[4] ثلاثة - أَرَاها محمداً وأَصْحابه . قال سراقة : فعَرَفْتُ أنهم هم ، فأَومأت إليه بعينى أن اسْكُتْ ، فسَكَتَ ، ثم قلت له : إنهم ليسوا بهم ولكنك رأَيْتَ فلاناً / وفلاناً انطلقوا يبتغون ضَالَّةً لهم . ثم لَبِثْتُ فى المجلس ثم قُمْتُ فدَخَلْتُ بَيْتى فأَمَرْتُ جاريتِى أن تَخْرُجَ بفرسى وهى من وراء أَكَمَة فَتَحْبسها عَلَىَّ ، وأَخذتُ رُمْحِى فخرجتُ به من ظَهْر البيت فَخَطَطْتُ[5] بزُجِّه[6] الأَرْضَ وخَفَضْتُ عالِيَه حتى أَتيتُ فرسى فَرَكِبْتُها ، فرفَعْتُها تُقَرِّبُ بى حتى رأَيتُ أَسْوِدَتَهُما ، فلما دَنَوْتُ منهم عَثَرَتْ بى فَرَسِى فَخَرَرْتُ عنها فقُمْتُ فأَهْوَيْتُ بيدى إلى كِنَانَتِى فاستخرجتُ

---

(١) نسب سراقة كما ساقه ابن الأثير فى أسد الغابة (ج ٢ ص ٢٦٤) هو : سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك ابن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكنانى المدلجى .يكنى أبا سفيان . هذا وقد توفى سراقة فى سنة ٢٤ هـ .

(٢) زيادة من صحيح البخارى .

(٣) أسودة هى أشخاص جمع سواد كأزمنة جمع زمان .

(٤) فى الصحاح الركب أصحاب الإبل فى السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها والجمع أركب والركبة بالتحريك أقل من الركب .

(٥) كذا رواية الكشميهنى ، ورواية غيره فخططت بالخاء المعجمة .

(٦) الزج الحديدة التى فى أسفل الرمح والجمع زججة وزجاج قاله الجوهرى فى الصحاح .

منها الأزلام فاستقسمتُ[1] بها أَضُرُّهُمْ ، أم لا أَضُرُّهُمْ ، فخرج الذى أكره : أنى لا أَضُرُّهُمْ ، وكنت أرجو أن أَرُدَّه فآخذ المائة ناقة ، فركِبْتُ فَرَسى وعَصَيْتُ الأزلام فرفعتها تُقَرِّب بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يُكْثِر الالتفات ساخت يدا فَرَسى فى الأرض حتى بَلَغت الرُّكْبَتَيْن فَخَرَرْتُ عنها ، ثم زَجَرْتُها فنَهَضَتْ فلم تَكَدْ تُخْرِج يَدَيْهَا فلما استوت قائمة إذا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَان[2] ساطعٌ فى السماء مثل الدُّخَان فاسْتَقْسَمْتُ بالأزلام فخرج الذى أكره - ألا أَضُرُّهُمْ - قال : فعَرَفْتُ حين رأيتُ ذلك أنه قد مُنِع منى وأنه ظاهر ، فناديتهم . . . : أنظِرونى فوالله لا آذيتكم ولا يأتيكم منى شىء تكرهونه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : « قُلْ له وما تبتغى منا ؟ » فقلت : إن قَوْمَك قد جعلوا فيكما الدِّيَة وأخبرتهما أخبار ما يريد الناس بهم وعَرَضْتُ عليهم الزاد والمتاع فلم يَرْزآنى شيئا ولم يسألانى إلا أن قال : « أَخْفِ عَنَّا »[3] فسألتُه أن يكتب لى كتاب موادعة[4] آمَنُ به ، قال : « اكتب له يا أبابكر » - وفى رواية : فأمر عامر بن فُهَيْرَة فكتب فى رقعة من أديم ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

[ثم رجعت][5] فسَكَتُّ فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفَرَغ من حُنَيْن والطائف خرجتُ لألقاه ومعى الكتاب الذى كتب لى [فلَقِيتُه بالجِعْرانة[5]] . قال : « فبينا أنا عامِدٌ له دخلت بين ظَهْرَىْ كتيبة من

---

(١) فى النهاية (ج ٣ ص ٢٥٤) الاستقسام طلب القسم الذى قسم له وقدر مما لم يقسم ولم يقدر وهو استفعال منه وكانوا (فى الجاهلية) إذا أراد أحدهم سفرا أو تزويجا أو نحو ذلك من المهام ضرب بالأزلام وهى القداح (جمع قدح) وكان على بعضها مكتوب أمرنى ربى وعلى الآخر نهانى ربى وعلى الآخر غفل فإن خرج ، أمرنى ربى مضى لشأنه، وإن خرج نهانى أمسك وإن خرج الغفل عاد فأحالها إلى أن يخرج الأمر أو النهى .

(٢) فى الأصول : غبار والتصويب من صحيح البخارى (ج ٥ ص ١٥٨) . وفى حديث الهجرة وسراقة فى النهاية (ج ٣ ص ٦٩) : وخرجت قوائم دابته ولها عثان أى دخان وجمعه عواثن على غير قياس . وفى حديث مسيلمة لما أراد الإعراس بسجاح قال عثنوا لها أى بخروا لها البخور .

(٣) فى الأصول خفف عنا وأثبتنا رواية البخارى .

(٤) رواية ابن إسحق كما أوردها ابن هشام : تكتب لى كتابا يكون آية بينى وبينك .

(٥) زيادة من ابن هشام ج ٢ ص ١٠٣ و ١٠٤ . والجعرانة بتخفيف الراء أو بتشديدها كما فى معجم البكرى (ج ٢ ص ٣٨٤) هى ماء بين الطائف ومكة وهى إلى مكة أدنى .

كتائب الأنصار ، فطَفِقُوا يقرعوننى بالرماح ويقولون : إليك إليك حتى إذا دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، والله لكأنى أنظر إلى ساقه فى غَرْزِه[1] كأنها جُمَّارة[2] . قال : فرفعتُ يدى بالكتاب . ثم قلت : يا رسول الله هذا كتابُك لى وأنا سُراقة بن مالك قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَوْمُ وفاءٍ وبِرٍّ أُدْنُهُ » ، فدنوت منه فأسلمت ، ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فما أذكره ، إلا أنى قلت : يا رسول الله الضَّالَّة من الإبل تَغْشَى حياضى وقد مَلَأْتُها لإبلى هل لى من أجر [فى أن أسقيها[3]] ؟ قال : « نعم فى كل ذات كَبِدٍ حَرَّى أجر[4] » قال : ثم رجعت إلى قومى فسُقْتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتى .

ولما / شارف رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لقيه أبو عبد الله بُرَيْدَة بن الحُصَيْب[5] الأسلمى فى سبعين من قومه من بنى سَهْم ، فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : « من أنت ؟ » قال : بُرَيْدَة : فقال لأبى بكر : « برد أَمْرُنَا وصَلُح » . ثم قال : « مِمَّنْ ؟ » قال : من أسلم . فقال لأبى بكر : « سَلِمْنَا » . ثم قال : « مِنْ بَنِى مَنْ ؟ » قال : من بنى سهم . قال : خَرَج سَهْمُك [يا أبا بكر » . فقال بُرَيْدَة للنبى صلى الله عليه وسلم : من أنت ؟ قال : « أنا محمد بن عبد الله رسول الله » . فقال بُرَيْدَة : أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فأسلم بُرَيْدَة وأسلم من كان معه جميعاً . قال بُرَيْدَة : الحمد لله الذى أسلم بنو سَهْم طائعين غير مُكْرَهِين] ، فلما أصبح قال بُرَيْدَة للنبى صلى الله عليه وسلم وسلم : « يا رسول الله لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء » . فَحَلَّ عمامته ثم شَدَّها فى زُمْح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة .

---

(١) فى النهاية (ج٣ ص١٥٨) كان إذا وضع رجله فى الغرز يريد السفر يقول : بسم الله . الغرز ركاب كور الجمل : إذا كان من جلد أو خشب ، وقيل هو الكور مطلقا مثل الركاب للسرج .

(٢) الجمارة قلب النخلة وشحمتها شبه ساقه ببياضها . قاله فى النهاية (ج ١ ص ١٧٥) .

(٣) زيادة من ابن هشام (ج ٢ ص ١٠٤) .

(٤) أخرجه البخارى فى كتاب الأدب باب رحمة الناس بالبهائم (ج ٨ ص ١٦) بلفظ : فى كل ذات كبد رطبة أجر .

(٥) فى الأصول : أبو بردة الأسلمى والتصويب من أسد الغابة (ج ١ ص ١٧٥) والإصابة (ج ١ ص ١٥١) يكنى أبا عبد الله ونسبه كما ساقه ابن الأثير . بريدة بن الحصيب – على صورة التصغير بحاء مهملة – ابن عبد الله بن الحارث ابن سعد .. الأسلمى وأخبار بريدة كثيرة ومناقبه مشهورة وذكر قصة إسلامه هو وقومه الديار بكرى فى تاريخ الخميس (ج ١ ص ٣٣٥) والزرقانى فى شرحه على المواهب (ج ١ ص ٣٤٩ : ٣٥٠) .

العروة الوثقى

الاستاذ أحمد فهمي خطاب

« قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها » .
صدق الله العظيم

الدين عند الاهنا الاسلام ... من عهد آدم .. والنبى ختام
هو .. شرعة الرحمن جل جلاله ... فيه الهدى والعز والاكرام
هو .. منهج للخير .. عز نصيره ... وبه .. تسود عدالة وسلام
من يبتغ دينا سواه .. فخاسر ... دنياه .. والأخرى عليه ظلام
للشعب والحكام .. تحت لوائه ... ظل وريف .. مده العلام
قد وثق الدين المتين عراهم ... والعروة الوثقى .. هى الاسلام

* * *

دين على التقوى .. يقوم عماده ... سيان فيه العرب والأعجام
والفضل للتقوى .. وللعلم الذى ... يمحى به الاظلام والاعتام
والعلم فى الاسلام من أركانه ... بل انه أس له ودعام
بالعلم والايمان .. دولته سمت ... وزكت بها الأصلاب والأرحام
بالعلم والعلماء .. تنهض أمة ... دستورها القرآن .. وهو امام

* * *

حرية الآراء فيه .. عقيدة ... وشريعة .. بهما الأنام أنام
والرأى .. أهل الذكر هم أربابه ... والرأى بعد مشورة .. الزام
والعالمون .. لرأيهم أقداره ... تثرى به الأفكار والأفهام
لا رأى للجهلاء .. أو أهل الهوى ... رأى الجهالة .. مبدأ هدام
لا خير فى رأى يباع ويشترى ... أو يفتريه الحاكم الظلام

* * *

والحكم .. حكم الله جل جلاله ... وبغيره .. لا يفلح الحكام
لا يرتضى الاسلام الا حاكما ... يأتى به الأعلام لا الأقزام
بالانتخاب الحر .. دون تجانف ... حتى تقوم حكومة ونظام
وحكومة الاسلام خير حكومة ... أقطابها العلماء والأعلام
الحكم فيها .. بالكتاب وسنة ... بهما الهدى والنور والالهام

* * *

يا مسلمون .. تمسكوا بالعروة ... الوثقى .. ولا يثنيكم الاحجام
أحجام من خالوا حبال ضلالهم ... تسعى .. وسعى حبالهم أوهام
الكفر بالطاغوت يهدم هيكلا ... أربابه الأوثان والأصنام
والكفر بالطاغوت يهزم جحفلا ... قواده الأنصاب والأزلام
والله ينصر من يثوب لدينه ... وجوار مصحفه .. يقوم حسام !!

الهجرة

إصرار على الحق

ونختم باب الشباب بقصيدة للشاعر عبد الغنى أحمد ناجى يتحدث فيها عن الهجرة وانها اصرار على الحق ..

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نورا برسالته قشع به ظلام الشرك . ولكن ظلام الشرك يأبى دائما ان ينتشر الهدى والضياء والله متم نوره ولو كره الكافرون .

صلى الله عليك ياخير الورى ..

النور يبزغ قاشع الدلجات ... والحق يسطع كاشف الحيرات
فالنور كان محمدا برسالة ... قشعت ظلام الشرك من حيوات
والحق دين قيم ، وهداية ... لفلاحنا دنيا ، وبعد ممات
لكن ظلام الشرك يأبى للهدى ... نشر الضياء على دجى وسبات
ان الذين قلوبهم قد اغلقت ... دون الهدى خدعوا بزيف « مناة »
حجر أصم الههم ، وملاذهم ... هم يضرعون اليه فى الكربات
طمس الضلال قلوبهم وعقولهم ... حين اللجوء بجهلهم « للات »
أعمى الضلال عيونهم ، لم يبصروا ... نور الاله يشع فى الفلوات
فسعوا الى قتل النبى ونوره ... يا خسرهم من ملحدين طغاة
أما الألى صحبوا النبى وهديه ... أكرم بهم من مؤمنين هداة
وقفوا تجاه الكفر طورا شامخا ... أنعم بهم من مفتدين حماة
فقد افتدوا دين الاله بهجرة ... فالدين أغلى من غنى وحياة
خرج النبى مهاجرا وصديقه ... ورقى عيون الكفر بالحصوات
أغشى الاله عيونهم لم يبصروا ... نور النبى مهاجرا بثبات
والتضحيات يرونها بسريره ... فعليه نام فتى أخو العزمات
والغار كان ملاذ خير مهاجر ... معه الصديق الحق فى الأزمات
والكفر جن جنونه من هجرة ... للحق .. كيف يتيه بالافلات ؟ !
أرصادهم لم تغنهم ، وشبابهم ... ناموا ، فقل حسبوا من الأموات
والباحثون عن النبى وصحبه ... رجعوا بغيظ باعث الحسرات
فالغار يحرسه الاله بجنده ... فحمامة رقدت على بيضات
والعنكبوت بنسجه أقوى من ... القضبان والأجناد ، والقوات
ان الألى قد هاجروا بعقيدة ... كى يحفظوها من عدا وبغاة
هم أشجع الفرسان فى عرف الألى ... فقهوا الأمور على مدى الأوقات
ان الثبات على الهدى لشجاعة ... كشجاعة الصولان فى الحومات
هذا الثبات هو الذى حفظ الهدى ... ليضىء درب الناس عبر حياة
صلى عليك الله يا خير الورى ... فلقد صمدت ، وكنت خير هداة
فادع الاله لأمة التوحيد أن ... تسعى لضم الشمل بعد شتات

الإسلام و الشعر و الشعراء

للدكتور مصطفى الشورى

الاسلام والشعر :

يدعى بعض الباحثين أن الشعر العربى قد ضعف فى صدر الاسلام ، وأن القرآن الكريم قد أخرس ألسنتهم حتى لم نعد تنطق به ، فابن سلام يقول : « جاء الاسلام فتشاغلت العرب عن الشعر ، تشاغلوا عنه بالجهاد وغزو فارس والروم ، ولهيت عن الشعر وروايته »(١) .

وهذا القول الذى يجانب الصواب لم يقتصر على ابن سلام وحده ، وانما تابعه فيه كثير من الدارسين حتى أصبح عصر صدر الاسلام لدى بعضهم عصر ركود أدبى ، ولدى بعض المعتدلين عصر هدوء أدبى . يقول ابن خلدون : « انصرف العرب عن الشعر أول الاسلام بما شغلهم من أمر الدين والنبوة والوحى ، وما أدهشهم فى أسلوب القرآن ونظمه ، فأخرسوا عن ذلك ، وسكتوا عن الخوض فى النظم والنثر زمانا(٢) » .

والحقيقة أن الاسلام لم يحمل العرب على الانشغال عن الشعر ، لأنه لم يكن له أن يريد هذا الأمر مع ما للشعر من سلطان على نفوس العرب ذلك « أنه علم قوم لم يكن لهم علم غيره »(٣) .

وكل ما أراده القرآن أن يغير مهمة الشعر فى حياة العرب ، وتزويده بقيم وأهداف جديدة تتفق وطبيعة الفكرة الاسلامية ، ولهذا حمل الاسلام حملة شعواء على هؤلاء الشعراء الذين يهيمون على وجوههم ، فلا يهتدون الى الحق والذين يقولون بألسنتهم مالا يلتزمونه فى أعمالهم ، وتجلت هذه الحملة فى سورة الشعراء ، ولم يستثن منهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا ، قال تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون »(٤) .

---

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى تحقيق محمود محمد شاكر ، مطبعة المدنى ١٩٧٤ — ١٠

(٢) مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن خلدون ، دار الشعب بمصر ٥٤٧

(٣) طبقات فحول الشعراء ١٠ والعمدة لابن رشيق تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد — الطبقة الثانية ١٩٥٥ — ١ : ٩

(٤) سورة الشعراء ٢٢٤ — ٢٢٧

ويحضرنى هنا ماقاله أبو هلال العسكرى تعليقا طلى هذه الآيات : « واستثناء الله عز وجل فى أمر الشعراء يدل على أن المذموم من الشعر انما هو المعدول من جهة الصواب الى الخطأ والمصروف من جهة الانصاف والعدل الى الظلم والجور ، واذا ارتفعت هذه الصفات ارتفع الذم، ولو كان الذم لازما لكونه شعر لما جاز أن يزول على حال من الأحوال(١) » .

وهكذا يتضح جليا موقف الاسلام من الشعر، فقد أراد للشعر أن يتحول من الهية تتلهى بها طبقة معينة من الناس الى وسيلة نافعة تكون فى خدمة المسلمين وتكون بمثابة طاقة نفسية تخدم هذه الجماعة وتعمل فى سبيل غاياتها ومثلها .

اذن كان على الشعر أن يطرح مفهومه القديم وأن يتقيد بقيم معينة فرضها الدين الجديد ، وأن يستهدف غاياته الرفيعة اذا أراد أن يكون له وجود فى هذه الحياة الجديدة ، والا كان من الخير أن يصمت ، « ومادامت الحياة العربية بجميع مظاهرها قد تعرضت للتغيير ، فان الشعر أصبح فاقدا لكل قيمة اذا لم يتجاوب معها فيصورها من كافة أقطارها فى ظلال القيم الجديدة التى أصابت حياة الناس بالتغيير . والاسلام فضلا عن كونه رسالة ليس الا نمطا من أنماط الحياة والسلوك ، وأسلوبا من أساليب التفكير، ولابد له من أن يترك آثاره على الحياة الفنية(٢)» .

كان للصراع بين الدين الجديد وأعدائه من المشركين أثر كبير فى تأكيد قيمة الشعروالشعراء، وتحديد مهمتهم فى تثبيت دعائم الفكرةالاسلامية، ودحض افتراءات أعدائهم ، فقد انطلق مشركو مكة يغرون شعراءهم بالاسلام والمسلمين ، وكان لزاما أن يخوض الشعر الاسلامى معركة عنيفة ضد أعداء الاسلام ، فندب النبى صلى الله عليه وسلم الشعراء وأهاجهم واستحثهم ، وكان ينتشى لمنافحتهم ويدعو لهم(٣) . وهذا يعنى تقدير النبى لخطر الشعر وقيمته .

وتجلى ايضا تقدير النبى صلى الله عليهوسلم للشعر فيما خلعه على الشعراء الذين تقيدوا بالقيم الاسلامية وما حباهم به من عطفه ، كما يتجلى فى موقفه من شعراء قريش الذين بلغت قسوتهم بالحملة عليه وعلى الاسلام حدا أهدر دمهم وقتل بعضهم فعلا(٤) .

وكان النبى يثنى على الشعراء المسلمين ، ويشد من أزرهم ، ويشجعهم على الاستمرار فى النضال ، وقال فى حقهم : « هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل » (٥) وكثيرا ما خص حسان بن ثابت بالعناية والرعاية ، وكان يقول له : اهج المشركين ، فان روح القدس معك ، وقال له أيضا : « ان روح القدس لا يزال يؤيدك مانافحت عن الله ورسوله » (٦) . ومما قاله لحسان كذلك : « هيج الغطاريف على بنى عبد مناف ، والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام فى غبش الظلام » (٧) .

وظل الشعر سهاما يتداولها المتحاربون فى كل معارك الاسلام الأولى ، فحين انهزم المشركون فى موقعة الأحزاب قال الرسول : « ان المشركين لن يغزوكم بعد اليوم ، ولكنكم تغزونهم ، وتسمعون منهم أذى ويهجونكم ، فمن يحمى أعراض المسلمين(٨) ؟ فنهض اليه شعراء المسلمين ، وقاموا بتلك المهمة خير قيام ، مهتدين بقوله صلى الله عليه وسلم : « قولوا لهم مثل ما يقولون لكم »(٩) .

وقد أباح الرسول نظم الشعر ، وكان يجالس الشعراء ويستمع اليهم ، وكان يستنشدالصحابة أشعار الجاهليين ، ويستمع معهم الى ذلك ، فقد روى أنه استنشدهم شعر قيس بن الخطيم ، فانشدوه بعض شعره »(١٠) .

موقف الاسلام من الشعر :

لم يقف الاسلام اذن من الشعر موقفا عدائيا، ولم يحاول أن يحمل العرب على الانشغال عنه، « فلم يكن من هدف الدين الاسلامى ، ولا من هدف

---

(١) الصناعتين طبعة ليدن ١٣٢١ هـ ١٣٢

(٢) شعر الفتوح الاسلامية فى صدر الاسلام للدكتور النعمان القاضى ١٧١

(٣) انظر العمدة لابن رشيق ١ : ١٦

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام طبعة البابىالحلبى ١٩٥٥ — ٢ : ٦٣٦ والعمدة ١ : ٢٣ وتاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبرى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم — دار المعارف بالقاهرة ٣٠ : ٥٩

(٥) العمدة ١ : ٣١

(٦) صحيح الجامع الصغير للسيوطى — منشوراتالمكتب الاسلامى ببيروت ٢ : ٢٠٩ ، ٣٣٩

(٧) البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون . مصر ١٩٤٨ — ١ : ٢٧٣

(٨) الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى طبعة دار الكتب المصرية ١٦ : ٢٣٢

(٩) العقد الفريد لابن عبد ربه — لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٩٥٦ — ٦ : ١٥٤

(١٠) الأغانى ٣ : ٧

رسوله فى شىء أن يحول بين العرب وبين الشعر، وانما كان الهدف أن يوضع الشعر موضعه وأن يخطط له بما يجعله ذا قيمة مؤثرة فى حياة المسلمين لما كان يدركه من عمق الصلة بين حياة العرب وبينه ، ومن ثم فقد آثر أن يحول عن وجهته الجاهلية الى هذا الأفق الجديد . فحرض الشعراء وأغراضهم على السير فيه ، ودعا لهم، بينما ضرب على أيدى الشعراء الذين ظلوا يعيشون بمفاهيم جاهلية ، يتخذون منها وسيلة لمحاربة الاسلام والتنفير منه واثارة الفتن والعصبيات ، وايذاء النفوس ، واشاعة البغضاء بين المسلمين »(١) .

وكان طبيعيا أن يخفت صوت الشعراء وان لم يصمت ، فقد ظل الشعراء المسلمون يقومون برسالتهم فى رد سهام المشركين وحماية العقيدة ونصرتها ، « خفت صوت الشعر أمام المثل الاسلامية الجديدة التى تختلف تمام الاختلاف عن المثل الجاهلية التى اعتاد الشعر تصويرها والتحدث عنها ، وفقد الآن حرية التعامل بقيمها وبصورها وبألوانها وبأجوائها ، وفقدت هى من جانب آخر طلاوتها لأنها لم تعد ذكريات ؟ عزيزة فى تكوين الشعر والجماعة الجديدة داخل اطارها الجديد وانظلت جزءا منماضيه يأنف منهويزدريه. ووجد الناس ما ينشدون من هذه المثل الاسلامية فى القرآن الكريم وادمان القراءة فيه وتفهمه ، وازداد صوت الشعر خفوتا عندما أخذ اهتمام الناس ينتقل من قراءة القرآن وتفهمه ككتاب مقدس للدعوة الاسلامية الى كتاب أدبى يفوق بروعته وبيانه ما ورثوه من تليد الشعر ، ويتجاوز سحره طاقة البشر »(٢) .

حقيقة شغل المسلمون عن الشعر كما ذكر ابن سلام ، ولكن لم يكن سبب ذلك الجهاد وغزو فارس والروم ، وانما كان نتيجة محاولة الاسلام تغيير مفاهيم الشعر وتعاليمه ومثله ، وأن الشعر عجز عن أن يقدم للناس ما وجدوه فى القرآن فخفت صوته .

ولقد كان غزو فارس والروم والفتوحات الاسلامية متنفسا للعرب المفطورين علىالفروسية والنجدة والشجاعة ، فزادوا عن العقيدة وبذلوا الأرواح رخيصة فى سبيلها ، كذلك فقد أذكت هذه الفتوح جذوة الشعر العربية واطلقت الألسنة من عقالها ، وفتحت أمام الشعراء مجالاتواسعة للحديث ، ووضعت أمامهم مواقف شبيهة بالمواقف التى ألفوها فى الجاهلية وان اختلف الهدف بين المواقف اختلافا شاسعا .

أثر الاسلام فى الشعراء :

لم يكن من اليسير أن تتغير مفاهيم الشعر وقيمه بين ليلة وضحاها ، فهذه القيم قد رافقت الشعر أجيالا طويلة ، وليس فى الامكان طرحها دفعة واحدة ، واستبدالها بقيم اسلامية تحل محلها ، وانما احتاج الأمر الى وقت تتخلص فيه الحياة تدريجيا من رواسب الماضى بحيث تتأصل هذه القيم الجديدة فى النفوس رويدا رويدا .

واختلف تأثر الشعراء الذين أدركهم الاسلام فى معانيهم وفى أساليبهم لاختلاف بيئاتهمالشعرية، وتبعا لمبلغ أتصالهم بالاسلام ، وتأثرهم به ، ومدى خضوعهم لحوادثه ، وتغلغل روحه فيهم . وحاول بعضهم أن يفيد منه فى معانيه وأسلوبه .

أما شعراء قريش المشركون فحافظوا على الطابع الجاهلى ، وهذا أمر طبيعى ، فهم لم يقروا بالاسلام ، ولم يعترفوا بنبيه ، بل رأوا فى الدين الجديد تهديدا لعقيدتهم الجاهلية ، فقاموا يهاجمونه ويعرضون به ، ويدافعون عن أحسابهم وأنسابهم ومكاسبهم ، فبرز فى شعرهم العداء الشديد للنبى والمسلمين ، كما برز فيه التعصب القبلى . على أن هذا لا يعنى أنهم لم يذكروا الاسلام ، ولم يتأثروا به ، فان طبيعة الصراع القائم قد دفعتهم الى ذلك دفعا ، فاضطروا الى معرفة مفاهيمه وأفكاره ليتمكنوا من الرد على دعاته وحامليه ، وليستطيعوا مهاجمته فى أفكاره ، وليبينوا تمسكهم بالقيم الجاهلية لأنها مهددة ، فأبو بكر بن شعوب الليثى — وهو شداد ابن الأسود — يهاجم العقيدة الاسلامية وينكر البعث عندما يقول(٣) :

يخبرنا الرسول بأن سنحيا
وكيف حياة أصداء وهام

كذلك حافظ شعر القبائل على طابعه الجاهلى، وحمل ما يحمل الشعر الجاهلى من خصائص وسمات ، فلم يظهر تأثير الاسلام فى أفكارهم وعواطفهم ، كأن أحوالهم ما تغيرت منذ انتهاء عصر الجاهلية . فأهل البادية كانوا من أبعد

---

(١) الأغانى ١٩ : ٩

(٢) شعر الفتوح الاسلامية فى صدر الاسلام للدكتور النعمان القاضى ١٧٢

(٣) السيرة لابن هشام ٢ : ٢٩

الناس عن روح الاسلام ، ولا ميل لهم الى تأمل أمور الدين وفهمها ، فصعب دخول الايمان فى قلوبهم . وظل شعر القبائل معزولا عن الحياة الاسلامية الى حين ، لأنه كان بعيدا عن أرض المعركة فلم يساهم فيها الا بقدر يسير .

ومهما يكن من أمر فان المحافظة على الطابع الجاهلى كانت ظاهرة عامة فى شعر هذه الفترة، وأول ما يلفت النظر الى ذلك تلك المطالع التى درج عليها شعراء الجاهلية ، ومرنوا على استعمالها ، وأصبحت تقليدا متبعا لا سبيل الى هجره ، فقد برزت هذه المطالع عند بعض الشعراء فى هذه الفترة،فهذا عبد الله بن الزبعرى يوم الخندق يذكر زحف جيش الأحزاب على المدينة ، ولكنه يقف قبل ذلك على الديار فيقول(١):

حتى الديار محا معارف رسمها
طول البلى وتراوح الأحقاب
فكأنما كتب اليهود رسومها
الا الكنيف ومعقد الأطناب

قفزا كأنك لم تكن تلهوا بها
فى نعمة بأوانس أتراب
فاترك تذكر ما مضى من عيشة
ومحلة خلق المقام يباب

ولئن وقف عبد الله على الديار يوم الخندق، يندب حاضرها ، ويذكر ماضيها ، ولئن جعل يفخر ويعتز بقومه ، لقد وقف عليها حسان بن ثابت من قبله يوم احد ، يغمره الحزن والأسى على مقتل حمزة بن عبد المطلب فقال(٢) :

أتعرف الدار عفا رسمها
بعدك صوب المسبل الهاطل
بين السراديح فادمانة
فمدفع الروحاء فى حائل

ساءلتها عن ذاك فاستعجمت
لم تدر ما مرجوعة السائل
دع عنك دارا قد عفا رسمها
وابك على حمزة ذى النائل

وكما قدم حسان لقصيدته ، قدم لها كعب بن مالك ايضا ، الا أن حسانا صدرها بذكر الأطلال والديار ، أما كعب فقد استهلها ببيتين من الغزل التقليدى مع أنها فى رثاء حمزة ايضا ، وذلك حيث يقول(٣) :

طرقت همومك فالرقاد مسهد
وجزعت أن سلخ الشباب الأغيد
ودعت فؤادك للهوى ضمرية
فهواك غورى وصحوك منجد

ولكن هذا الطابع الجاهلى عند المسلمين لم يكن فى السنوات الأولى للصراع فحسب ، وانما امتد أثره الى يوم الفتح ، فعندما وقف حسان بن ثابت يحتفل بالنصر المؤزر على المشركين ، لم ير مايمنع الوقوف على الديار القفرة وذكر شعثاء ، تلك المرأة التى تيمته ، فيقول(٤) :

عفت ذات الأصابع فالجواء
الى عذراء منزلها خلاء
ديار من بنى الحسحاس قفر
تعفيها الروامس والسماء

فدع هذا ، ولكن من لطيف
يؤرقنى اذا ذهب العشاء
لشعثاء التى قد تيمته
فليس لقلبه منها شفاء

ولم يكد ينتهى من وقوفه على الديار ، ويفرغ من أمر شعثاء حتى مضى الى وصف الخمر ومشربها فقال(٥) :

كأن خبيئة من بيت رأس
يكون مزاجها عسل وماء
اذا ما الأشربات ذكرن يوما
فهن لطيب الراح الفداء

نوليها الملامة ان المنا
اذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا
واسد ما ينهنهنا اللقاء

وليس هذا فحسب ، بل مضى شعراء تلك الفترة الى ذكر سفينتهم المفضلة التى تمخر عباب الصحراء الواسعة المخيفة متى أرادوا وانى شاءوا، كما كان شأن أسلافهم الجاهليين ، على الرغم من اسلامهم ، ووجود الأفكار والمعانى الكثيرة التى جاء بها الاسلام . وكان كعب بن زهير وغيره من شعراء القبائل أكثر هؤلاء الشعراء احتفالا بالناقة ، فهو لم ينس ذكرها حتى فى مديحه

(١) اسيرة لابن هشام ٢ : ٢٥٧
(٢) السيرة لابن هشام ٢ : ١٥٥
(٣) السيرة لابن هشام ٢ : ١٥٧

(٤) السيرة لابن هشام ٢ : ٤٢١ — ٤٢٢
(٥) روى صاحب الاستيعاب أن حسانا قال صدر هذه القصيدة فى الجاهلية ، وقال آخرها فى الاسلام ، وأن هذا البيت قد قاله فى الجاهلية . انظر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر القرطبى — المطبعة الشرقية بمصر ١ : ٣٤٤

للرسول الكريم ، فهى وسيلته الوحيدة فى ترحاله، ورفيقته الصابرة فى وعثاء السفر ، واعترافا منه بفضلها ذكرها فأطال واقتطع لها وحدها تسعة عشر بيتا من قصيدته التى مدح بها الرسول(١) . وكذلك فعل النابغة الجعدى فى نفس المناسبة وذكر فرسه أيضا .

ولكننا حين نتعقب شعر الشعراء فى هذه الفترة نجد فيه خيوطا تظهر فى نسيجه من حين الى حين ، فقد تناول الشعر الاسلامى شيئا لم يتناوله الشعر القديم ، وهو المعانى الدينية التى شاعت عند المسلمين ، فحفظ شعرهم الفاظا لم يذكرها من سبقهم من الشعراء ، ولكن تأثر الشعر بالاسلام يختلف باختلاف الشعراء الذين قالوا هذا الشعر ، ولاسيما أنهم كانوا جاهليين فى فنهم وعقليتهم ، مختلفى البيئات ، فشعراء المدينة قد تأثروا بهذه المفاهيم الجديدة لأنهم عاشوا فى بيئة تطبق أحكام الدين الجديد، أضف الى ذلك أن النبى كان يرعى شعراءه ، ويوجههم الوجهة الاسلامية الصحيحة ، وكان الشاعر لا ينسى أن يأتى بمعانى الاسلام السمحة، فكثيرا ماترددت فى شعرهم الفاظ : الوفاء والصدق والصبر وقول السداد وابتغاء رضوان الله . يقول عبد الله بن رواحة(٢) :

رحم الله نافع بن بديل
رحمة المبتغى ثواب الجهاد
صابر صادق وفى اذا ما
أكثر القوم قال قول السداد

ويقول حسان بن ثابت لأبى سفيان بن الحارث قبل فتح مكة(٣) :

هجوت محمدا فاجبت عنه
وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفو
فشركما لخيركما الفداء

فهذه المناقشة المنطقية مستمدة من أسلوب القرآن فى المناقشة ، فقد وضع القرآن الأسس الأولى لطريقة جديدة مستمدة من أصول الدين

(١) جمهرة أشعار العرب للقرشى طبعة دار صادر بيروت ١٩٦٣ — ٢٧٧ .
(٢) السيرة لابن هشام ٢ : ١٨٨
(٣) ديوان حسان بن ثابت تحقيق الدكتور سيد حنفى حسين — القاهرة ١٩٧٤ — ٧٦

أو فروعه ، عندما ناقش المشركين فى عقائدهم ، وكذلك أهل الكتاب أ والمنافقين ممن كان يقف ضد رسالة الاسلام .

ويفخر كعب بن مالك بانتصار المسلمين يوم بدر فيقول(٤) :

ويوم بدر لقيناكم لنا مدد
فيه مع النصر ميكال وجبريل
ان تقتلونا فدين الله فطرتنا
والقتل فى الحق عند الله تفضيل

فهو يفخر بتأييد الملائكة لجند الله وبانتصار المؤمنين الصادقين ، وهذه أفكار جديدة أحدثها الاسلام ، فلم يعد لشاعر يفخر باعلاء كلمة القبيلة أو رفع شأنها ، ولا يكسب الغنم أو سبى الأعداء كما كان يفعل فى الجاهلية .

ويقول حسان(٥) :

الله أكرمنا بنصر نبيه
وبنا أقام دعائم الاسلام
وبنا أعز نبيه ووليه
وأعزنا بالنصر والاقدام
نحن الخيار من البرية كلها
ونظامها وزمام كل زمام

فلم يعد الفخر عند الشاعر بقومه على أساس قبلى ، وانما صار الفخر بقوم الشاعر باعتبارهم أنصار الاسلام ، وحملة دعوته الأوائل، الذين اختارهم الله من بين البرية ، ليقودوا الناس من الظلمات الى النور .

وفى الرثاء تناول الشعراء بعض الأفكار الاسلامية الجديدة ، وتحدثوا بألفاظ جديدة لم تكن تعرفها الجاهلية ، كالتقوى والايمان والخير والبر والرحمة والهداية والنقاء ، وما أكثر المراثى التى قيلت بعد الغزوات والحروب التى دارت رحاها بين المسلمين والمشركين من جهة ، وبين المسلمين والفرس والروم من جهة أخرى .

وتمثل بعض الشعراء روح الاسلام وتوجيهاته عند نزول المصائب ، ووقوع الرزايا ، فوصلت الينا ميراث نحس فيها سماحة الاسلام وروح

(٤) ديوان كعب بن مالك تحقيق سامى مكى العانى — مطبعة المعارف ببغداد ١٩٦٥ — ٢٥٥
(٥) ديوان حسان بن ثابت تحقيق الدكتور سيد حنفى حسين — القاهرة ١٩٧٤ — ١٤٣

الرضا والصبر والطمانينة التى اشاعها الايمان الجديد فى نفوس اتباعه .

الشعر والجهاد فى سبيل الله :

ولأول مرة نجد الشعراء فى ظل ايمانهم بالدين القويم يمجدون الجهاد فى سبيل الله ، اعلاء لكلمة الله عز وجل ومصداقا لقوله سبحانه وتعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله ، فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به »(١) .

فعندما خرج المسلمون يجاهدون فى سبيل الله، ويجدون فى طلب الشهادة ، يحاربون أعداء الله وهم يعلمون أن فى استشهادهم الفوز بأسمى المراتب والمنازل فى الحياة الآخرة ، وجدنا أن الشعراء فى رثائهم لمن استشهد يذكرون أجرهم الذى وعدهم الله ، وهو الجنة — يقول حسان ابن ثابت »(٢) .

فان تذكروا قتلى وحمزة فيهم
قتيل ثوى الله وهو مطيع
فان جنان الخلد منزلة بها
وأمر الذى يقضى الأمور سريع
وقتلاكم فى النار أفضل رزقهم
حميم معافى جوفها وضريع

ويردد حسان هذه المعانى فى حديثه عن شهداء المسلمين مصورا حسن جزائهم ، جنة طيبة ، خالدين فيها مع الصالحين الأبرار ، يقول فى رثاء خبيب بن عدى الأنصارى(٣) :

فاذهب حبيب جزاك الله طيبة
وجنة الخلد عند الحور فى الرفق

وفيه يقول مرددا مثل هذا المعنى السابق(٤):

صبرا خبيب فان القتل مكرمة
الى جنان نعيم يرجع النفس

وحين يرثى حسان الشهداء فانه يفيض بالحديث عن فوزهم برضوان الله عز وجل ، وفى أن الشهادة راحة للمجاهد ، يدعوه الله ليخلد فى الجنة فرحا بما أنعم عليه . ففى رثائه لحمزة بن عبد المطلب حين قدمت بنته المدينة تسأل عن قبر ابيها ومصرعه(٥) :

فقلت لها ان الشهادة راحة
ورضوان رب يا امام غفور
فان أباك الخير حمزة فاعلمى
وزير رسول الله خير وزير
دعاه الله الخلق ذو العرش دعوة
الى جنة يرضى بها وسرور
فذلك ماكنا نرجى ونرتجى
لحمزة يوم الحشر خير مصير

ويصور عبد الله بن رواحة ايمانه القوى بأن الجهاد فى سبيل الله هو غاية ما بعده غاية، ونراه يلهج بالدعاء لله عز وجل أن تأتيه فى ميدان الجهاد طعنة نافذة تحقق حلمه الرشيد ، فيقول فى غزوة مؤتة(٦) :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة
وضربة ذات فرع تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة
بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال اذا مروا على جدثى
أرشده الله من غاز وقد رشدا

ونجده يحدث نفسه أن تختار الاستشهاد فى سبيل الله ، فهو ان لم يقتل فى سبيل الله سيلقى حتفه ، يقول(٧) :

يا نفسى ان لم تقتلى تموتى
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
ان تفعلى فعلهما هديت

فالشاعر فى هذا الموضوع يستمد مادته من المناهل الاسلامية الخالصة ، ويدور فى دائرة اسلامية صرفة قوامها ماجاء فى القرآن الكريم من آيات تحث على الجهاد فى سبيل الله .

وهكذا نرى بوضوح أثر الاسلام فى الشعراء وفى صورهم وأخيلتهم وفى ثقافتهم التى كانوا يودعونها أشعارهم ، وفى الفاظهم وتراكيبهم ومعانيهم ، يقول ابن فارس : « كانت العرب فى جاهليتها على ارث من ارث آبائهم ، فى لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم ، فلما جاء الله — جل ثناؤه — بالاسلام حالت احوال ، ونسخت ديانات وابطلت أمور ، ونقلت من اللغة الفاظ من مواضع الى مواضع أخرى ، بزيادات زيدت، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فعفى الآخر الأول » .

---

(١) سورة التوبة ١١١ .
(٢) ديوان حسان ١٥١
(٣) ديوان حسان ١٦٨
(٤) ديوان حسان ١٣٥
(٥) ديوان حسان ١٠٥
(٦) السيرة لابن هشام ٣ : ٤٢٨
(٧) الصاحبى فى فقه اللغة وسنن العربية لأحمد بن فارس ، تحقيق مصطفى الشويمى ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر — بيروت ١٩٦٣ — ٧٨

استطلاع

حول المسلمين فى أمريكا وكندا

الدكتور محمد بهى الدين سالم

فانهـا رايـة الاسـلام جـامعة
لا فرق فى الدين بين الشـام والصـين

دين هو الحق سـاوى الـكل فى أدب
العبـد كالحـر فى عـدل المـوازين

لا فضـل الا لمـن تقـواه قد رجحت
فللتقـى عطـاء غـير ممنـون

عبد الله شمس الدين

عود على بدء :

الاسلام صالح لـكل زمان ومكان ، ومن يهده الله ـ سبحانه ـ لنور الايمان فقد ظفر بالدنيا والآخرة .

« الله نور السـموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصـباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنهـا كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولاغربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شىء عليم »(النور الآية ٢٥) .

كنت عزيزى القارىء قد تعـرضت خلال الحلقة الأولى من استطلاعى لأحوال المسلمين فى أمريكا وكندا لجانب من جوانب هذا الموضوع الحيوى والهام ، واستكمالا لما بدأته ، كان الحديث مع : عالم مصرى صميم ـ نشأ على ضفاف نيـل مصرنـا الخالدة ، تلقى العلم بمدارسها وجامعاتها ، ثم رحل الى أرض الله الواسعة .... لا طلبا لمال ، ولكن طلبا ـ بالدرجة الأولى ـ للعلم وزيادة معارفه التى يخدم بها مصر وطنه الأم أصـل الحضـارات ، ومهبط الأنبياء والمرسلين يقول سبحانه : يقول سبحانه :

« هو الذى جعل لـكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها ، وكلوا من رزقه واليه النشور » (الملك الآية ١٥) .

ويقول الامام الشافعى ـ رضوان الله عليه :

سـافر تجـد عوضـا عمن تفـارقه
وانصـب فان لذيذ العيش فى النصب

انى رأيت وقـوف المـاء يفسـده
ان سـال طاب وان لم يجر لـم يطب

والشـمس لو وقفت فى الفلك دائمـة
لملهـا النـاس من عجـم ومن عـرب

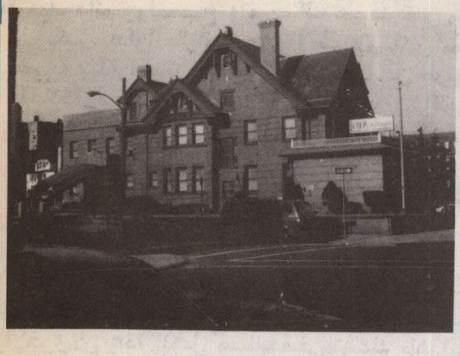

سالت العالم المصرى الدكتور / فاروق الباز مدير متحف سيمنسونيان للطيران والفضاء بواشنطن :

خلال الفترة الطويلة التى تعيشها فى ارض المهجر يجرى فى عروقك حب وطنك الأم مصر ، تفخر بك ، وتفخر بها ... ما هو تصورك عن مستقبل الاسلام فى امريكا وكندا ؟

اجاب بقوله : حقيقة الاجابة على هذا السؤال صعبة .

اولا : ليس هناك تحديد مؤكد لعدد المسلمين فى هذه البقعة الهامة من عالمنا اليوم ، غير أن المركز الاسلامى بلوس انجلوس اخذ المبادرة فى العمل على اقتناء عقل الكترونى لجمع كل المعلومات عن المسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وربما كندا أيضا (التعداد — الجنسيات — المذاهب — المراكز الاسلامية — الجمعيات — الأنشطة المختلفة ، وما الى ذلك).

ثانيا : من ناحية معرفة الأمريكيين للاسلام فيتضح مما تعرض له الشعب الأمريكى خلال السنوات القليلة الماضية نجد أن عقولهم تفتحت كثيرا جدا بالنسبة للاسلام ، عدد الكتب الاسلامية التى تشترى زاد زيادة واضحة .

وهناك نسبة عالية من الأمريكيين من عامة الشعب ابتدأت تتجه الى زيادة معارفها عن الاسلام وتعاليمه السمحة ، ومبادئه القويمة ، هذا الى جانب احتكاك المسلمين من الجنسيات المختلفة فى المناطق الأمريكية السوداء المتعطشة الى معرفة حقيقة الاسلام ، وما ينادى به من ضرورة المساواة بين الناس جميعا « لا فضل لأبيض على اسود الا بالتقوى » حتى اصبح هناك فى كل منطقة من هذه المناطق جمعية أو مؤسسة هدفها الأول مساعدة الاسلام ، والعمل على سعة انتشاره .

ثالثا : الكتب الاسلامية بعضها كتبه المستشرقون لذلك جاء صعبا ، والمطلوب هو الكتاب السهل الذى يتناول احدى القضايا الاسلامية بالدراسة والبحث، وتقديم رأى الدين، ولكن فى اسلوب مبسط يجمع بين سهولة العرض وحقيقة الرأى القائم على المصادر التشريعية وفى مقدمتها القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة . واليوم انتشرت الكتب الاسلامية التى حررها نخبة من العلماء الأمريكيين المسلمين، وهى كتب نابعة منهم واليهم ، فمثلا هناك محرر شهير يدعى توماس افركروك اسلم وحج بيت الله الحرام ، وعاش بمصر ولبنان والجزائر فترة عشر سنوات عاد بعدها ليخصص كل كتاباته عن الاسلام والمسلمين ، اقتنع بالاسلام فاعتنقه دينا ، وعندما عاد الى وطنه الأم ليتكلم ويكتب الكل يصغى اليه لأنه مثلهم وشكلهم (كان مسيحيا وعاش ببلاد الاسلام واسلم وعاد الى وطنه) وهذا فرق بين من يرى ويخالط ويقتنع فيسهل عليه الاقناع وبين من خالف ذلك. فالمجتمع الأمريكى مجتمع حر مفتون يسمح بالأخذ والعطاء وعرض جميع الآراء .

هذا المناخ وهذه البيئة لابد ان يستغلها المسلمون ، فهى أصلح بيئة للتعامل والتعاون بين كل الجنسيات المسلمة وغير المسلمة بلا تعصب.

وأود ان اقرر هنا أن الدعوة الاسلامية تؤدى الغرض ، وأن الاسلام بخير ، والمسلمون فى

ازدياد دائم وواضح ، فهناك عدد كبير من الأمريكيين بدأوا يقرأون عن الاسلام أكثر مما مضى ، وبدأوا يتأثرون به ، وهذا حدث عن طريق المخالطة وخاصة بالمسلمين المهاجرين الذين يتعاملون على أعلى مستوى وبالذات المصريين، فنسبتهم فى أمريكا كبيرة ، ولهم علاقات شخصية مبنية على درجة عالية من التحضر والرقى الانسانى سواء من المسلمين أو المسيحيين .

وأخيرا فليس هناك أى خوف على جيلنا — نحن — الذين هاجرنا من مصر أو البلاد الاسلامية الأخرى لأن هذا الجيل مسلم حقيقى متمسك بأهداب الدين ، لكن الخوف كل الخوف على الشبيبة، على أولادنا وأحفادنا ، لذلك لابد من رعايتهم الرعاية الاسلامية الكاملة حتى نعمق فيهم كل المفاهيم الاسلامية ونربطهم بأوطانهم الاسلامية الأم — ولا يتأتى ذلك الا عن طريق خلق الرباط الدائم بين أجهزة الدعوة الاسلامية المعنية بمصر — على وجه الخصوص — وبين التجمعات الاسلامية فى جميع الولايات الأمريكية لمزيد من التعريف الصحيح بالاسلام حتى نحافظ على أولادنا وأحفادنا ونبين لمن يعتنق الاسلام حديثا جوهر هذا الدين القويم، خاتم الأديان جميعا ، والله ولى التوفيق .

ومن بين الولايات الأمريكية التى بها تجمعات اسلامية كبيرة ولاية نيوجرسى ، تأسست بها جماعة (عباد الرحمن) عام ١٩٧٥م تضم آلاف من أعضاء الجالية الاسلامية من جنسيات مختلفة، بعضهم من البلاد العربية والاسلامية ، والبعض الآخر من المواطنين الأمريكيين .

وكان لنا حديث مع الداعية الاسلامى المصرى الأستاذ / محمد أمين حلمى مدير المركز الإسلامى بمدينة جرسى سيتى .

استطلعناه بعض النقاط التى تدور كلها حول مستقبل الاسلام والمسلمين من خلال معايشته اليومية وجهده فى نشر الدعوة الاسلامية قال سيادته :

لاشك أن الدعوة الاسلامية فى تزايد مستمر ، والاقبال على اعتناق الاسلام تبعا لذلك فى تزايد مستمر أيضا . ولو كان فى الامكان عمل احصائية مقارنة بين عدد المساجد وعدد المسلمين منذ هجرتى الى أمريكا منذ ١٣ عاما وعددهم الآن لتبين لنا مدى هذا التزايد المستمر .

الداعية الاسلامى المصرى محمد أمين حلمى
مدير المركز الاسلامى بمدينة جيرسى سيتى

فمثلا عندما هاجرت الى مدينة جيرسى سيتى لم يكن بها مسجد واحد والآن والحمد لله بها أربعة مساجد ، ويمكن القياس على ذلك . ومعروف مدى اقبال الأمريكيين — خاصة السود منهم — على هذا الدين لما وجدوا فيه من مساواة وبساطة فى فهم العقيدة دون تعقيد ، كما أن آثام المدنية والحضارة وما يعاصرهما من تحلل خلقى وفساد اجتماعى مما يجعل اقبالهم على الاسلام دين الحضارة النظيفة ، الحضارة البعيدة عن التسيب والانحلال اقبالا شديدا كالمتعطش للماء أو كالذى هداه الله الى النور بعد طول ظلام .

كما أن تاريخ المواطن الأمريكى الأسود يضرب بجذوره بعيدا حيث جاء من وطنه الأصلى فى أفريقيا ، وكان معظمهم يدينون بالاسلام من قبل، والعودة الى الاسلام من جديد بعد طول غياب هو عودة الى دين الأجداد .

ولا يفهم من كلامى هذا أن الاسلام هنا فى أمريكا مقتصر على السود فقط ، بل هناك العديد من المسلمين الامريكيين البيض ، ولكن مجموعهم بالنسبة للسود قليل ، ولو أن حالات الزواج العديدة من المهاجرين العرب والمصريين بالذات من أمريكيات ليحصلوا على الاقامة بأمريكا أوجد العديد من الأخوات المسلمات الأمريكيات .

وعموما فان مستقبل الاسلام هنا فى أمريكا طيب ان شاء الله اذا ما توافرت الامكانات المادية

مدرس اللغة العربية مع أبناء الجالية الاسلامية

درس فى العبادات بالمركز الاسلامى بجيرسى سيتى

والبشرية للدعوة اليه ، فالاخلاص اولا والامكانات ثانيا هما خير عون على نشر هذا الدين الحنيف، دين الفطرة الذى يستجيب له كل انسان ليس فى امريكا فقط بل فى العالم أجمع .

ومن خلال هذه الكلمة القصيرة أود ان اشير الى جانب من جوانب أنشطة جماعة عباد الرحمن هنا بجيرسى سيتى ، فمن أهم أهدافها :

- انشاء المساجد والعمل على القيام برسالتها .
- الدعوة الى الاسلام بالأساليب الحديثة المشروعة .
- العمل على تقوية روابط الأخوة بين المسلمين .
- تعميق المفاهيم الاسلامية وتيسير الحصول على الثقافة الاسلامية من منابعها الأصيلة .
- التعريف بالاسلام كمنهج متكامل للحياة صالح لكل زمان ومكان .
- اقامة الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية محكومة باطار من الروح والتعاليم الاسلامية .

ولقد انجزت جماعة عباد الرحمن العديد من المشروعات التى كان من أثرها زيادة عدد المسلمين بمدينة جيرسى سيتى وما حولها لملاصقتها لمدينة نيويورك حيث لا يفصل بينهما الا نهر الهدسون.

ثم هناك مشروع اقامة (معهد الدراسات الاسلامية) الهدف الرئيسى له هو تخريج دفعات من الدعاة الى الاسلام بعد اعدادهم وتزويدهم بما يلزمهم من علم وتربية وممارسة لهذا الدين حتى يستكملوا مؤهلات الداعية المناسبة للزمان والمكان . وكان لوجود الرغبة الملحة لتعلم الاسلام من جانب الأمريكيين حديثى العهد بهذا الدين خير مشجع لقيامنا بهذه المسئولية خاصة ان ظروفهم العائلية والمالية لاتمكن الكثير منهم من السفر الى البلاد الاسلامية لتحقيق هذا الهدف لارتباطهم برعاية اسرهم ووظائفهم او اعمالهم التجارية .

وكذلك نستطيع القول بأن افتتاح معهد الدراسات الاسلامية بأمريكا سيوفر الكثير للدول الاسلامية المستضيفة لطلاب العلم لما تنفقه عليهم من مصاريف السفر بالطائرات وتكاليف الاقامة والدراسة والمرافقين والمرتب الشهرى الذى يصرف لهم ، كل ذلك وغيره يمكن توفيره ، وفى مقابل هذا لن تتكلف هذه الجامعات الاسلامية سوى اعتماد مرتب لبعض المدرسين العلماء المؤهلين لأداء هذه الرسالة السامية ، واذا تم ذلك بتوفيق الله فلن يحرم اى مسلم أو مسلمة من طلب العلم ماشاء ، وكذلك لن يضطر أحد للسفر تاركا أسرته وأولاده وعمله مما يدفعه للعودة الى أمريكا بعد مرور بضعة أشهر على سفره دون أن يستكمل دراسته التى سافر من اجلها .

واخيرا فهذه صورة سريعة ، القيت الضوء من خلالها على مستقبل الاسلام والمسلمين بولاية

هامة من الولايات المتحدة الأمريكية ، وعلى جهد المخلصين من أبناء الجاليات الاسلامية فى سبيل نشر الدعوة الصحيحة على أوسع نطاق .... ندعو الله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه سبحانه وتعالى .

***

وختام استطلاعنا من مكان مصرى صميم ، عزيز علينا جميعا فى قلب الولايات المتحدة الأمريكية الا وهو سفارة جمهورية مصر العربية بواشنطن.

جاءت الكلمات تحمل أريج مصر ، عادات مصر ، تقاليد مصر .... مصر العربية الاسلامية .... مصر بأزهرها الشريف ، بحضارتها الخالدة عبر السنين .

فى كلمات موجزة قال السيد السفير الدكتور / اشرف غربال :

● نظرتى نحو المستقبل نظرة تفاؤل كبيرة بالنسبة للاسلام ، انما علينا مسئولية ضخمة فى كيفية التوجيه والتوعية والصحوة السياسية ، والحكمة السياسية (ليس سياسة اى اسيس الدين) انما أعرف كيف أسير فى المجتمع الذى أعيش فيه .

● هنا فى الولايات المتحدة الأمريكية مايقرب من ربع مليون مسلم ، وفى تقديرى بالتوعية السليمة يصبحون خلال العشر سنوات القادمة اكثر من المليون .

● رجائى لمن يأتى كامام او كمدير او كمعلم لابد ان يكون متبحرا فى الأديان الأخرى ، فلا يمكن ان نتجاهل الوضع السياسى ، مدير المركز الاسلامى بواشنطن .... بسان فرانسيسكو ...بتوليدو يقف مع قسيس مسيحى وحاخام يهودى فى مناظرة حول تآخى الأديان ، وشرح مبادىء الاسلام ، لابد أن يكون المبعوث متبحرا ولا يجد غضاضة فى أن يقف على منبر واحد مع مسيحى أو يهودى يتكلم ... يشرح ... يدلل بالحجة والبرهان ، كل ذلك فى اطار احترام الاسلام للعقل « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ....** » (الزمر الآية ٩) .

عزيزى القارىء :

ان كانت لى كلمة أختم بها هذا الاستطلاع أقول :

● لأهمية هذا الجزء من العالم لابد من وضع خطة على مستوى كل الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ، توضع من ناحية الاحتياج للأئمة والدعاة، وللجوانب الثقافية الاسلامية المختلفة ، وتكون نابعه من السفارة المصرية فهناك مناطق تستوعب عددا كبيرا من المهاجرين المسلمين المصريين وغير المصريين تحتاج أكثر من غيرها لهذا النوع من الدعم الاسلامى ، وحتى تكون الحقائق والبيانات صحيحة مطابقة للواقع .

● نأمل أن ينشأ معهد لتدريب الأئمة فى أكبر مركز اسلامى بالولايات المتحدة الأمريكية يدخله من له استعداد لمثل هذا اللون من الدراسة لمدة سنتين أو ثلاث أو أربع سنوات بعدها يستكمل دراسته بالأزهر الشريف ، ويعود ليقوم بالتدريس والدعوة بين الجاليات الاسلامية التابعة لمنطقته فهو منهم يستطيع أن يعيش كل آمالهم ، ويعرف نفسياتهم . وخير مانختم به أن نردد قول الله سبحانه وتعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادلهم بالتى هى أحسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » (النحل الآية ١٢٥).

« ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين » (آل عمران الآية ٨٥) .

صدق الله العظيم

فلسفة القيم الأخلاقية و المبادى السماوية

الأستاذ السيد أحمد المخزنجى

« أصول ومصادر القيم

ORIGINES & SOURCESTHE OF VALUES

مرحلة ما قبل الديانات السماوية

الثلاث (الماوسوية ــ المسيحية ــ الاسلام)

تمهيد :

مما لا يغيب عن أخلاد الباحثين فى مراحل تطور تاريخ الانسان وفلسفة الأخلاق والقيم والمثل العليا والمبادىء الانسانية جملة . أنها قد استمدت وجودها فى مبدئها لدى الانسان البدائى والجماعات البشرية الهمجية قبل وصولها الى مرحلة « الوعى » العقلى ، أو نضج التفكير وتهذيب الاعتقاد من مصدرين أساسيين هما : الفطرة والاعتقاد .

ــ الفطرة : وقد جبلت الفطرة الانسانية على حب القيم الأخلاقية وعشق المثل العليا وحاولت معرفتها واجتهدت فى التوصل اليها والمناداة بها وجعلت منها سراج الحياة الذى يستضيىء الانسان به فى تحديد منهجه وهدفه وضبط سلوكه على وجه البسيطة فى تلك العوالم الأرضية الى ماشاء الله .

وتدلنا النصوص والأقوال الواردة على السن عظماء وحكماء ومفكرى تلك (المرحلة) من مراحل تطور التاريخ الانسانى ، أن الانسان قد عرف القيم VALUES ودعا اليها وعمل بها عملا صالحا قبل معرفته الكاملة بقيم ومبادىء الديانات السماوية الثلاث .

كما تدلنا تلك الأقوال المأثورة على مدى تمتع انسان ذلك العصر بأرقى مايمكن أن تصل اليه القيم الأخلاقية والمثل العليا بل ان منها ما أتت به الشرائع السماوية الثلاث فيما بعد(١) واقرته ضمن تعاليمها الأخلاقية ومبادئها الدينية .

---

(١) أنظر فيما بعد (الفصل الثالث من هذا البحث) .

الاعتقاد :

على أن الاعتقاد الانسانى لازم الفطرة تلازم الروح للجسد فى مراحل عصوره . المختلفة وحضاراته المتعاقبة والمتطورة .

ولقد كان لاعتقاد الانسان فى ذلك الأوان عدة مظاهر أظهرته فى غاية البيان والدلالة وكانت ممثلاته ومراحل تطوره .

وتجلت تلك المظاهر والممثلات فى ثلاثة أشياء هى :

١ ــ التصور : Imagination
٢ ــ الأسطورة : Story
٣ ــ الأرواح : SPirits

ومن ثم سنتناول بشىء من البيان والتبيين (أصول ومصادر القيم الأخلاقية) والمبادىء الانسانية والمثل العليا فى تلك العصور والحضارات القديمة المختلفة) .

بادئين ، بدراسة تلك القيم عند العرب فى (الجاهلية) ثم نعرض لدراستها فى الحضارة المصرية (الفرعونية) القديمة ثم نتبعها بدراسة القيم فى حضارات أخرى ونختم تلك الدراسة ببحث القيم الأخلاقية ومبادىء المثل العليا فى حضارة بلاد ما بين النهرين كذلك على النحو التالى :

فى الحضارة العربية القديمة (الجاهلية)

تمهيد :

تعدد الآلهة وعبادتها كانت الظاهرة المألوفة فى عالم الاعتقاد والايمان عند العرب فى الجاهلية وعند ما شابههم فى نحلتهم فى هذه العوالم وبطبيعة الحال سادة عبادة « هبل ــ اللات ــ العزى ــ مناة .. وتلك أسماء آلهتهم التى كانوا يستسقون بها ويستشفون .

وأيا ما كان القول فى شأن تلك العقيدة ، فانه قد أثرت هناك « قيم » ومبادىء اخلاقية يرد الصالح منها بطبيعة الحال الى (الفطرة) الانسانية لا جدال وهذه ما أيدها الوحى الالهى (القرآن) فيما بعد ، ومنها ما كان دون ذلك ، وقد انكرته مبادىء السماء على المستمسكين بها ، وهو ما ليس محل دراستنا فى هذا المقام .

ويدور البحث اذن ، حول معرفة ما هى القيم التى كانت موجودة فى تلك النحلة الجاهلية آنذاك؟

قال محمد بن السائب الكلبى : (كانت العرب فى جاهليتها تحرم أشياء نزل القرآن بتحريمها « وعدد منها » أنهم كانوا لا ينكحون الامهات ولا البنات يعنى بناتهم ، ولا الخالات ولا العمات وكان أقبح ما يصنعون أن يجمع الرجل بين الأختين ، أو يختلف على امرأة أبيه (*) وكانوا يسمون من فعل ذلك الضيزن(*) ولا شك ان فى تلك الأشياء التى كان يحرمها العرب فى جاهليتهم ــ دلالة بينة على مدى ماكانت تحتله القيم الأخلاقية من سمو المكانة ورفعة المنزلة فى نفوسهم وضمائرهم .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد وانما أخذت قيم المجاملات مجالا رحبا فى عادتهم فكانوا (يهدون الهدايا ويرمون الجمار ويحرمون الأشهر الحرم فلا يغزون ولا يقاتلون فيها الا « طى » ، وخثعم ، وبعض بنى الحارث بن كعب « * ... وكانوا يكرهون الظلم فى الحرم »*() .

ومما يروى فى ذلك شعرا ، قول أمرأة منهم ، فى نهى ابنها عن الظلم :

ابنى لا تظلم بمكة
لا الصغير ولا الكبير
ابنى من يظلم بمكة
يلق أطراف الشرور

وكانوا يكفنون موتاهم ويصلون عليهم(*) ، ومعلوم أن صلاتهم هذه كانت تختلف عن الصلاة بالمعنى المتفق عليه كعبادة دينية بالمعنى الذى جاء به الاسلام بالذات .

ومن العرب من كان يعتقد التوحيد بالله ، ويؤمن بيوم الحساب مثل قس بن ساعدة الأبادى، الذى قال فى مواعظه :

كلا بل هو الله اله واحد
ليس بمولود ولا والد
أعاد وأبدى واليه المآب غدا

الخمر فى الجاهلية :

وفضلا عما يوحيه هذا الاعتقاد من سلامة فى الفطرة وتمتعها بالمثل العليا من الاهتداء لمعرفة

(*) يختلف على امرأة أبيه ، أى يبغى نكاحها .
(*) « الضيزن » ، أى الذى يزاحم أباه فى أمرأته .
(*) وهذه كلها أسماء لبعض القبائل التى كانت بالحجاز .
(*) الملل والنحل «للسهرستانى» تحقيق الأستاذ عبدالعزيز محمد الوكيل ص ٩٠ ، ج ٣ ، طبعة ١٩٦٨م .
(*) وكان مما يقولونه فى صلاتهم على الرجل اذا مات « عليك رحمة الله وبركاته » .

الحق عز وجل لدى هذا البعض من العرب فى ذاك الأوان ، الا ان نفرا منهم أيضا أوصى بتحريم أشياء تعافها الطوية السليمة وتسأم من عللها الأبدان الصحيحة ومن تلك الأشياء (الخمر) ومن بعضهم عامر بن الظرب العدوانى الذى حرمها على نفسه وقال فيها من الشعر ما نصه :

أن أضرب الخمر أشربها للذتها
وأن أدعها فانى ما قت قال(*)

لولا اللذاذة والقينات لم أرها
ولا رأتنى الا من مدى عالى(*)

سآلة للفتى ما ليس فى يده
ذهابة بعقول القوم والمال

تورث القوم اضغانا بلا احن
مزرية بالفتى ذى النجدة الحالى

وقد حرم « الأسلوم الليالى » الخمر أيضا والزنا على نفسه وقال فيها :

سالمت قومى بعد طول مضاضة
والسلم أبقى فى الأمور وأعرف

وتركت شرب السراح(*) وهى أثيرة
والمومسات وترك ذلك أشرف

وعففت عنه يا أميم تكرما
وكذلك (*) يفعل ذو الحجى المتعفف

ومن الملفت للنظر أنهم كما ذكر الشهرستانى كانوا يقطعون يد السارق اليمنى اذا سرق وان فى ذلك لدليلا واضحا على تمتعهم بفضيلة الأمانة وكراهتهم لرذيلة الخيانة والسطوة على الأموال .

وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة يصلبون الرجل اذا قطع الطريق وكانوا يوفون بالعهود ويكرمون الجار ويكرمون الضيف(*) .

(*) (قال) بكسر اللام : أى كاره لها ، والمصدر « قلى » وفى سورة « الضحى » (ما ودعك ربك وما قلى) أى ما تركك بمفردك .

(*) (مدى عالى) ، كناية عن بعد الشقة بينه وبين الخمر .

(*) السراح) ، يعنى الخمر لما تحدثه من ذهاب العقل .

(*) (كذاك) اسم اشارة ، للتخفيف والتقريب ، والاصل (كذلك) .

(*) الملل والنحل (للشهرستانى) المرجع السابق ج ٣ ، ص ٩٤

أما مفكرنا وفيلسوفنا الكبير الأستاذ (عباس محمود العقاد) فيقول هو الآخر فى هذا الصدد ، فى بيان مدى تمتع « الفلسفة العربية » أو « الفلسفة الرواقية » بالقيم الأخلاقية ونشد أنها المثل العليا .. ما نصه : (.. أما فى الأخلاق فلا قيمة عندهم للبحث الفلسفى أن لم يكن له نفع فى طلب الحياة الفاضلة ونشد أن السعادة والتطلع الى الكمال . ومساك الأخلاق المثلى عندهم ضبط النفس وتربية الارادة واجتناب المطامع والشهوات(*) .

(وليس من العسير تعليل هذه النزعة الرواقية أو هذه الفلسفة العربية القديمة لأنها تنبعث من مصادر ثلاثة كل منها خليق أن يتجه بها هذا الاتجاه : وهى سلطان القبيلة ، وسلطان الدين ، وسلطان الدولة والنظام(*) .

ويستطرد الأستاذ (العقاد) فى شرح تلك المصادر ومدى تأثيرها فى وجود القيم والتزام الأفراد بها ، فيقول : (فالقبيلة تفرض على أبنائها حياة الصبر والشظف والمحافظة على التراث القديم وتجعل كل فرد من أبنائها مسئولا عن القبيلة بأسرها ، فعليه من أجل ذلك حساب عسير فى كل صلة بينه وبين سائر الأفراد من تلك القبيلة أو من أبناء القبائل الأخرى ، وغاية ما يحذره الرجل فى ظل هذا السلطان أن « يخلع » فيصبح كما يسمونه خليعا لا حساب عليه .

وجملة القول : أنه كانت لدى العرب فى الجاهلية قيم أخلاقية غاية فى السمو والرفعة وعادات أدبية انسانية بالغة النظر والتقدير ومثل عليا تجل عن سمو الوجدان العربى وسلامة فطرته التى أيدها الوحى الالهى ووافقها فيما كانت تنزع اليه من قيم الخير ومحامد الصفات ونبل الأخلاق وصفاء السريرة وصدق الطوية وحيلتها على المبادىء الانسانية الحقة لا نزاع .

(*) أثر العرب فى الحضارة الاوربية ، للفيلسوف الكبير (عباس محمود العقاد) ص ٢٠ الطبعة الثامنة ، (دار المعارف ــ القاهرة) .

(*) نقلا عن المرجع السابق ، ص ٢١

يا سارى الليل

فى ذكرى الهجرة المحمدية الغراء

للشاعر محمد عبد السلام عطا

يا سارى الليل ، ليل البيد اخطار ... والسير بالليل سر فيه أسرار
ماذا وراءك للدنيا تسجله ... والشرك يهذى وجيش الحقد موار
يا مشرق النور فى مسراك مؤتلق ... يخشاه فى ساحة الأصنام اشرار
خفت المخاطر والآراء صاخبة ... أم راعك الوهم أم مستك اكدار ؟ !
ما راعك الوهم — ويحى — انما أذنت ... لك المقادير أن يلقاك أنصار
فى ظل « يثرب » تبنى للعلا أملا ... يحوطه فى سماء النصر اكبار
تهتز من حولك الدنيا موحدة ... فى موكب الحق للتوحيد أبرار

* * *

هذى قوى البغى لا تنفك ثائرة ... يحدو خطاها الى التنكيل جبار
تستطلع الرأى فى هول الأسى جزعا ... فى صدرها احن الأحقاد والثار
يا قادة الفكر صفوا حول منزله ... سواعد الشر فالشرير غدار
جاءوا بكل عنيد من قبائلهم ... يحدوه للثأر تأميل واصرار
باتت سيوفهم للغدر مشرعة ... والسيف ما جال بالأحقاد بتار
لكن باسم اله العرش فى ثقة ... « جبريل » كبر و « الرحمن » ستار
فنام فوق فراش « المصطفى » بطل ... رمز الفداء « على » فيه ايثار
فضلل القوم فانهارت مزاعمهم ... وصفق الخزى فى الأعماق واحتاروا

* * *

ما نالك الضر والاغراء صعده ... فى حماة الحق صنديد ومغوار
عضو الأنامل لم يظفر « أبو لهب » ... حتى « سراقة » قد ردته اقدار
فاغمد السيف والبرهان أركسه ... اما « الرسول » فزاغت عنه أبصار
كيف النجاة « قريش » مسها هلع ... « أسماء » تنبيك كم حفتها اخطار
لم يبعث الله « داودا » يقيم له ... برجا من « الصلب » ان الصلب ينهار
كانت على « الغار » والتاريخ مبتسم ... من أوهن النسج أجناد وأستار
ما أروع القول والصديق يسأله ... فى همسة الشك ، لو تهتز انظار
الله ثالثنا « بالغار » يحرسنا ... والله ناصرنا ذو العرش قهار
وهاجر « النور » يرسى خير قاعدة ... جديدة الصرح والأنصار احرار
لبوا النداء وضحوا فى مشاركة ... من الوفاء فحارت فيها افكار
واستنها سنة تجرى على سنن ... من الاخاء ويرعى العهد اطهار

* * *

أيترك الله رب العرش — يا لهفى ... وتعبد «الشمس» و«الأصنام» و«النار»؟!
أتواد « البنت » حيرى فى تساؤلها ... ماذا جنيت ، وماذنبى ، وما العار ؟ !
أيهدر الظلم فى سر وفى علن ... ويصمت العدل والكفار سمار ؟ !
أيجتلى الفسق حول الكأس منطلقا ... ويختفى الطهر ، كم للطهر انوار
دفء « القيان » وسوق الرق منتشر ... يدعو الى اللهو ارغول ومزمار

* * *

اظهرت شرعتك السمحاء فانطلقت ... فى موكب الحق احباب وثوار
تبت يد الشرك لامستك عادية ... انت الحبيب من الأنوار مختار
رعاية الله كانت خير واقية ... رعاية الله للأحباب اسوار
شئت الوفاء ويحدو مزهرى نسب ... للوحى منه اناشيد واشعار
كم فى النجاة وفى التاريخ من عبر ... كن جانب الله لم تمسسك اضرار

النص الصريح

لايتعارض مع العقل الصحيح

الدكتور زكي مشعل

سبحانك اللهم جلت قدرتك وتعالى سلطانك وعظمتك وحدك ، نسالك اللهم ربنا أن تفتح لنا خير سبل رحمتك ، وأن تمنحنا رضاك وتوفيقك ، وأن تعزنا بدينك وبحب المصطفى رسولك فانك نعم المولى حسبنا السميع القريب المجيب .

لقد ثبت بلا ريب أن الايمان نور يفدقه الله فى قلب عبده المؤمن العاقل عطية وهدية من عنده ، وقد تبين لدى المؤمنين اولى العلم والفكر أن الحركة التى تحكم العالم ليست من ذاته كما أن التغير الذى يلازم الحركة ليس من ذاته ، وانما هنالك مؤثر خارج عنها يضع فيها اما حركة واماسكونا ، وليس من المعقول أن تكون المادة متحركة أو ساكنة من ذاتها بمعنى ان الحركة تنشأ عنها ذاتيا واستقلالا دون ما حاجة الى مؤثر خارج عنها وهذا ما يؤكده الواقع المشاهد .

ان كلمة الحق الفاصلة فى الوجود كله وفى السماوات والأرض وما بينهما بجميع عوالمه تخضع حتما وبالضرورة لقدرة الهية حكيمة عليمة خلاقة له سبحانه الخلق والأمر والتدبير . وصدق الحق جل شأنه اذ يقول (**يدبر الأمر من السماء الى الأرض ثم يعرج اليه**) وقوله سبحانه (**الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**) .

ويجب أن نعلم أن كلمة الوحى الآلهية معصومة، جاءت من الخالق عز وجل الى الانسان المخلوق لتنير له الطريق وتكشف له الحق من الباطل فى أسلوب سهل وعبارة دقيقة محكمة تخاطب عقل الانسان وقلبه ، وهذا الذى قرره الوحى المعصوم ما تشهد به الفطرة السليمة ويعتقده كل ذى عقل سليم ويؤكده الواقع المشاهد . ان الانسان يستشعر بفطرته ويؤمن بقلبه وعقله انه مشدود ومنجذب من أعماقه الى قوة عليا تهيمن عليه وعلى العالم كله خلقا وابداعا وعلما وتدبيرا فى كل شئونه ما ظهر منها وما بطن ، ومن ثم كان هذا الايمان القلبى والشعور الفطرى والاحساس النفسى يدركه كل انسان بفطرته ووجدانه النقى الذى لم يتلوث ولم يتكدر (**فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) على أن الماديين أنفسهم يدركون هذه الحقيقة الأزلية الخالدة ، وقد ذكر الكتاب العزيز المعصوم عن الماديين الذين عبدوا غير الخالق أنهم مقرون بوجود الخالق يقول رب العزة (**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**) والعقل السليم يدرك أنه أثر من آثار قدرة الخالق سبحانه وليس ثمرة للتفاعلات الكيماوية أو أثرا من آثار الطبيعة المادية لأن الفكر الانسانى بما أوتى من طاقات وامكانيات وادراكات يستطيع التحكم فى المادة وما حولها ويسخرها ويزللها تبعا لعمله بارادته وعلمه وقدرته وهكذا كان للفكر

الانسانى دوره فى مواجهة التيارات المادية وفى اخضاعها على مدى التاريخ ، ولقد تبين من دون شك أن العقل فى كل دين سماوى بخاصة الاسلام . والاسلام الحنيف هو محور العقيدة ومناط العبادة وسند الشريعة والايمان الصادق بالله واحد معبود وحده لا شريك له وأن التقوى وهى أعلى مراتب الايمان ، فعندما يدعو القرآن الحكيم الى التقوى ينادى فى دعوته أرباب العقول الواعية . فيقول جلت حكمته (وتزودوا فان خير الزاد التقوى وأتقون يا أولى الألباب) ونحب أن نؤكد لقرائنا الأعزاء أن العقل الانسانى ما وجد حفاوة به وتقديرا له واعتدادا بمسئوليته وتعويلا على تأثيره مثل ما وجده فى ظل الاسلام القرآنى المحمدى العربى ، وحسبنا مثلا أنه قد دعا كتابنا العزيز العقل أن يمارس دوره ويحثه حثا قويا على النظر والتفكر والسير والتأمل ليصل بهذا الانسان المفكر المؤمن الى الايمان الواعى المؤدى الى اليقين الذى يخلق العزم القوى والتضحية البالغة فى سبيل العقيدة، يقول أحكم الحاكمين (قل أنظروا ماذا فى السموات والأرض وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) كما يقول سبحانه (أو لم يتفكروا فى أنفسهم) وقد أعلى كتاب الاسلام تشريفا وتقديرا العاقلين المفكرين المؤمنين بالوحى كتابا وسنة ، فاستكثر من آياته فى هذا المقام منها (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) ومنها (لآيات لقوم يتفكرون) والايمان القائم على اليقين والعقل فى مستواه الأعلى مدعوما بالصدق والاخلاص لا يرقى الى مستواه الرفيع الا أصحاب العقول الواعية والنفوس الذكية .

يقول جل شانه (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولوا الألباب) وعلى هذا يتبين لنا جميعا أن تعطيل العقل والفكر آفة أو نكبة تنتهى بالانسان الى الضلال اذ تجعله كالحيوان الذى لا يدرك قيمة النعم ولا فضل المنعم ، فى مثل هؤلاء ، يقول القرآن العظيم (ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) ومن هنا نوقن أنه لا عداء ولا تباعد أبدا بين العقل المفكر وبين الدين كله ولا تناقض بينهما ، فكلما أدى الفكر العقلى المستقيم دوره فى قضايا العلم والدين قوى الايمان وعز التدين وصح العلم . يقول ابن تيمية : موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول .

(فالنص الصحيح لا يتعارض مع العقل الصريح لأن كليهما من نعم الله) كما يقول الامام محمد عبده . (واذا وجد تعارض بين عقل ونص فمرجعه اما هوى أو تعصب منع العقل من القيام بدوره واما زيف لحق بالنص أو تحريف جعله بعيدا عن قدسية الدين الحق وسموه . وما ينبغى اذا أن نحول بين عقل المفكر وبين مدارسة الوحى كتابا وسنة ، والحق يقال ان مدارسة الوحى وتفهمه علما وفقها وعملا وأسوة بالفكر النقى المتنور بنور الوحى سيؤدى لا ريب الى الجدال ، وسلفنا الصالحون يفرقون بين الجدال فى الدين والجدال عن الدين ، فالجدال فى الدين مذموم والجدال عنه والدفاع واجب على كل مسلم ذكرا كان أو أنثى ، وقد ثبت أن الجدال والدفاع عن الرسالات السماوية دين الحق هو حرفة الأنبياء والرسل والراشدين . والدعاة المخلصين من بعدهم ، وكان هذا العمل حيزا لتفضيل الرسل والأنبياء بعضهم على بعض ، فمن ذلك مثلا ما يحكيه القرآن الحكيم عن نوح عليه السلام مع قومه (قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين) وعلى هذا النسق سار السلف الصالح . فكانوا يفرقون بين الجدال والدفاع عن الدين والجدال فى الدين وفى الملة فيبذلون كل ما يستطيعون من الدفاع عن الملة والدين ، ويمسكون عن الجدال فى الملة والدين ، ومن أشهر الأئمة الذين فعلوا ذلك الامام مالك بن أنس والامام احمد بن حنبل والامام ابو حنيفة والامام الشافعى والامام

الحسن البصرى المفكر الصوفى الاسلامى ، فقد اخرج الهروى عن اسحق بن عيسى قال : (سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال) . كما يوضح الهروى عن مالك . قال : (اياكم والبدع قيل : وما البدع ؟ قال : اهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم باحسان) .

ومهما يكن من هذا الحديث القيم فى هذا المقام فان التكليف فى الدين الصحيح منوط وثابت بالعقل المفكر المستقيم ، وقد تأسس الاسلام منذ بدايته على الوحى الآلهى الذى انزله الحق على حبيبنا الرسول الأمين محمد عليه أفضل صلاة وأذكى تسليم ، فبلغه بأمانة معصوم من الخطأ والتحريف لا دخل لأى مخلوق فى تأليفه ، انما على العقل البشرى أو الجنى أن يعمل به ليصح الايمان ويقوى اليقين . فالمخلوق المعصوم الأول الصادق الأمين هو رسول الحق رسول الاسلام هو السلطة الكبرى لهذا النظام الاسلامى ، فسلطته ليست نابعة من ذكائه أو عبقريته انما مرجعها الوحى الالهى الذى يعد مصدر كل فتوى وتشريع فى شئون الحياة كلها ، ولقد اشتمل كتاب الحق الخالد المحكم واحتوى على فضائل وشمائل عليا منها :

أولا : انه أثبت علاقات تشريعية فاضلة ترفع من شأن الانسان مع نفسه ومع الجماعة ومع الله عز وجل بما يحفظ على الانسان صلته نحو خالقه ونحو نفسه ونحو مجتمعه .

ثانيا : لقد بين الحق سبحانه من خلال قصص الأنبياء مع أممهم وما وقع بينهم ليكون عظة وعبرة لنا ولمن يأتى الى يوم الدين .

ثالثا : قد دعا الكتاب الكريم ورسوله العظيم الى العمل بالأخلاق الفاضلة والتحذير من الأخلاق الذميمة التى تؤدى الى وجود الفساد والمفسدين ليستقيم الشرع ، فانه لا يقوم شرع بلا أخلاق .

رابعا : العقيدة الحقة هى القائمة على الايمان بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليوم الآخر الذى توفى فيه كل نفس ما عملت .

والغاية الأسمى والمقصد الأعلى أن يكون الوحى الآلهى السماوى مصونا من التفكير السقيم ليصير كما صار من قبل قوة عملية تشريعية تساندها آراء وأفكار آتاها الله الحكمة ليتحقق الخير الكثير فقد وعد الله المخلصين المصلحين بنصره وتأييده ، ولا يخلف الله وعده ، وختاما على رسولنا خير صلاة وأفضل تسليم .

روى الإمام أحمد / والحاكم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لقد لَبِثْتُ مع صاحبى - يعنى أبا بكر - ليلة الغار بضعة عَشَر يوماً مالنا طعام إلا البَرِير » . قال الحاكم « معناه مكثنا مُخْتَفِين من المشركين فى الغار وفى الطريق بضعة عَشَر يوماً » .

ومن يوق شح نفسه

الدكتور أبو زيد جعفر

البخل من المهلكات العظيمة التى تمزق العلاقات بين أفراد المجتمع . قال الله تعالى : ((ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)) سورة الحشر الآية : ٩ أى من سلم من الشح فقد أفلح وفاز وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم)) رواه مسلم. ولقد استعاذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذه الرذيلة التى تورث الحقد والحسد فى النفوس فقال : ((اللهم انى أعوذ بك من البخل والكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات)) رواه مسلم .

فالشح يذهب البركة من كل شىء روى عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**ما محق الاسلام محق الشح شيئا**)) رواه أبو يعلى والطبرانى ، وقال الله تعالى : ((**ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير**)) سورة آل عمران الآية ١٨٠ ، عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((**من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له شجاعا أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة يأخذ بلهزمتيه ، يعنى بشدقيه يقول أنا مالك أنا كنزك ، ثم تلا هذه الآية**)) فتح البارى .

عمومية الآية :

ومدلول الآية عام . فهو يشمل اليهود الذين بخلوا بالوفاء بتعهداتهم ، كما يشمل غيرهم ممن يبخلون بما آتاهم الله من فضله ، ويحسبون أن هذا البخل خير لهم ، يحفظ لهم أموالهم ، فلا تذهب بالانفاق . والنص القرآنى ينهاهم عن هذا الحسبان الكاذب ، ويقرر أن ماكنزوه سيطوقونه يوم القيامة نارا .. انهم ((**يبخلون بما آتاهم الله من فضله**)) ولم يذكروا فضل الله عليهم . وبخلوا بالقليل ، وحسبوا أن فى كنزه خيرا لهم . وهو شر فظيع . فالله هو الوارث : ((**ولله ميراث السموات والأرض**)) .. فهذا الكنز الى أمد قصير . ثم يعود كله الى الله .

ولا يبقى لهم منه الا القدر الذى أنفقوه ابتغاء مرضاته ، فالواجب الانفاق لأن الأمـور كلها مرجعها الى الله عز وجل : فقدموا من أموالكم ماينفعكم يوم معادكم .

الاستعداد ليوم الرحيل :

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبى ذر الغفارى رضى الله عنه : « **ياأبا ذر ، جدد السفينة فان البحر عميق ، وخذ الـزاد كاملا فان السفر بعيد ، وخفف الحمل فان العقبة كؤود ، وأخلص العمل فان الناقـد بصـير** » وفى الزبور : « **أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام أن العاقـل الحكيم لا يخلـو من أربع ساعات : ساعة فيها يناجى ربه ، وساعة فيها يحاسب نفسه ، وساعة يمشى فيها الى اخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ، وساعة فيها يخلى بين نفسه وبين لذاتها الحلال** » .

المال امتحان وابتلاء من الله :

فمن علامات السعادة والفلاح أن العبد كلما زيد فى ماله زاد فى سخائه وبذله ، ومن علامات الشقاوةأنه كلما زيد فى ماله زاد فى بخله وامساكه وهذه الأمور ابتلاء من الله وامتحان يبتلى بها عباده فيسعد بها أقوام ويشـقى بها أقوام ، وكذلك الكرامات امتحان وابتلاء كالملك والسلطان والمال قال تعالى عن نبيه سليمان لما رأى عرش بلقيس عنده : « **هـذا من فضـل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر** » بعض آية ٤٠ من سورة النمل . فالنعم ابتلاء من الله وامتحان يظهر بها شـكر الشكور وكفر الكفور كما أن المحن بلوى منـه سبحانه فهو يبتلى بالنعم كما يبتلى بالمصائب ، قال تعالى : « **فأما الانسان اذا ماابتلاه ربـه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ماابتلاه فقدر عليـه رزقه فيقـول ربى أهانن كـلا** » اى ليس كل من وسعت عليه وأكرمته ونعمتـه يكون ذلك اكراما منى له ولا كل من ضيقت عليه رزقه وابتليته يكون ذلك اهانة منى له . وقال الله تعالى : « **الذين يبخلون ويأمرون النـاس بالبخل ويكتمون ماآتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا** » سورة النساء الآية ٣٧ ففى هذه الآية الكريمة ذم الله الذين يبخلون بأموالهم أن ينفقوها فيما أمرهم الله به من بر الوالدين والاحسـان الى الأقارب واليتامى والمسـاكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصـاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانهم من الأرقاء ولا يدفعون حق الله فيها ويأمرون الناس بالبخل أيضا .

الايمان والبخل لا يجتمعان :

عن أبى بكر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسـلم قال : « **لايدخل الجنـة خب ولا منان ولا بخيل** » فالنمام الذى يسـعى بين الناس بالفساد ، والمنان : هو الذى يمن على من أعطاه وهو مذموم لقوله تعالى : « **ياأيها الذين آمنـوا لا تبطلوا صـدقاتكم بالمن والأذى** » والبخيل المانع للزكاة ، وكذا من يمنع فضله عن المضطر اليه ، هؤلاء لايدخلون الجنة ان استحلوا ذلك . عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **خصلتان لاتجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق** » رواه الترمذى ، فلا يجتمعان مع الايمان لشرفه وخستهمالاضرارهما بخلق الله تعالى ، والمؤمن مصدر لكل خير كالنخلة ينتفع بكل أجزائها . وقال صلى الله عليه وسلم : « **السخاء شجرة تنبت فى الجنة فلا يلج الجنـة الا سخى ، والبخل شجرة تنبت فى النار فلا يلج النار الا بخيل** » وقال عليه الصلاة والسلام : « **ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه** » فأصل البخل حب المال ، وهو مذموم . مادام لم ينتفع به فى مصارف الخير ، قال تعالى : « **انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم** » والنفس البشرية ضـعيفة شحيحة ، الا من عصم الله ، ولا تطهر من هذا الشح الا أن تعمر بالايمان ، والقلب المؤمن يطمئن

بالايمان ، فلا يخشى الفقر بسبب الانفاق ، لأنه يثق بأن ما عند الناس ينفد وما عند الله باق . وهذا الاطمئنان يدفع به الى انفاق المال فى سبيل الله تطوعا ورضـا وتطهرا ، عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى فى الجنة ياعبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان — قال أبو بكر الصديق يارسول الله : ماعلى أحد يدعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرجو أن تكون منهم » رواه مسلم ج ٧ ص١١٦ فأما حين يخلو القلب من الايمان ، فالشح يسيطر على نفسه كلما دعى الى نفقة أو صدقة ، ولقد عرض القرآن الكريم نماذج من المنافقين الذين بخلوا وبقوا سجناء الشح والخوف من الفقر ان تصدقوا من فضل الله . فقال تعالى : **« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين . فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون . فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ماوعدوه وبما كانوا يكذبون . ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب »** .

البخل يسوق ثعلبة الى نار جهنم :

وقد وردت روايات عن سبب نزول الآيات الثلاثة ، نذكر منها رواية عن ابن جرير وابن ابى حاتم من حديث معان — باسناده — عن ابى امامة الباهلى عن ثعلبة بن حاطب الأنصارى أنه قال لرسول الله — صلى الله عليه وسلم — ادع الله أن يرزقنى مالا . قال : فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — : **« ويحك ياثعلبة ، قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه »** . قال : ثم قال مرة أخرى . فقال : **« اما ترضى ان تكون مثل نبى الله فو الذى نفسى بيده لو شئت أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت »** قال : والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم : **« اللهم ارزق ثعلبة مالا »** قال : فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود ، فضاقت المدينة ، فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها ، حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ماسواهما ، ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات الا الجمعة ، وهى تنمى كما ينمى الدود حتى ترك الجمعة ، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعة ليسألهم عن الأخبار . فقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — **« مافعل ثعلبة ؟ »** فقالوا يارسول الله اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة ، فأخبروه بأمره ، فقال : « ياويح ثعلبة .. ياويح ثعلبة .. ياويح ثعلبة !! » وأنزل الله جل ثناؤه : **« خذ من أموالهم صدقة »** .. الآية .. ونزلت فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله — صلى الله عليه وسلم — رجلين على الصدقة من المسلمين . رجلا من جهينة ورجلا من سليم ، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين ، وقال لهما : **« مرا بثعلبة وبفلان** — رجل من بنى سليم — **فخذا صدقاتهما »** فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال : ماهذه الا جزية . ماهذه الا أخت الجزية . ماأدرى ماهذا ؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الى .

طيبة النفس المؤمنة :

وسمع بهما السلمى ، فنظر الى خيار أسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها ، فلما رأوها قالوا : مايجب عليك هذا ، ومانريد أن نأخذ هذا منك . فقال : بل فخذوها فان نفسى بذلك طيبة وانما هى له ، فأخذاها منه ، ومرا على الناس فأخذا الصدقات . ثم رجعا الى ثعلبة فقال : أرونى كتابكما فقرأه فقال : **ماهذه الا جزية ، ما هذه الا اخت الجزية** . انطلقا حتى ارى رأيى .

فانطلقا حتى أتيا النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فلما رآهما قال : « **ياويح ثعلبة** » قبل أن يكلمهما: ودعا للسلمى بالبركة ، فأخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمى . فأنزل الله عز وجل: « **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ...** » الآيات . وعند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رجل من أقارب ثعلبة فسمع بذلك ، فخرج حتى آتاه ، فقال : **ويحك يا ثعلبة ! أنزل الله فيك كذا وكذا** ، فخرج ثعلبة حتى أتى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فسأله أن يقبل منه صدقته ، فقال : « **ان الله منعنى أن أقبل منك صدقتك** » فجعل يحثو على رأسه التراب ، فقال له رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ « **هذا عملك ، قد أمرتك فلم تطعنى** » فلما أبى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يقبض صدقته رجع الى منزله ، فقبض رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ولم يقبل منه شيئا .

أبو بكر يمتنع من أخذ صدقة ثعلبة :

ثم أتى أبا بكر ــ رضى الله عنه ــ حين استخلف ، فقال : قد علمت منزلتى من رسول الله وموضعى من الأنصار فأقبل صدقتى ، فقال أبو بكر : **لم يقبلها منك رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأبى أن يقبلها** » فقبض أبو بكر ولم يقبلها .

وعمر لم يقبلها :

فلما ولى عمر ــ رضى الله عنه ــ أتاه فقال : ياأمير المؤمنين اقبل صدقتى ، فقال : « **لم يقبلها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا أبو بكر ، وأنا أقبلها منك** » فقبض ولم يقبلها.

وعثمان رفض قبولها :

فلما ولى عثمان ــ رضى الله عنه ــ أتاه فقال : اقبل صدقتى ، فقال : **لم يقبلها رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولا أبو بكر ولا عمر** ، وأنا أقبلها منك ؟ فلم يقبلها منه . فهلك ثعلبة فى خلافة عثمان . وسواء كانت هذه الواقعة مصاحبة لنزول الآيات أو كان غيرها ، فان النص عام، غير أن رواية الحارث تكشف لنا كيف كان المسلمون الأوائل ينظرون الى الزكاة المفروضة مدركين لحقيقة المعنى الكامن فى قوله تعالى : « **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** » فينبغى على كل انسان عنده فضل خير أن يسارع بتقديمه الى كل محتاج، عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ما معناه « ما من يوم غربت فيه شمسه الا وملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم الا الثقلين : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا » وأنزل الله فى ذلك القرآن : « **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** » وقال سبحانه تحقيرا لأمر الدنيا وتهوينا لشأنها : « **انما الحياة الدنيا لعب ولهو** » أى حاصلها ذلك الا ماكان منها لله عز وجل ولهذا قال تعالى : « **وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم** » أى هو غنى عنكم لا يطلب منكم شيئا وانما فرض عليكم الصدقات من الأموال مواساة لاخوانكم الفقراء ليعود نفع ذلك عليكم ، ويرجع ثوابه اليكم .

فلنتعاون فيما بيننا ونتراحم وننتصر على انفسنا بالبذل والعطاء حتى يسعد الفرد والمجتمع والله الموفق والهادى الى الخير .

مؤلفات

ابن النفيس فى الطب

الأستاذ عبد المنعم عمر

١ ــ رسالة فى منافع الأعضاء ، مخطوطة محفوظة بدار الكتب بالقاهرة ضمن مجموعة ج برقم ٢١٧٣٣ .

٢ ــ كتاب الشامل فى الطب « أجمعت كل مصادر البحث على أن ابن النفيس كان يعتزم تأليف كتاب شامل فى الطب فى ٣٠٠ مجلد ، ولكنه لم يبيض منها سوى ٨٠ مجلدا فقط . وأنه أودعها فى مكتبته الخاصة التى أهداها للبيمارستان المنصورى بالقاهرة ، ولكنا لم نعثر عليها ، ويقول الزركلى فى كتاب الأعلام أنها موجودة الآن فى المكتبة الظاهرية بدمشق ، ولا يوجد منها بدار الكتب بالقاهرة سوى قطع مخطوطة ، الأولى منها برقم ٦٨١ طب فى ١٣٨ ورقة ، والثانية برقم ٦٠٥٧ ل فى ١٩٢ ورقة ، والثالثة برقم ٢٠٩ طب ، والرابعة مصورة برقم ٤٢٣ طب تيمور فى ١٣٩ لوحة .

٣ ــ « المهذب فى الكحل » وهو كتاب فى أمراض العين لا يزال مخطوطا ، وتوجد منه نسخة فى مكتبة الفاتيكان .

٤ ــ « شرح لمبادىء أبقراط » ويوجد مخطوطا فى كثير من مكتبات العالم ، كما توجد منه نسخة مطبوعة فى بلاد فارس سنة ١٢٩٨ هـ / ١٨٨١ م .

٥ ــ « شرح تقدمة المعرفة لابقراط » وتوجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب بالقاهرة . برقم طب ٤٩٦ .

٦ ــ « شرح فصول أبقراط » توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب بالقاهرة برقم ٥٦٥ طب .

٧ ــ الشروح الموسعة « لقانون ابن سينا فى الطب » مخطوطا فى مكتبة المتحف البريطانى .

٨ ــ « شرح تشريح القانون لابن سيناء » وهو الكتاب الذى شرح فيه « ابن النفيس » الدورة الدموية الرئوية المسماة بالدورة الدموية الصغرى ، وكان بذلك أول من اهتدى الى اكتشاف هذه الدورة الدموية .

١٠ ــ « فصول مختارة من شرح تشريح القانون لابن سينا » وهو مطبوع وتوجد منه نسخة بدار الكتب برقم ١٨٧٠ طب .

١١ ــ « موجز القانون لابن سينا » وهو أشهر كتب ابن النفيس ، وأكثرها تداولا منذ تأليفه ، فقد انتشر الانتفاع به فى بلاد المشرق كلها ، ولذلك عنى الكثيرون بكتابة شروح له أو حواش عليه .

وظل الأطباء فى الهند يعتمدون عليه الى عهد قريب فطبع أول مرة سنة ١٨٢٨ ، وتوجد منه

عدة نسخ مخطوطة فى شتى مكتبات العالم ، وتوجد منه فى دار الكتب بالقاهرة ثمانى نسخ مخطوطة ، ونسختان مطبوعتان برقم ١١٣٥ — ١١٣٦ طب ، وقامت لجنة احياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بتحقيقه تحقيقا علميا، ويرجى أن تتمكن من نشره هذا العام . وقد وصفه حاجى خليفة فى كشف الظنون بقوله : « كتاب معتبر مفيد ، هو خير ما صنف من المختصرات والمطولات ، اذ هو موجز فى الصورة لكنه كامل فى الصناعة ، منهاج للدراية ، حاو للذخائر النفيسة ، شامل للقوانين الكلية والفوائد الجزئية ، جامع لأصول المسائل العملية والعلمية »(١) .

١٢ — « شرح أوبئة أبقراط » مخطوط بمكتبة أبا صوفيا باستانبول برقم ٣٦٤٢ .

١٣ — شرح لكتاب « مسائل فى الطب » لحنين ابن اسحق . مخطوط محفوظ بمكتبة ليدن برقم ١٢٩٦ .

كتاب موجز القانون

هذا الكتاب كان أكثر كتب ابن النفيس انتشارا فى العالم الشرقى ، فقد عنى فيه بتلخيص آراء الرئيس ابن سينا فى كتاب « القانون » عدا ما كان منها خاصا بالتشريح ووظائف الأعضاء(٢) فى القرن السابع الهجرى الذى يوافق القرن الثالث عشر المسيحى ، وقد جاء هذا التلخيص بطريقة علمية دقيقة ، كما جاء شرح ابن النفيس للمادة الطبية الواردة فيه بأسلوب سهل واضح ييسر الانتفاع به من الناحية العملية مما جعل الكثير من العلماء يقبلون على التوسع فى شرح هذا الموجز أو التعليق عليه ، وقام بعضهم بترجمته الى لغات أخرى ، واقبل الأطباء على الانتفاع به ، والاسترشاد بما جاء فيه وفى شروحه من آراء علمية أثناء ممارستهم للطب فى جميع بلاد المشرق منذ تأليفه الى عهد قريب فى العصر الحديث ولذلك كثرت مخطوطاته ومخطوطات شروحه والتعليق عليه فى جميع مكتبات العالم الشرقى ، وتسرب الكثير منها الى مكتبات العالم الأوربى . ولما جاء عصر الطباعة طبع لأول مرة فى كلكتا سنة ١٨٢٢ م ثم فى لاكنو بالهند سنة ١٩٠٦ م حيث كان الأطباء الهنود مهتمين بالاسترشاد به أثناء ممارستهم للطب .

واشهر المعلقين على هذا الكتاب النفيس هو « ابن عوض الايرانى الأصل طبيب أولك بك التيمورى » ، وقد طبع ونشر هذا التعليق أكثر من مرة، وكان عشابو مصر يسترشدون به الى عهد قريب »(٣) ، وقد أشاد بهذا الكتاب الكثيرون من أصحاب كتب التراجم وكتب البيليوغرافيا ، فقد قال عنه الخوانسارى : « كتابه المعروف بالموجز لقانون ابن سينا كتاب نفيس فى الطب ، متداول بين أهل الفن ، كافل لجميع أبوابه ومقدماته »(٤) .

ما قيل عن ابن النفيس من علماء عصره

وقال عنه طاسن كبرى زادة : « ومن الكتب المختصرة النافعة غاية النفع ، المباركة للطلاب كتاب الموجز لابن النفيس على بن أبى الحزم الطبيب المصرى صاحب التصانيف الفائقة فى الطب »(٥) .

وقال عنه حاجى خليفة : « كتاب معتبر مفيد ، وهو خير ما صنف من المختصرات والمطولات ، اذ هو موجز فى الصورة لكنه كامل فى الصناعة ، منهاج للدراية ، حاو للذخائر النفيسة ، شامل

---

(١) ج ٢ ، طبع الاستانة ١٩٤٣م .
(٢) ابن النفيس لبول غليونجى ص ١٠٢ — ١٠٣

(٣) بول غليونجى : المرجع السابق ، والعشابون هم المعروفون فى عصرنا بالعطارين وكانوا هم الذين يقومون بتحضير الأدوية من الاعشاب المختلفة طبقا لما يصفه الاطباء .
(٤) روضات الجنات .
(٥) مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم طبعة القاهرة ت ٩٦٨هـ — ١٥٦١م .

للقوانين الكلية والفوائد الجزئية ، جامع لأصول المسائل العملية والعلمية »(١) .

وقد رتب الرئيس ابن سينا كتاب القانون على خمسة فنون ، ولكن ابن النفيس رتب موجزه على اربعة فنون فقط ، فقد رأى أن يضم الأدوية والأغذية المفردة الى الأدوية والأغذية المركبة ووصفهما فى فن واحد(٢) وبذلك جاء هذا الكتاب مشتملا على :

الفن الأول :

١ ــ قواعد الجزء النظرى من الطب .

٢ ــ قواعد الجزء العملى من الطب .

الفن الثانى :

١ ــ أحكام الأدوية والأغذية المفردة .

٢ ــ فى الأدوية المركبة .

الفن الثالث :

فى الأمراض المختصة بعضو عضو واسبابها وعلاماتها ومعالجاتها .

الفن الرابع :

فى الأمراض التى لا تخص عضوا دون عضو .

وقد عنيت لجنة احياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية بأمر تحقيق هذا الكتاب عناية كبيرة لما له من اهمية قصوى فى تاريخ الطب وطرق العلاج ولذلك اختارت اربع نسخ من أحسن النسخ المحفوظة فى دار الكتب بالقاهرة، وصورت نسخة خامسة عن نسخة مكتبة الأمبروزيانا فى ايطاليا وهى نسخة كتبت بعد وفاة المؤلف بست سنوات فقط ، ووقع اختيار اللجنة على الأستاذ عبد الكريم ابراهيم العزباوى ، وكان أحد أعضائها ، ليقوم بالتحقيق ، فلما اتم الأستاذ تحقيق الكتاب عهدت اللجنة الى عضوين من أعضائها هما الأستاذين : عبد العزيز عبد الحق حلمى والدكتور امام ابراهيم احمد بمراجعته ، فتفضلا مشكورين بالمراجعة وابديا ملاحظاتهما القيمة على التحقيق ، ونظرا لأهمية هذا الكتاب فقد قامت اللجنة مجتمعة بمراجعة هذه الملاحظات ثم عهدت الى الأستاذ المحقق باستدراك ما اعتمدته منها .

ونظرا لأهمية هذا الكتاب من الناحية التاريخية والعلمية ، ولأنه يوضح جانبا من الجهود البناءة التى بذلها علماء المسلمين فى خدمة الطب والارتقاء بطرق العلاج مما كان له من أثر كبير فى خدمة الحضارة الانسانية ، فقد وقع اختيار لجنة احياء التراث على الاستاذ الدكتور أحمد عمار نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة ليقوم بمراجعة الجهود التى بذلت فى التحقيق من الناحية العلمية الطبية نظرا لما لسيادته من قدم راسخ فى دراسة الطب ومزاولته بصفة عامة ودراسة تاريخ الطب عند العلماء المسلمين بصفة خاصة ، وقد قبل سيادته مشكورا القيام بهذه المهمة العلمية ، وابدى تقديره لما بذل من العناية الفائقة حتى يمكن نشر الكتاب على الناس فى صورة علمية صحيحة .

ويتضح مما ذكرناه مدى الجهد الكبير الذى بذلته اللجنة والاستاذ المحقق والاساتذة المراجعين للوصول الى الدقة المطلوبة لاحياء هذا الكتاب العلمى النفيس الذى يعتبر احد كنوز التراث العربى ، حتى جاء تحقيقه مطابقا لمنهج لجنة احياء التراث بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية ، ولذلك ترجو اللجنة ان يوفق المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الى نشره مطبوعا خلال هذا العام (١٤٠٣ ــ ١٩٨٣ م) .

والله الموفق

---

(١) كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون استانبول ج ٢ ــ ١٩٤٣م .

(٢) بول غليونجى : المرجع السابق .

يا قومنا أجيبوا داعي الله

فضيلة الشيخ محمد حافظ سليمان

- يقول الله عز وجل :
« ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » .

- ويقول جل جلاله :
« قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

- ويقول جل شأنه :
« ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والى الله عاقبة الأمور » .

الأمة المحمدية أمة تؤمن برب العالمين وتعرف تاريخها وحاضرها وترسم للدعوة الطريق على بصيرة ، (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال أننى من المسلمين) انه لكى يحقق الاعلام الدينى أهدافه يجب أن يكون صورة لماضينا ، ووجها لحاضرنا . وأملا لمستقبلنا ، لأن الدعوة الى الله قائمة ودائمة مادامت السموات والأرض ، ولشبابنا اليوم واجب علينا وهو أن ندعوه الى الله على بصيرة وبينة من الأمر ، والدعوة الى الله على بصيرة هى العلم بموضوع الدعوة التى جاء بها النبيون من ربهم ، فليس بعد رسالات الله رسالات ، وليس بعد القرآن كتاب وليس بعد سيدنا رسول الله محمد ابن عبد الله رسول ، فماذا بعد الحق الا الضلال ؟ والله يقول :

(شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، ...) لأن أمة التوحيد أمة واحدة لا تتفرق ولا تتمزق (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلى لااله الا الله ، ولا ريب أن الدعوة الى الله أسمى رسالة ، لأنها تأمر بالخير وتنهى عن الشر ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (قل آمنت بالله ثم استقم) وبالاستقامة يستقر الأمر ويستتب الأمن .

والدعوة الى الخير فرض على كل مؤمن يخشى الله ويرجو رحمته ويخاف عذابه والله يقول **(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم)** والدعوة لابد أن تتفق مع طبيعة الاسلام ، فلا تزمت ولا تسيب ، ولا استهتار ولا تشدد ، ولكنها الأمانة فى القول والصدق فى العمل والاخلاص للحق الواضح المستبين ، لأن الحق شىء واحد لا يتعدد ولا يتبدد ولا يجمد ولكنه يقدس ويقدر ويصان ويمجد ، فلا تهويل ولا تهوين ، ولا اعتماد فى شرح دين الله الا على المصادر النقية الصافية الخالصة من الشوائب والشبهات **(وما آتاكم الرسول**

فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ...) وما جاءنابه رسول الله هو الدين الذى أكمله الله بقوله « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ...**)

ولنا على شبابنا حق ! هو الا يأخذ الحقائق الدينية الا من أولى العلم والمعرفة . (ومايعقلها الا العالمون) .

ولنا على شبابنا أن يتيقظ لما يراد به من أفكار مسمومة وآراء محمومة يقذف بها الشراح والمؤولون المغرضون فى الأذهان للاساءة الى الاسلام باسم الاسلام (**فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله . ومايعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولوا الألباب ..**)

ولابد من أن يكون شبابنا أمينا على دينه صادقا مع نفسه ومع ربه ومع بلده ، (**اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن**) ، ولنا على شبابنا أن يهتم باتقان العمل واستثمار الوقت فالعمر فرصة وحيدة للعمل ، فالاجتهاد واجب قبل فوات الأوان (**ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه**) .

ولنا على شبابنا أن يتصف بمكارم الأخلاق فمابعث رسول الله الا ليتمم مكارم الأخلاق) ومن مكارم الأخلاق الصدق والأمانة والعفة والعزة والنبل والفضل والاخلاص فى القول والفعل ومراقبة الله سرا وعلانية (وهو معكم أينما كنتم . .) (**يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور**) .

ولنا على شبابنا أن يكون قويا بقوة الايمان جليلا بجلال الحق متعاونا على البر والتقوى (**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**) . وذلك لأن المؤمنين اخوة .

ولنا على شبابنا أن يستقل برأيه السديد الذى يحمى عقيدته ويصون خلقه من غير كبرياء ولا استعلاء ولا اعتداء أو تهور أو تطور ، لأن الدين يكره الرعونة والهوج والخروج عن الحدود التى رسمها الله ورسوله فى شرائعه التى أقرها العقل وأيدها النقل ، (**هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون**) . (**الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**) .

ولنا على شبابنا الا يعيش فى فراغ دينى معتمدا على النشاط الرياضى وحده : لأن الانسان جسد وروح ، والمؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، والاسلام يريد من المسلم أن يكون قوى المناكب مفتول السواعد ، ولكن الانسان انسان بأخلاقه وسلوكه وعلمه وعمله (**والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**) .

ولنا على شبابنا الا يندفع وراء كل رأى لا يستبين رشده ، ولا يتضح أمره والا ينقاد لجماعة لا يظهر غرضها الخفى أو هدفها الحقيقى ، وليعلم الجميع أن الاسلام لا يرضى للمسلمين أن يجزئوه ولا أن يضيعوه ولا أن يميعوه ، ولا يقبل أن يكفر المسلم أخاه الا اذا أرتد أو اعتنق دينا غير دين الله الذى ارتضاه والله يقول (**ولاتلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون**) .

وليحذر شبابنا كل الحذر ممن أضلهم الله على علم فسلكوا غير سبيل المؤمنين واتبعوا منهجا غير منهاج المصلحين المتقين والله يقول : (**ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون**) ، ونحن نعتقد أن شبابنا من خيرة الشباب لو سلك المنهج القويم والصراط المستقيم ، **وشبابنا** هم الرجاء والأمل ، وهم زينة الحياة فى الحاضر والمستقبل ، وهم القوة فى كل عمل ، فعلى علمائنا أن يبصروهم بحقائق دين الله كما جاء به سيدنا محمد بن عبد الله ، من عند الله فلا يطوع للهوى والله يقول (**ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**) : وذلك لكيلا تتنازعه الثقافات المتناقضة أو المذاهب الوافدة فيقف حائرا ازاء المزيج العجيب المتناقض من هذا التأويل الدخيل فى شرح المفاهيم الدينية ، ولكن الله يقول (**وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) ، من أجل ذلك كانت الدعوة الى الله ضرورة وفريضة وهى ليست بالأمر الهين ، ولكنها أمر أرسل الله به رسله مبشرين ومنذرين من لدن أن بعثهم لعباده الى أن يرث الله الأرض ومن عليها والله يقول : (**وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين**) .

وذلك لأن الحياة لا يصلح شأنها ولا يستقيم أمرها بغير السماحة والخلق الكريم وبالقدرة والدعوة انتشر الاسلام (**لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة**) ولقد وضع الله للدعاة منهجا واضحا ورفع شأن المخلصين وأعلى قدرهم ، لأنهم يجمعون شتات النفس على طاعة الله بتوصيل الحقائق الألهية الى النفس البشرية بطريقة غير جافة لتزرع الحب والود فى قلوب الناس جميعا ولابد أن تكون الأقلام متجهة الى بناء الشخصية المثالية التى تنفع الأمة

لطهارة السيرة ونقاء السريرة واتزان الفكر .

فقد جاء الاسلام بتوضيح أنماط القدوة بتقرير القواعد الأساسية للتربية الأخلاقية بمثل هذا الدرس التربوى الأبوى الذى قاله لقمان لأبنه وهو يعظه فاصبح قرآنا يتلى وقد اختاره ربنا للتعلم منه كيف يربى الآباء الأبناء ولكيلا يقتصر الهدف على المظهر دون المخبر ، ولكيلا يتردى الانسان فى مهاوى النفاق وهو شر يخادع به المنافقون ربهم وما يخدعون الا أنفسهم وما يشعرون ولهذا كانت التقوى خير زاد للقلب والنفس والوجدان (وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون ياأولى الألباب) .

ومما لا ريب فيه أن التقوى عصمة من الانحراف، هذا وانى اليوم لأتوجه بكل الحب والاخلاص الى الزملاء علماء الدعوة والذين شرح الله صدرهم لهذه المهمة فرفع بها قدرهم فقال **(يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات)** أتوجه بكل الاعزاز اليهم وقد ملأ الله قلوبهم علما وايمانا وتثبيتا — أن يقدموا الزاد الثقافى لأبناء هذا الجيل بما يغذى عقولهم بالحقائق الدينية التى تهدى للتى هى أقوم وتبنى الشخصية الانسانية السليمة المستقيمة المستنيرة بنور الايمان **(ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) .**

ويجب الا نبتعد عن شبابنا وعلينا أن نلتقى به لقاء مفتوحا فى حوار صريح يبين الرشد من الغى ويزيل الشبهات والحملات على الاسلام بأسم الاسلام ، واليوم نرى الدعاة يواجهون صراعا فكريا وافدا وغير وافد ، عقائديا وغير عقائدى، يركز جهوده المقنعة المغلفة على استمالة النفوس الهزيلة لفراغ فيها أو بمال يغريها ليحتويها أو بتسليط أجهزته المقتدرة عليها ليستميلها ويستهويها، وبعدئذ يغرس أفكاره فيها تنفيذا لمخطط مرسوم وهدف معلوم : ولقد تسلل هذا الغزو الى مهبط الرسالات وأرض النبوات فالتقت بنفوس هزيلة ضئيلة قليلة انخدعت ببريق خداع يضع السم فى العسل لينشر الضرر ويبعث بالخطر الى الضحايا، وقد هيأوا له الكثير والمال الوفير لتحقيق الغزو الزاحف الدؤوب وبهذا يضعون الأشواك فى طريق الدعوة التى تسير بقوتها الذاتية أمام هذا الزحف الخفى القوى ، ولقد أحس علماء الدعوة بضخامة المسئولية الملقاة على عاتقهم لمواجهة الأخطار والأخطاء التى تبدو سافرة تارة ومختفية تارة أخرى ، ! أما الشراح والمخرجون الذين يحرفون الكلم عن مواضعه فهم يخلطون أهواءهم وآراءهم بالتأويل الذى يرضى نفوسهم بعيدا عن الصواب والرشد ، والله يقول (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم) :

ان الاسلام يدعو الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادل بالتى هى أحسن ويدفع بالتى هى أحسن ، ثم هو يعرض فضائله على الناس من غير أكراه ولا تسلط والله يقول (وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) .

ومن الخير أن يباشر الآباء المسئولية نحو أبنائهم فليس يعفى والد ولا والدة من المسئولية عن الذرية ، لأن الأسرة مجتمع صغير يبنى المجتمع الكبير فاذا صلحت الأسرة صلحت الأمة، لأن الأمة تتكون من مجموع اسر **« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »** والله يقول **(وأمر أهلك بالصلاة) : (قوا أنفسكم وأهليكم نارا)** وعلى جماهيرنا أن تأخذ العلم من أهل العلم الذين تخصصوا فيه وتعمقوا فى فهمه .

« فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » .

ولكى تؤدى الدعوة دورها لترسم الطريق المستقيم والتوجيه السليم يجب تيسير الثقافة النقية الصافية البعيدة عن الهواجس والوساوس لشبابنا ، ليأخذها من مصدرها الأصيل (القرآن) لأن الله قد جعل القرآن الكريم خلقا لرسوله الكريم ، فكان به أسوة حسنة ولأنه جاء من عند الله صانع النفوس فاذا استقام المنهج سلكت الدعوة طريقها الى مجتمع الفضائل والهدى ، وان الوطنية الحقة لا تنبثق الا من المجتمع المؤمن، وذلك لان الدين لا ينفصل عن الدنيا وعن آفاق الحياة النابضة الناهضة لأنه رباط بين المسلمين فى كل وقت وحين ، وهو يوجب على أتباعه شيبا وشبانا أن يعتصموا بحبل الله لكيلا تنكسر بتفرقهم شوكة الأمة الواحدة ، وباذاعة التشكيك فى الاعتقاد وبث روح الألحاد التى يروجها أصحاب الأقلام الملوثة لتملأ الفراغ الثقافى الدينى بما ينأى بالمسلمين عن أمجادهم وحضارتهم وتقاليدهم الفاضلة الكريمة :

فان لم توجد الدعوة الموحدة الواعية جاء الفراغ ، ومن الخير أن يعاد بناء أجهزة الدعوة بأقوى العناصر من العلماء الأتقياء ليكونوا قدوة فى القول والفعل .

لأن الداعية الصادق مع الله ومع نفسه يكون قويا ذكيا دقيق الملاحظة رقيق الحس واسع

المعرفة ولأن الدعوة الى الله تعتمد على ايمان الداعى برسالته وعلى تيسير مهمته ، ومما لا ريب فيه أن الدعوة ليست بالأمر الهين فلا يقدر على حملها المهازيل ، ومن ثم يجب .

١ — تدعيم وتنظيم أجهزتها فى جهاز واحد قوى لئلا يكون التعدد سببا فى التفرقة فى المعاملة والمنهج والخطة وأسلوب العمل .

٢ — لا يرغم من لا يرغب فى العمل فى ميدان الدعوة على الالتحاق بها عن طريق (القوى العاملة) لأن الدعوة رسالة وليست مهنة لأكل العيش ولا وظيفة تؤدى جسما بلا روح ، ولأن الايمان بالدعوة أول واجبات الداعية .

٣ — ولابد من اختيار الدعاة الآن وبعد الآن بمسابقة أمينة لانتقاء أفضل العناصر الصالحة من العلماء القدوة ذوى القدرة .

٤ — العناية بالدعاة ومنحهم الثقة والرعاية والحصانة ، فهم أهل للثقة بهم ، وهم حصن لأمن الدولة بأخلاقهم وباخلاصهم ووطنيتهم وصدقهم مع الله ومع أنفسهم ومع الناس وذلك يكون بجعل كادر لهم أو حوافز تجذب ذوى الموهبة من النابهين الى هذا العمل فهم بشر وعليهم أعباء حياة وهم أصحاب أسر وعليهم واجبات لها .

٥ — تيسير مهمة الدعاة الوعاظ الذين ينتقلون بين المدائن والقرى بتخصيص وسيلة للانتقال فى وقت أصبحت فيه السيارة ضرورة أسوة بغيرهم من موظفى الدولة الذين يحتاج عملهم للانتقال ، وذلك حفظا لهيبتهم وتأكيدا لشخصيتهم وحماية لعزتهم وكرامتهم وتسهيلا لمهمتهم ومساواة بغيرهم وصونا لوقارهم .

٦ — ولابد فى المستقبل من انشاء معاهد دينية للطلاب المتفوقين يلتحق بها من يحفظ القرآن الكريم لتربية الدعاة من أول يوم مع منحهم مكافآت ومميزات فى جميع مراحل التعليم وبذلك يكون الدعاة أهلا لمواجهة الجماهير بالمعارف الدينية القيمة .

٧ — التعاون الجاد مع المهتمين بتربية الشباب فى كل المجالات والحالات فى أماكن التجمعات لنشر الدعوة بين الشباب والطلاب والصناع والزراع وغيرهم تعميما للنفع .

٨ — التعاون مع الصحافة الدينية الواعية لتجلية جوهر الاسلام والبعد به عن أهواء المغرضين والمحرفين والمخرفين الذين يصبغون القول بغير صبغة الله ،

٩ — مراعاة الآداب فى كل ما ينشر لتربية الذوق السليم والخلق القويم فى الاتجاه الكريم احتراما لشمائلنا وفضائلنا ومنع تداول الصحافة الوافدة المستهترة بالقيم الدينية .

١٠ — مراقبة الكلمة المكتوبة ومصادرة الكتب التى تنشر الهمجية باسم الحرية .

١١ — العناية الجادة الصادقة بمراقبة الأقلام الهابطة والتمثيليات الساقطة لمنع العبث والاستهتار واشاعة ما يثير الفوضى ويحرض على الخروج عن الحدود .

١٢ — ملء الفراغ المدرسى بالجو التربوى الدينى بمنهج أخلاقى فى جميع المراحل لأن الوطن كل لا يتجزأ والأخلاق لا تتجزأ والغذاء الروحى زاد يربى الأفراد والجماعات ، وبناء النفوس مكمل ومتمم لبناء الأجسام) **(قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) .**

١٣ — انشاء جهاز من خيرة العلماء يشرف على الشئون الدينية فى الاذاعة والتليفزيون من المتخصصين المتفقهين فى الدين لأن لكل انسان تخصصه فى عمله .

١٤ — تحصين المساجد الأهلية من أدعياء الدعوة الدينية ممن لم يتفقهوا فى الدين ولكنهم يخلطون الحقد بالنقد يشككون الناس فى العلماء الأوفياء لدينهم .

١٥ — التخطيط السليم الواعى لنشر الثقافة الاسلامية ودعم الكتاب الاسلامى ونشره لمنع الأجواء الفاسدة والقضاء على سموم الملاحدة فلا ينبغى أن نتلمس العلم من الجهالات ولا النور من الظلمات ، ولا الهدى من الضلالات .

١٦ — جمع الكلمة على الهدى من غير افراط ولا تفريط ، فلا داعى للتناقض العجيب والمزيج الغريب الذى نراه ممن يتبعون أهواءهم فى فهم الحقائق الدينية ، فثمة فريق يجزىء الدين ، وفريق يميعه ، وفريق لهوى نفسه يطوعه ، وفريق يكفر المسلمين مع علمهم بأن الحق أحق أن يتبع والحق ثابت لا يبلى ولا يفنى ولا ينسى .

والله يقول (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) .

ويقول (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) ويقول عز وجل (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون .

١٧ — واذا قامت الدولة برعاية الدعوة حق رعايتها تحقق الخير واستتب الأمن ، وامتلأت النفوس ثقة بالعلماء ، فقد اعتادوا الثقة بهم منذ أكثر من عشرة قرون ، ولابد من أن يحق الله الحق ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ..

في

ذكرى الهجرة

الاستاذ محمد عبد المنعم ابراهيم

هيا اسطعى فى سماء الحق واسقينا ... من جنة الخلد .. هاتيها وزيدينا
هيا اترعى وامنحى الظمآى .. حلاوتها ... هاتى لنا الدنيا ، هاتى لنا الدينا
اليوم يوم الهدى .. والشمس اذ طلعت ... بل نور (أحمد) هادينا وراعينا
تلقى المدينة فى اشراق موكبه ... عيدا أحال الغضى فيها بساتينا
يشدو الجميع .. بأن (البدر) طالعنا ... وأنه الصبح بالأنوار يهدينا
مواكب الخير فى دنيا وآخرة ... كانت لدعوته العليا ميادينا

***

شاد المكارم والصحب الكرام على ... تشييده لصروح المجد يبنونا
بنى الفضائل بيتا والاخاء حمى ... وشرعة العدل للبنيان تحصينا
فبلسم البر من جدواه ينقذنا ... وكوثر الوحى من يمناه يروينا
تاج النبوة فرد فى رسالته ... الى مزاياه معراج النبيينا
شاهت عقول أرادت موت منقذها ... تبت يداهم وتبوا من مضلينا
ساروا الى الغار يبغون الذى شرفت ... بذكره البيد واهتزت رياحينا
جبريل رائده والله حارسه ... هل ينشد المرء ، بعد الله ، تأمينا ؟ !

***

ماضى العروبة باق فى (محمدها) ... ونحن فيه الى العلياء ماضونا
حتام نشكو الظما والماء يغمرنا ... ومنبع الطهر يجرى فى أراضينا
حتام نشكو الضنا والسعد فى يدنا ... يكفى جميع الورى طرا .. ويكفينا
حتام نبطىء ، والدنيا مواتية ... وموكب العز للعلياء يدعونا
ميراثنا أبدى المجد ، متصل ... كنا وكانوا .. فهل نغدو أساطينا ؟ !
يا يوم غار الهدى غاض الوفاء اذا ... لم نجز يمنك .. اطراء بوادينا

الكناية والتصريح فى اللغة القرآنية « بقية »

دخلتم بهن ، فلا جناح عليكم » . وقال أكثر الفقهاء : ان الملامسة كناية عن الجماع فى قوله تعالى فى سورة النساء : **« ياأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون ، ولا جنبا الا عابرى سبيل حتى تغتسلوا ، وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء ، فتيمموا صعيدا طيبا »** .

وقال بعض الفقهاء ان الملامسة هنا حقيقة فى اللمس باليد أو غيرها من أعضاء الجسد ، يقول المبرد : وليس الأمر عندنا على الكناية ، وما أصف هو مذهب أهل المدينة : مالك وأصحابه، فقد قالوا : انه قد فرغ فى الآيتين من ذكر أثر الجماع ، وهو الجنابة ، تصريحا . وانما الملامسة أن يلمسها الرجل بيد أو بادناء جسد من جسد ، فذلك ينقض الوضوء فى قول أهل المدينة ، لأنه قال تبارك وتعالى بعد ذكر الجنب : **« أو لامستم النساء »** .

أما قوله تعالى فى هاتين الآيتين : **« أو جاء أحد منكم من الغائط »** فانه وان كثر حتى صار تصريحا فى قضاء الحاجة ، لم يكن فى الأصل الا كناية عنها ، فان « الغائط » فى أصل معناه ، هو : المكان المطمئن من الأرض ، لأن العرب كانوا اذا أرادوا قضاء حاجتهم ، بعدوا عن العيون الى منخفض من الأرض ، فسمى مايخرج غائطا باسم المكان على طريق الكناية عنه ، ولكنه كثر فى كلامهم استعماله على هذا النحو ، فصار بمنزلة التصريح .

وقد ورد الغائط بمعنى المكان المطمئن من الأرض ، فى قول عمرو بن معد يكرب :

وكم من **غائط** من دون سلمى
قليل الانس ليس به كتيع

اى ليس به أحد .

ويذهب الحجازيون الى أن اطلاق « النكاح » على العقد حقيقة ، بدليل قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ، ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ، فمالكم عليهن من عدة تعتدونها » . **أما اطلاق « النكاح » على الفعل فانه كناية ، كما فى قوله تعالى : « فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » ، فالنكاح فى هذه الآية الكريمة كناية عن الوطء ، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة القرظى : « حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك »** . **وفى هذا الكلام للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، كناية عن الفعل كذلك .**

وهكذا نرى أدب القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، فى الرغبة عن اللفظ الخسيس المفحش ، الى مايدل على معناه من غيره .

فان قيل : فما بال القرآن الكريم يعدل عن الكناية الى التصريح بالعورة فى قوله عز وجل : **« والتى أحصنت فرجها ، فنفخنا فيها من روحنا »**؟ فاننا لانجد اجابة خيرا من اجابة الامام السهيلى فى كتابه : « التعريف والاعلام » ، حيث يقول : « أخطأ من توهم هنا الفرج الحقيقى ، وانما هو من لطيف الكنايات وأحسنها ، وهى كناية عن فرج القميص ، أى لم يعلق ثوبها ريبة ، فهى طاهرة الأثواب . وفروج القميص أربعة : الكمان والأعلى والأسفل . وليس المراد غير هذا ، فان القرآن أنزه معنى ، والطف اشارة ، وأملح عبارة ، من أن يريد ماذهب اليه وهم الجاهل ، لاسيما والنفخ من روح القدس » . والله أعلم .

أخبار العالم الإسلامي

إعداد
شمس الدين ابراهيم - السيد عليوة - صلاح شحاته

١٧ دولة اسلامية تشارك
فى افتتاح ندوة الخبراء عن وظائف المسجد
فى محـو الأمية وتعليم الكبار

قام فضيلة الامام الأكبر الشيخ جـاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر وفضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الأوقـاف والدكتور الوزير حمـدى الحـكيم محافظ المنوفية بافتتاح ندوة الخبراء عن وظـائف المسجد فى محـو الأمية وتعليم الكبار التى يقيمها المركز الاقليمى لتعليم الكبار بسرس الليان فى محافظة المنوفية مساء يوم الاثنين ١٩٨٣/٩/٢٦ وقـد أوفـدت ١٧ دولة اسلامية من الدول العـربية والاسـيوية والأفريقيـة ممثليها كمـا حرصـت الدول الاسلامية على ايفاد نخبة من خيرة رجالها من علماء الدين الاسلامى ومن رجالات التربية والتعليم وقد أعلن الدكتور عبد الفتاح جلال مدير المركز أن الندوة تستمر لمدة خمسـة أيام وسيتم دراسة عدة موضوعات تتناول

- وظائف المسجد فى المجتمع الاسلامى المعاصر وفقا للاحكام الفقهية .
- مهام المسجد فى تعليم الكبار بالمعنى الواسع .
- مشكلة الأمية فى الدول الاسلامية .
- الأساليب المستخدمة عالميا فى محـو الأميـة .
- برامج محو الأمية من خلال تعـليم القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .
- رسالة الجامع الأزهر عبر التاريخ فى محو الأمية وتعليم الـكبار كنموذج مشرف للمسجد الجامع .
- النمط المعمارى للمسجد الجامع بحيث يراعى القواعد الفقهية ويحقق الوظـائف المختلفة .
- القوى البشرية والأساليب التنفيذية والتنظيمية اللازمة لتحقيق مهام المسجد فى محو الأمية وتعليم الكبار .

وقد القى فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الأوقاف كلمة تحدث فيها عن مكانة المسجد فى صدر الاسلام كمركز للقيادة فى كل أمور الدين والدنيا ومصدر العلم والمعرفة ومحور التقدم فى شتى المجالات .

ونسال الله تعالى أن يجعلنا بفضله ممن ذكرهم فى قوله تعالى :
« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصـال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يومـا تتقلب فيه القلوب والأبصار » .

الدسوقى .. وزمزم

يبحثان احتياجات البحيرة .. ومشكلاتها

قام فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للأوقاف فى أول سبتمبر بزيارة لمحافظة البحيرة ، حيث التقى والسيد / لبيب زمزم محافظ البحيرة ، وبحثا معا احتياجات المحافظة من مشروعات تقوم بتنفيذها هيئة الأوقاف ومتابعة نشاطها فى المحافظة ، والحفاظ على ممتلكات الأوقاف من أطيان وعقارات ، وسرعة استرداد الأوقاف المغتصبة ..

كما تدارسا احتياجات المحافظة من المراكز الاسلامية والمطبوعات التى يقوم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بتنفيذها.

هذا وقد تم عقد مؤتمر حضره رجال الدعوة الاسلامية والمسئولون بمنطقة أوقاف البحيرة لمتابعة نشاطاتهم فى مختلف المجالات، وحل المشكلات التى تعترض سبل العمل، كما حضره أيضا كبار المسئولين فى هيئة الأوقاف ، والمسئولون عن نشاط الدعوة الاسلامية بالمحافظة ..

وقد طالب فضيلة الوزير بضرورة الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم ، وانشاء المعاهد القرآنية وتزويدها بالمحفظين ووضع خطة لقوافل التوعية لتغطية التجمعات الشبابية والعمالية بالتوعية والارشاد وعقد الندوات الدينية ، وانشاء مكتبات عامة وتزويدها بالمراجع والكتب العلمية والثقافية والدينية فى كل من دمنهور وكفر الدوار ..

ومن ناحية أخرى تمت مناقشة المشاكل التى تعترض الدعوة بالمحافظة والعمل على حل المعوقات التى تعترضها .. وتوفير الأئمة وضم المساجد ..

مجلس ادارة مؤقت
لنقابة محفظى وقراء القرآن الكريم

أصدر فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للأوقاف قرارا بتشكيل مجلس ادارة مؤقت لنقابة محفظى وقراء القرآن الكريم .. على أن يكون الشيخ عبدالباسط محمد عبد الصمد (نقيبا) ،والشيخ محمود على البنا (نائبا للنقيب) ، والشيخ أحمد الشحات محمد الرزيقى (أمينا عاما للنقابة)، والشيخ محمد سيد أحمد الطوخى (أمينا للصندوق) ، والشيخ فتحى عبد الحليم مصطفى الطحان (أمينا عاما مساعدا) ، والشيخ محمود صديق المنشاوى (أمينا مساعدا للصندوق) .. وعضوية كل من المشايخ محمد محمود الطبلاوى ـ هاشم محمد هيبه ـ ابراهيم عبد الفتاح الشعشاعى ـ عبد الرحيم أحمد حنفى ـ محمود عزب البجرمى ـ أبو العينين شعيشع ـ عبد العاطى ناصف ـ نصر الدين طوبار ـ فؤاد العروسى ـ سيد عبد الشافى هلال ـ سعيد الفراش ـ طه سليم ـ أحمد سرور ـ محمد محمود حماد ـ وعبد المحسن حسن الباسوسى ..

وستكون أول مهام مجلس النقابة المؤقت الاشراف على تشكيل أول جمعية عمومية للنقابة وانتخابات النقيب واعضاء مجلس النقابة فى أول انتخابات تتم طبقا لأحكام القانون ٩٣ لسنة ١٩٨٣ ،

وتنتهى مهمة المجلس المؤقت باعلان نتيجة الانتخابات فى موعد لا يجاوز سنة من تاريخ العمل بهذا القرار .

لجنة الزكاة بمسجد السلطان الحنفى تشارك فى محو الأمية

قررت لجنة الزكاة بمسجد السلطان الحنفى فتح فصول لمحو الأمية للكبار من أبناء السيدة زينب تمنح شهادة معتمدة من وزارة التعليم بالاضافة الى جوائز للمتفوقين وقد تم اعداد استمارات للراغبين فى الالتحاق بهذه الفصول .

منحة دراسية من الحكومة الماليزية

أفادت سفارة ماليزيا بالقاهرة (القسم الاعلامى) أن تعلن أن الحكومة الماليزية قد قررت أن تقدم منحة دراسية لأحد المواطنين المصريين وهو المهندس / أحمد عباس محمد لكى يلتحق بدورة دراسية عن التنمية الصناعية الزراعية ، وذلك بالمعهد القومى للادارة العامة بكوالا لمبور .

ومدة هذه الدورة عشرة أسابيع تبدأ فى سبتمبر — نوفمبر ١٩٨٣ .

وتأتى هذه المنحة فى اطار عمل برنامج التعاون الفنى الماليزى وهو تقديم التعاون الفنى لبعض الدول النامية والاسلامية فى فى شتى مجالات التنمية والادارة الفنية فى ماليزيا .

والسيد أحمد عباس محمد من مواليد القاهرة ، حصل على بكالوريوس الزراعة من جامعة عين شمس وهو يعمل حاليا فى مصلحة الاصلاح الزراعى ، بوزارة الزراعة ، هذا وفى خلال هذا العام فقد استفاد من هذه المنح التى تقدمها ماليزيا ثلاثة دارسين من جمهورية مصر العربية.

وكانت استجابتهم لقبول هذه المنح مشجعا للغاية .

● زار مصر السيد / هارون الرشيد لقمان الزعيم الروحى للمسلمين بمنطقة مورو بالفلبين لدعم التعاون بين مصر والفلبين فى المجالات الثقافية والدينية والتقى بالمسئولين بالمجلس الأعلى للشئون الاسلامية كما التقى بالطلبة الفلبينيين الذين يدرسون بالأزهر .

موسوعة الفقه الاسلامى بالانجليزية

احدى جامعات أمريكا ستترجم موسوعة الفقه الاسلامى التى يصدرها المجلس الأعلى للشئون الاسلامية الى اللغة الانجليزية .

وصرح الدكتور جمال الدين محمود أمين عام المجلس بأن الموسوعة تضم الآراء الفقهية للمذاهب الاسلامية وسيتولى الترجمة علماء دينيون يجيدون الانجليزية بالتعاون مع الأساتذة الامريكيين تحت أشراف المجلس الأعلى للشئون الاسلامية.

مؤتمرات للدعوة الاسلامية بالمحافظات

صرح فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للأوقاف بأنه سيتم عقد مؤتمرات للدعوة الاسلامية تضم علماء الدعوة وائمة المساجد فى جميع المحافظات اعتبارا من شهر أكتوبر الحالى بواقع مؤتمر كل شهر.

وسيكون أول مؤتمر بمحافظة الاسكندرية ثم الشرقية والغربية والقاهرة وأسيوط وقنا .

افتتاحات ..

افتتح فضيلة الشيخ ابراهيم الدسوقى وزير الدولة للأوقاف مسجد وفرع شركة العربى بجزيرة بدران حيث أدى صلاة المغرب ، والقى كلمة بهذه المناسبة أشار فيها الى دعوة ديننا الحنيف الى الطهارة والتى فى ظاهرها تدعو الى النظافة وتدعو فى جوهرها الى طهارة القلوب..وتتسامى هذه الطهارة فى بيوت الله التى تربى فى الانسان اشرف ما فيه .. واضاف فضيلته الى حاجتنا بجانب طهارة القلب ، طهارة اللسان واليد والجوارح ..

هذا .. وقد بلغت تكاليف انشاء المسجد اكثر من نصف مليون جنيه على مساحة ٢٦٠ مترا مربعا .. ويضم حلقات لتحفيظ القرآن الكريم يتولاها محفظون متخصصون .

بمناسبة بدء العام الهجرى الجديد

يسر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
أن يزود القارئ المسلم والمكتبة الإسلامية بدراسة
متكاملة حول

« أصول المجتمع الإسلامى »

بقلم المستشار الدكتور جمال الدين محمود
أمين عام المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

ضمن سلسلة دراسات إسلامية
وتتضمن هذه الدراسة :-

- الاسلام والمجتمع الانسانى :..... خصائص المنهج الاسلامى
- الدين هو الأساس : ..... الأسرة المسلمة
- الكرامة الانسانية :..... تطلع المجتمع الأنسانى الى التكريم الالهى
- الحـــرية :..... الاسلام وحرية الاعتقاد ـ الرق المعاصر ـ حرية الفكر والـرأى ـ الشـورى والحرية السياسية
- المســاواة :..... التساوى والتفاضل فى الاسلام ـ هدم المعايير الزائفة للتفاضل

التسوية بين الحاكم والمحكوم

- الشـــورى :..... الشورى والديمقراطية المعاصرة ـ الحق فى المعارضة
- التكافل الاجتماعى :..... التعاون والتكافل
توظيف المال فى التكافل الاجتماعى
- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى المجتمع المعاصر ـ حدود الواجب

تصدر الرسالة فى منتصف شهر المحرم بمناسبة بدء العام الهجرى الجديد وحرصا على وقوف المسلمين وغيرهم على أصول المجتمع الاسلامى .

التحـــرير

من وحى الهجرة

الاستاذ محمود شاور ربيع

يا ليتنى كنت الرفيق لأحمد ... فى يوم هجرته أرود الغارا
وأرد عنه الوحش عن خير الورى ... وأرد عنه الناب والأظفارا
وأذود عنه بمهجتى ، فمحمد ... خير العباد ، أتى الحياة منارا
لو غاله الأعداء عدنا عصبة ... جهلاء تمضى فى الحياة حيارى
ونعود للأصنام نعلى شأنها ... ونعود نعبد ضلة أحجارا
ونقيم للطغيان سوقا رائجا ... نجنى به بعد الفلاح خسارا
ونعود نقتل بالخمور عقولنا ... ونعب منها خلسة وجهارا
قد جاءنا « المختار » نورا هاديا ... من نوره قد فجر الأنوارا
ما بال « مكة » ناصبته عداءها ... تسعى وقد حملت له البتارا
وتريد مهجته وتبغى قتله ... لكن ربك أعلم المختارا
فسعى الى خير الصحاب وهاجرا ... ومضى الحبيب وخلف الكفارا
وصلا الى « ثور » فهرول صاحب ... ليذود عن نور الهدى الاخطارا
ورأى « أبو بكر » فوارس مكة ... فبكى وخاف مهالكا ووبارا
فتبسم المختار قال مطمئنا ... الله ثالثنا فقر قرارا
الله يمنعنا ويحرس عبده ... ويرد عنه الكيد والأشرارا
رد العدو « بعنكبوت » أسدلت ... ستر النجاة على الحبيب ستارا
وعلى النسيج « يمامة » قد أفرخت ... ومضت تزق زواغبا وصغارا
لله جند لا ترى بعيوننا ... تحمى السماء وتحفظ الأقطارا
ومضى رسول الله يسعى آمنا ... والله أمنع عدة وجوارا
ان جاء طماع يحاول أخذه ... وجد الطريق مهاويا وعثارا
وارتد يدفع عنه كيد عدوه ... وبحبه قد ردد الأشعارا
واذا أراد طعامه جاءت به ... عجفاء درت خيرها مدرارا
قد مسها المختار فامتلأت غنى ... والله صحح جسمها المنهارا
يا رحمة الرحمان انك رحمة ... عمت وفاضت حولها أنهارا
أقبلت للجمع الكريم « بيثرب » ... والله أسعد بالسنا « الانصارا »
والله أعلى « للحنيفة » راية ... تبقى على هام الزمان فخارا

أنت تسأل والمفتى يجيب

فضيلة الشيخ عطية صقر

وضع الأكاليل على القبور وقراءة كتب الجنس

السؤال :

١ ـ ما رأى الاسلام فى وضع أكاليل من الزهور على القبر ؟

٢ ـ ما رأى الدين فى قراءة كتب الجنس بهدف المعرفة فقط ؟

سامى السيد الصفتى
اصطبارى ـ شبين الكوم

الجواب ١ : روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر على قبرين فقال : « انهما ليعذبان ، وما يعذبان فى كبيرة أما هذا فكان لا يستنزه من البول ، وأما هذا فكان يمشى بالنميمة » ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين ثم غرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا وقال « لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا » العسيب هو الجريدة التى ليس عليها خوص فان كان عليها خوص فهى السعفة .

وفى حديث مسلم عن جابر رضى الله عنه أن ـ النبى صلى الله عليه وسلم أمره أن يقطع غصنين من شجرتين كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ يستتر بهما عند قضاء حاجته ، ثم أمره أن يلقى الغصنين عن يمينه وعن يساره حيث كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ جالسا ولما سأله عن ذلك قال « انى مررت بقبرين يعذبان فأحببت بشفاعتى أن يرفعه عنهما ما دام الغصنان رطبين » .

وهناك قصة ثالثة رواها ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة أن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ مر بقبر فوقف عليه فقال « ايتونى بجريدتين » فجعل احداهما عند رأسه ، والأخرى عند رجليه .

أكثر من قصة وردت فى وضع الجريد على القبر ، والعلماء فى مشروعيته فريقان ، فريق يقول : انه خاص بالنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وليس مشروعا لغيره ، وفريق يقول : انه عام لكل المسلمين .

فالخطابى فى شرح سنن أبى داود «ج١ ص ٤٢» يستنكر وضع الجريد على القبر لغير النبى صلى الله عليه وسلم . والطرطوشى يعلل ذلك بأنه خاص ببركة يده عليه الصلاة والسلام ، ويد غيره لا يجزم ببركتها . وابن رشيد يستنتج أن البخارى مع هذا الفريق ، وذلك حيث عقب

الحديث بقول ابن عمر : انما يظله عمله ، وذلك بسبب فسطاط — بيت من الشعر أو غيره — وضع على قبر عبد الرحمن بن أبى بكر ، حيث قال : أنزعه يا غلام ، فانما يظله عمله . والقاضى عياض ينضم الى هذا الفريق ويقول : ان غرزهما على القبر كان بسبب أمر مغيب ، وهو قوله « ليعذبان » وليس هناك من الناس من يعلم بالغيب ، كما أن بعض العلماء من هذا الفريق قال : لم يثبت أن أحدا من الصحابة فعل ذلك الا بريدة بن الخصيب الأسلمى ، ولو كان جائزا ما تركوه وتفرد به واحد منهم .

والفريق المجيز لوضع الجريد على القبر لعامة المسلمين قال : لم يرد ما يدل على خصوصية النبى — صلى الله عليه وسلم — بذلك ، فيبقى فعله عاما له ولأمته ، على التآسى به فيما لايختص به ، كما أنه لم يرد ما يدل على أن الصحابة اعترضوا على ابن الخصيب الذى أوصى أن يوضع على قبره جريدتان ، بل روى الأكثرون أنه أوصى أن يوضع فى قبره لا على قبره ، وقد فعل ذلك تأسيا بالنبى صلى الله عليه وسلم . وعدم نقل أن الصحابة وضعوا الجريد على القبور لعله لعدم علمهم بأن صاحب القبر يعذب ، أو رجاء صلاحه واستغنائه عن ذلك .

وابن حجر رد على تعليل القاضى عياض غرز الجريد بأن العذاب مغيب لا يعلمه الا النبى — صلى الله عليه وسلم — فقال : لا يلزم من كوننا لا نعلم : أيعذب أم لا ، الا نتسبب له فى أمر يخفف عنه العذاب ان لو عذب ، كما لا يمنع كوننا لا ندرى : رحم أم لا ، الا ندعو له بالرحمة ، وليس فى السياق ما يقطع على أنه — النبى — باشر الوضع بيده الكريمة ، بل يحتمل أن يكون أمر به ، وقد تأسى بريدة بذلك ، وهو أولى أن يتبع من غيره « فتح البارى لابن حجر : ج ١ ص ٣٣ ، ج ٢ ص ٤٦٦ » .

والحكمة فى تخفيف العذاب مادامت الرطوبة فى الغصن قيل : أنها غير معلومة ، كالحكمة فى كون عدد الزبانية تسعة عشر ، وقيل : ان الغصن يسبح ما دام رطبا ، فيحصل التخفيف ببركة التسبيح ، وعلى هذا فهو مطرد فى كل ما فيه رطوبة من الأشجار وغيرها .

وقال الخطابى : انتفاع الميت بالجريدة محمول على أن النبى — صلى الله عليه وسلم — دعا لصاحبى القبرين بالتخفيف مدة بقاء النداوة ، لا أن فى الجريدة معنى يخصه ، ولا أن فى الرطب معنى ليس فى اليابس .

هذه هى المسألة بين المجيزين والمانعين ، وأرى أنه ليس فيها ما يدل على المنع ، وما دام هناك ايمان بأن النافع والضار هو الله وحده ، وأن ما نقدمه للميت من دعاء وصدقة وغيرهما هو من باب الأسباب التى تستمطر رحمة الله سبحانه، فلا داعى للانكار ، أما الورود والأزاهير الصناعية التى ابتدعها العصر فهى بعيدة عن مجال الاختلاف فى وضع الجريد والخضرة على القبور ، وليس القصد منها رجاء رحمة الميت ، فهى توضع لكل ميت بصرف النظر عن دينه وسلوكه ، كتقليد أجنبى ليس من الاسلام فى شىء .

٢ — أما قراءة كتب الجنس لمجرد الثقافة والمعرفة لا لغرض سلوكى ضار فلا مانع منها ، فكل المعارف بابها مفتوح على اتساعه فى الاسلام ، والحكم يتعلق بالغرض منها وبأثرها الناتج عنها ، وعلى هذا يختلف حكم قراءة هذه الكتب بين الشاب والمتقدم فى السن ، وبين غير المتزوج والمتزوج ، وبين الجاهل بحكم الدين فى مضمون هذه الكتب والعلم به . وعند عدم وجود ما يمنع من قراءتها تنبغى الموازنة بين المهم والأهم فى الاطلاع وشغل وقت الفراغ وانجاز الأعمال .

هذا وما جاء فى كتاب السائل عن الايمان بالأنبياء المذكورين فى غير القرآن نقول : ان الله كلفنا بالايمان برسله اجمالا دون معرفتهم ، أما من ورد ذكرهم فى القرآن الكريم فيجب الايمان بهم تفصيلا ، بحيث يمنع تكذيب أحد منهم ، لأنه تكذيب بالقرآن ، وعددهم خمسة وعشرون .

ومعنى « وان الدار الآخرة لهى الحيوان » أن الحياة الباقية الدائمة التى تستحق أن يهتم

بها المؤمن هى الدار الآخرة لأن الحياة الدنيا فانية ، والمتعة فيها غير خالصة . والنصوص الدالة على ذلك كثيرة فى القرآن والسنة .

الفرق بين الزهد والتصوف

السؤال : ما هو الفرق بين الزهد والتصوف ومعنى كل منهما بالتفصيل وأيهما يجب على الانسان اتباعه ؟

أسامة زكريا ابراهيم عيد
عزبة أبو عطوة ــ الاسماعيلية

الجواب : لا مجال لتفصيل ذلك هنا ، وباختصار نقول : ان الزهد هو عدم تعلق القلب بالدنيا والاقبال على الآخرة بما يلزمها من عبادة بجميع أنواعها ، أما التصوف فهو منهج تربوى أخلاقى نفسى فلسفى ، وهو كما يقول الباحثون امتداد للزهد أو تطوير له ، ضم الى العبادة فكر أو فلسفة نتجت عنها طقوس وتعبيرات فيها غموض على من لم يدرسها أو يدخل فى تجربتها عمليا ، وكما يقول المؤرخون كان الصحابة زاهدين زهدا بمعناه الصحيح ، وعندما تقدم الزمن ووجدت الفتن آثر بعض السلف البعد عنها منصرفين الى العبادة فعرفوا بالزهاد ، وبتقدم الزمن دخل على طريقتهم العملية أفكار جديدة ، ووجد منهم ما يشبه المدرسة ذات المنهج الخاص ، ونظرا لما فيه من بعض الغوامض وقف العامة من التصوف موقفين أحدهما الموافق والآخر المعارض ، وشهد التاريخ معارك بين الطرفين لا داعى لاثارتها .

وبايجاز أيضا نقول : ان الحكم على الزهاد والمتصوفة هو شرع الله ، وهو واضح فى الكتاب والسنة ، فما وافقه كان مشروعا ، وما خالفه كان مرفوضا « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » سورة الأنعام : ١٥٣ .

وعلى كل مؤمن أن يسلك الطريق المستقيم ليصل الى رضوان الله ، وذلك بعد التفقه فى الدين ليعرف حدود الحلال والحرام ، أما العمل بدون فقه ومعرفة فقد يؤدى الى ما لا تحمد عقباه .

زواج الحامل من الزنى

السؤال : فتاة حملت سفاحا ثم تزوجها من اعتدى عليها فهل المولود منها ينسب اليه شرعا ؟

نور الدين أحمد البرديسى
عزبة داود ــ بهجورة ــ قنا

الجواب : العقد على الحامل من الزنى فيه رأيان للعلماء ، أحدهما بطلانه ، وعليه أحمد ابن حنبل ومالك وجمهور الفقهاء ، وثانيهما الصحة ، وعليه الشافعى وأبو حنيفة ، وفى رواية عنه : لا يصح العقد حتى تضع الحمل ، وفى رواية أخرى : يجوز العقد ولكن لا يجوز وطؤها حتى تضع حملها .

ومن حجة القائلين بالبطلان حديث : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن توطأ المسبية الحامل حتى تضع . مع أن حملها مملوك له ، فالحامل من الزنى أولى الا توطأ حتى تضع .

والذين قالوا بالجواز قالوا : ان النهى فى الحديث عن وطء المسبية ، أما العقد على الحرة فلا دليل على حرمته . واذا جاز العقد على الحامل من الزنى من غير الواقد عليها عند بعض الفقهاء فان جوازه اذا كان الحمل منه أولى ، ذلك لأن الماء ماؤه قبل العقد وبعده ، وأنا أميل الى هذا الرأى سترا للجريمة وصيانة للأعراض من الفضيحة أو زيادتها .

أما الولد فقال جمهور الفقهاء بعدم جواز نسبته للزانى ، وذلك لحديث « الولد للفراش وللعاهر الحجر » وبالتالى لن يكون بينهما توارث ولا حقوق أخرى مما هى بين الآباء والأولاد ، لكن اسحاق ابن راهويه والحسن البصرى وعروة بن الزبير وسليمان بن يسار قالوا : ان الولد ، وان كان من زنى ، تجوز نسبته الى الزانى ، لأنه من مائه، كما الحق ولد الملاعنة بها ، فهو لاحق لأمه حتما لأنه مولود منها ، وقالوا : ان النسبة تكون بالاستلحاق ، أى الاقرار بأنه ولده ، وقد وضح ابن قيم الجوزية هذا الرأى وأطال فى الاحتجاج له ، وقال : يجوز الانتساب على هذا الرأى ، أما الميراث فيجوز أن يتخلف من الانتساب . « راجع زاد المعاد لابن القيم » .

مع القراء
يحرره
فؤاد هيبه

كلمات وعظات في مطلع العام الهجرى الجديد

حرى بنا أن نتدبر حالنا مع مطلع العام الهجرى الجديد ، فهذا التدبر سمة من سمات الانسان الذى كرمه الله وجعله خليفة فى الأرض ، ومن ثم نرى فى القرآن الكريم غذاء الأرواح ، ومتعة القلوب ودواء الحواس ، مع الاحالة على العقل والاشادة بالعلم بعد التوجيه الى آيات الله البينات ، واستكناه ما احتوته من عجائب وأسرار حتى يستقيم الفكر ويسلم النظر « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت » ولقد جعلت الشريعة الاسلامية نسبتى الثواب بعد الاخلاص على نسبة تعقل الأحكام وتفهمها كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه « ان العابد الأحمق يصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر ، وانما يتقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم » .

وبلا أدنى شك يحمل قصد النظر والتعقل على ماينفع الناس فى معايشهم ومعادهم ، لا ما يؤدى بهم الى الوقوع فيما لا تحمد مغبته ويضر المجتمع « ان الله لا يصلح عمل المفسدين » .

من هنا نعلم جميعا ، ان ذلك الغذاء الروحى العظيم الذى أمر الله به عباده ، ماكان ليستغنى عنه ، ولم يكن منه بد لاصلاح المجتمع الانسانى ، وهو من رحمة الله بعباده « ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما » . ولن يخرج موقف العبد من ربه عن واحد من أربعة : كافر ، مؤمن صادق ، مؤمن عاص ، منافق .

● أما الكافر — هو من يكون جاحدا وجود الله تعالى أو معترفا به مشركا غيره معه ، أو مفتقدا حلوله فى غيره أو مكذبا بكل الرسل أو بعضها . ولسنا فى مقام الاستدلال على وجود الله ولا على صدق جميع رسله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام فذلك أمر مفروغ منه .

ومع هذا الموقف الغريب موقف الجحودوالشرك والتكذيب ، يفتح الله باب رحمته لمن يفتح للحق أذنه ، فيرجع عما هو فيه من اثم فظيع وجرم شنيع ، واعدا اياه بمحو الماضى وعدم المؤاخذة عليه « قل للذين كفروا أن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام « الايمان يجب ماقبله » ولا شك أن هذا منتهى الحلم وغاية الرحمة والرافة والتسامح ، أما من تعامى عن الحق واتبع هواه ولم يؤمن بذلك فانما اثمه على نفسه « ان الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون » .

● أما المؤمن الخالص الصادق فذلك الذى فتح الله قلبه ، واستعمل عقله ، وقدر نعمة الله تعالى عليه ولم يلبس ايمانه بظلم فقذف الله تعالى فى تواده نور الهداية فهو من الآمنين يوم الفزع الأكبر ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

● أما العاصى جهلا أو تكاسلا أو عنادا ، فقد فتح الله سبحانه له باب الرحمة ووعده بالمغفرة ، اذا هو أقلع عن جرمه وندم على ماسلف منه ، وعزم على ألا يعود ، مع رد المظالم ان تكن أو استسماح أهلها ، وذلك تسهيل الهى وفتح لأبواب الفضائل والتدرج نحو الكمال قال تعالى « الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما ، ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا » .

● وأما المنافق ، وهو الذى يظهر الاسلام ويخفى الكفر فمع تذبذبه فى موقفه وعدم استقرار الايمان فى قلبه وضعف يقينه وثقته بالله ، فان الله سبحانه لا يعجل بعقوبته أيضا استمهالا له عسى أن يعالج نفسه بالنظر فى دلائل الدين وآيات رب العالمين ، فيكون ممن حسنت خاتمتهم ، وأمنت عاقبتهم « ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين اجرا عظيما ، ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما » .

● وهكذا يتضح احسان الله تعالى على عباده لكل من يتصفح كتاب الوجود حيث يرى أن الله سبحانه يوالى نعماءه فى كل لحظة وحين ، حيث ينتفع البر والفاجر ، والمؤمن والكافر ، لايختص فريقا دون آخر ، بل لاتزال تزداد نعماؤه باستنباط المستحدثات واستخراج المكنونات ، ولهم فى كتاب الله تعالى مواطن هداية ، تدعو كل فريق الى الايمان والأخذ باسباب النجاة ، والبعد عما يوجب سخط الله مع وضوح الحجة وسهولة المأخذ ، على مبدأ الآية الشريفة « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » .

وفى كل مرحلة من مراحل اتصال العبد بربه تدل على أن الله سبحانه قد احاط الانسان بكل رعاية ويسهل له سبيل الهداية .

ونخلص من هذا ان الله سبحانه تعهدنا فى كل اطوارنا بالهداية التى تبعدنا عن سبل الغواية .

ومع بدء العام الهجرى الجديد .. سل نفسك فى اى طائفة انت ، والى اية مرحلة تنتمى ، لتعرف قيمة نفسك ، وتسلك سبيل ربك .. سبيل الهداية والرشاد والنماء ..

انه نعم المولى ونعم النصير ..

رسالة الشهر

الوحدة الوطنية في ظلال الهجرة

قال تعالى فى كتابه العزيز « **والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا . ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** » .

● توضح لنا هذه الآية الكريمة اللقاء الطيب والروح الطاهرة الصافية التى قابل بها أهل المدينة المهاجرين من مكة أم القرى . فقد رحبوا بهم وفتحوا لهم بيوتهم وصاهروهم وأشركوهم فى أمورهم التجارية وغيرها وتبادلوا المعاملات فيما بينهم . حتى وصلت درجة الحب والتسامح أن الأنصار كانوا يفضلون ويؤثرون المهاجرين على أنفسهم . وقد نبع ذلك كله من الوحدة الوطنية التى أسسها وأقام دعائمها نبى البر والسلام سيدنا محمد رسول الانسانية عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام بين المهاجرين والأنصار . فارتفع صرح الدعوة الاسلامية شامخا . واصطدم الباطل صدمة عنيفة زلزلت أركانه . وصينت كرامة النساء واكتسبت ثوبا من السنا والثناء . ودخل الناس جميعا فى دين الله أفواجا حتى أصبحت الأمة المحمدية خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

● ومن هنا يسر الطالبة نرمين عبد المنعم أحمد على التى اجتازت امتحان الثانوية العامة هذا العام — بفضل الله وقدرته — فى ظلال هذه المناسبة السعيدة الا وهى العام الهجرى الجديد أن تتقدم بأخلص التهانى للعالم الاسلامى والعربى الذى كان بداية انطلاق الدعوة الاسلامية وانتشارها فى كل مكان .

والله — سبحانه وتعالى — نسأل أن يجعله عام يمن ورخاء ووحدة وألفة وخير وفلاح . والكل يصبح بنعمة الله اخوانا . وتلتئم الجروح . وتنزع من قلوبهم عوامل الفرقة والخلاف والحقد والأنانية واراقة الدماء . وتتوحد الصفوف وتصفو النفوس وتعلو راية السلام خفاقة ترفرف فوق أرض العروبة والاسلام . أنه نعم المولى ونعم النصير .

نرمين عبد المنعم أحمد على
١٣ ب شارع ولى العهد — حدائق القبة

— وادارة التحرير اذ تبارك نجاح الابنة الفاضلة صاحبة القلم الاسلامى الرفيع ليسعدها نشر هذه الكلمة فى هذه المناسبة الطيبة .

السيد مدير تحرير مجلة منبر الاسلام/
الاستاذ فؤاد هيبة

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

أولا جزيل شكرى على نشر موضوع رسالة الى أخ مسلم ، ثانيا : تهنئتى لكم ولمجلتنا الغالية بحلول رأس السنة الهجرية فكل عام وأنتم بخير .. ولعل هذا ما شجعنى على الكتابة فى موضوع هام خاصة ونحن على مشارف أيام مباركة .. ولكم جزيل الشكر ..

قال تعالى : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » صدق الله العظيم

لو نظرنا الى هذه الآية نظرة تأمل لوجدناها تعنى الكثير والكثير وأنها نذير لكثيرين منا ممن لا يتقون الله فى أعمالهم .

انها نذير لأناس يهملون الصلاة وينسون ذكر الله ويحفظون مصنفات من الشتائم والسباب ويحبون الغيبة والنميمة ويبحثون فى كيفية ايلام الناس .. أيضا نذير لأناس يهملون تعاليم الاسلام ولا يعرفونها .. معذرة بل يتجاهلون معرفتها ..

هؤلاء الناس لعنهم الله .. بل وأرسل لهم كثيرا من الآيات لينذرهم الى يوم الدين .. ان هؤلاء الناس اذا سألتهم عن صلاة أو صيام أجابوا بأن الأعمال بالنيات .

أصدقهم القول فى ذلك . ولكن ان جملة الأعمال بالنيات تعنى شيئا آخر غير ما يعنونه وهو أن لكل امرىء ما نوى من خير أو شر وهذا علمه عند ربى وحده .

وليس معنى ذلك أن نهمل الصلاة أو الصيام أو حتى واحدة من خمس أمرنا الله بها .. بل علينا أن نجاهد ونعمل على المحافظة على هذه الفرائض .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه » .

ولن يستقيم القلب أو اللسان الا بتنفيذ تعاليم الاسلام وفرائضه .

ولعل البعض سوف يستشهد بحديثه صلى الله عليه وسلم حيث يقول : « نية المؤمن خير من عمله » فى هذه الحالة سأقول أن النية يعنى بها العمل الصالح الذى يفعله المؤمن .. أما اذا قام مثلا بعمل صالح مثل بناء مسجد بمال حرام يقصد بذلك الخير فان النية لا تؤثر فى ذلك شيئا فكيف يمكن أن يكون الشر خيرا .. أو كالذى ينوى عبادة الله تعالى وهو يفعل ذلك رياء ان هذا يرتد

عليه ويصبح معصية لله تعالى .. أما اذا كان ينوى عمل ذلك لله وحده تضاعف أجره وفضله . فصحح نيتك قبل أن تفعل ما تفعله وانظر فى نيتك فيما تتركه أيضا واعلم أخى المسلم أن النية هى انبعاث النفس وميلها الى ما ظهر لها أنه أفضل لهـا .

حقا أن البعض سيقول : نويت أن آكل لله أو أقرأ لله أو أصلى لله وغير ذلك وظن أن ذلك نية وليس كذلك انما النية هى انبعاث القلب وهى تجرى مجرى الفتوح من الله تعالى وأنها تيسر لمن قلبه يميل الى الدين دون الدنيا .

قال تعالى : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » .. انها دعوة من الله تعالى بعباده بأن يقيموا الصلاة ويحافظوا عليها ، وقوله عليه الصلاة السلام (الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين) أليس هذا دليلا واضحا على أن الأعمال لا تعنى أن تكون بالنيات فقط بل هى أيضا بظاهر الانسان من اقامة الفرائض ، ولا أقصد بهذا رياء أو مباهاة ، قال تعالى :«وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » وقال عليه الصلاة والسلام (تصدقوا فان الصدقة فكاكم من النار) ولو تمعنا فى آيات الله كثيرا لوجدنا كثيرا منها تدعونا الى الصلاة والزكاة والصيام والحج بل وقراءة القرآن .. القرآن الذى يهمله الكثير وهم لا يعرفون قيمته، قال عليه الصلاة والسلام (انى لا أقول الم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف) وبما أن الحرف بعشر حسنات فما بالك أخى المسلم لو قرأت جزءا من القرآن كل يوم به مئات الحروف لاكتسبت آلاف الحسنات فى دقائق معدودات ودون جهد أو مشقة ، وتذكر دائما قوله عليه الصلاة والسلام (لا يعذب الله قلبا وعى القرآن) وقوله تعالى : « ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » .

أخى المسلم هذه دعوة لمراجعة حساباتك لا الدنيوية فحسب ولكن حسابات الآخرة ، فبما أنك تدخر المادة لدنياك فلا مانع من أن تدخر العمل الصالح لآخرتك .

وفقنا الله واياكم الى حب الله وعمل الخير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

الأخت : زينب محمد نور الدين
الاسكندرية ــ غيط العنب ــ ٣٢ ش البساتين

نريد لنعطى :

ما للقلم لا يكتب ؟ ما للسان لا يتكلم ؟ ما للعقل لا يفكر ؟

نريد الاحساس بوجود مفكرين اسلاميين .

نريد مناقشات نافعة ... كفى دراسة النظريات الغربية الالحادية ... لا ثراء العقل العربى وتنميته ، ليخرج الى النور بدلا من هذا السجن المفروض عليه .

نتمنى أن نمحو اسم أجنبى على أى آلة ... وذلك باخراج قاموس عربى موحد على المستوى العربى ... ولندع السياسة جانبا لأننا قد نختلف فى الآراء .

فبعد أن أصبحت اللغة العربية لغة عالمية نريد لها الاستقلال حتى تنعم بعالميتها .. فهى لغة القرآن ، وانه لكتاب عربى مبين يهدى الى الحق والى صراط مستقيم ... أبعد هذا تريدون التنكر لعروبتنا ؟

شحاته توفيق اسماعيل
منيا القمح ــ شرقية

الاسلام بين الماضى والحاضر

الاسلام هو دين الله الخالد والحجة البالغة والرسالة الدائمة ، التى أنزلها الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

والله سبحانه وتعالى بعث رسوله محمدا للناس كافة وأيده بالقرآن المعجزة الخالدة والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والانسان الذى يعتصم به لا يضل ولا يشقى، وهذا القرآن عصمة لمن تمسك به وهداية لمن اهتدى به وسببا موصلا الى مرضاة الله عز وجل ، وهو الكتاب الذى حفظه الله من الزيغ والدس والانحراف .

لذا كان القرآن الكريم هو المرجع الأساسى للدين الاسلامى والحصن المنيع للدفاع عن الاسلام فان الاسلام كذلك دين معصوم عصمه الله منذ اختاره وقدره وكلمه وقدر له كل مايليق به من كمال لاسيما انه دين قرر وحدة الاله الواحد وأثبت أن الله سبحانه وتعالى هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد .

ان الدين الاسلامى الذى ذاق رسول اللهمرارة الجهاد فى بناءأسسه وأريقت دماءكثير من الصحابة فى سبيل نصرته وصدقوا ماعاهدوا الله عليه حتى اشتد أزره وقوى سلطانه وسادت كلماته .

هذا الدين الذى أسسه محمد صلى الله عليه وسلم بكل ما له وما عليه وباع الكثير أرواحهم من أجله أصبح اليوم وقد خارت قواه ووهنت عظامه وصار أبناء الاسلام لا يعرفون من الاسلام الا أسمه ، لأنهم أصبحوا فى غفلة تامة عن كتاب الله سبحانه وتعالى وأعرضوا عن شريعة السماء وهدى رسول الله .

لقد انتشر الفساد بين الشباب ووقع الفسق والعار ، وعم النفاق والضلال بينهم حتى تلطخت صفحات الحياة بالخزى والعار ، والغالبيةالعظمى لا تدخل مساجد ولا تقيم لله فريضة ولا حتىتحترم للاسلام شعيرة ، الكل يلعب ويتمتع ، ويسب الدين ، ويتفنن فى الأذى ، ويهتك الأعراض .

بهذه الحقائق المرة والصور المنحرفة البشعة، كل هذا يدل علىقسوة قلوبنا وانحرافنا عن طريق الحق والصواب حتى غضب الله علينا وسلطعلينا بذنوبنا من لايرحمنا ، فتكالبت علينا دول الغدر والطغيان وأولاد القردة والخنازير للقضاء علينا والتخلص منا ، وابتلانا الله بحشرات الأرض من نمل وفئران فأهلكت مزارعنا ، لذلك جعلنا الله فى ضيق وفقر وهم وشقاء وحزن وما ظلمنا الله ولكن بمعاصينا وفجورنا وضلالنا وأهوائنا ظلمنا أنفسنا . وما أصدق ماقال الله عز وجل :« وماكان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

بهذا البيان الربانى الذى جاء به القرآن وجاءبه محمد صلى الله عليه وسلم ، أن هلاك الأمم هو بظلمهم وانحرافهم عن الصواب .

اذن فالواجب علينا أن نرجع الى ديننا والى الله سبحانه وتعالى لكى يرحمنا وينصرنا على كل أعدائنا وأن يقذف فى قلوبنا حب القرآن وحب الرسول لكى ننجو من عذابه وآخر دعوانا . ان الحمد لله رب العالمين ..

محمد السيد الجوهرى

السعدية ــ شربين . دقهلية

الدين الاسلامى أيها الأخ الفاضل هو الدين الذى ارتضاه الله لعباده وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وفى ذلك يقول الله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ويقول تعالى فى شأن الأمةالاسلامية (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » وما نراه فى بعض الأحيان من انحراف وخروج على الدين فهذه سنة الله فى خلقه منهم المهتدى ومنهم الضال (انك لا تهتدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء) ويقول تعالى « وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا . وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » وان ما نراه اليوم فىمجتمعنا لشىء يدعو الى التفاؤل ، وهذه الصحوة الدينية التى أخذت تعم شبابنا وهى عودتهم الى حظيرة الدين وتمسكهم بأخلاقه ومثله دليل على وجود الخير فى هذه الأمة وكما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الخير فى وفى أمتى الى يوم القيامة).

الى الراغبين فى الاشتراك فى مجلة منبر الاسلام .

يرد الى ادارة المجلة العديد من الخطابات التى تسأل عن كيفية الاشتراك فى مجلة منبر الاسلام ، والاشتراك يكون بمقتضى حوالة بريدية باسم المجلس الأعلى للشئون الاسلامية .

وفى حالة الاشتراك .

فى داخل جمهورية مصر العربية ــ	٢٤٠٠ مليم
المؤسسات والطلبة والعمال ــ	١٨٠٠ مليم
الدول العربية	٤٨٠٠ مليم
الدول الأخرى	١٨٠٠٠ مليم

العنوان : ٣ شارع الأمير قدادار المتفرع من شارع التحرير خلف عمارة بحرى ــ القاهرة

بريد التعارف

الاسم : محمد على حسن الشرقاوى
السن : ٥٥ سنة
المهنة : موظف
الهواية : حفظ القرآن الكريم والمراسلة والاطلاع فى البحوث الدينية
العنوان : الاسكندرية ١ شارع سراج منير متفرع من شارع السلطان حسين العطارين

الاسم : محمد راغب
السن : ٢٣ سنة
المهنة : موظفبوزارة القوى العاملة
الهواية : المراسلة والاطلاع الدينى والقراءة
العنوان : ١٩ سكة الوردانى — الدرب الأحمر — القاهرة

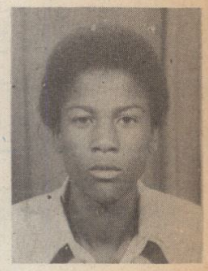

الاسم : ياسر زكريا محمد عبد الله
السن : ١٥ سنة
المهنة : طالب
الهواية : المراسلة
العنوان : السودان — أم درمان — مدرسة بيت المال للبنين ص.ب ١٠١٤

الاسم : مصطفى عبد الرازق محمود محمد
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب ثانوى
الهواية : القراءة الاسلامية — تبادل الآراء — المراسلة
العنوان : القاهرة — شبرا مصر — ش الشيخ الشبراوى منزل رقم ٢٢

الاسم : وفيق حمادى
السن : ٢٢ سنة
المهنة : الفوج الطبى الأول
الهواية : المراسلة والاطلاع
العنوان : المغرب — البيضاء — عين البورجه

الاسم : خالد امام أبو حجر
السن : ١٧ سنة
المهنة : طالب — كرداسة الاعدادية
الهواية : قراءة القرآن الكريم والأحاديث والمراسلة
العنوان : ناهيه — امبابه — الجيزة

الاسم : سمير امام أبو حجر
السن : ١٥ سنة
المهنة : طالب — كرداسة الاعدادية
الهواية : قراءة القرآن الكريم والأحاديث والمراسلة
العنوان : ناهيه — امبابة — الجيزة

الاسم : بلحسن عبد القادر
السن : ١٣ سنة
المهنة : طالب بثانوية الفتح بيوعرفه
الهواية : المراسلة والاطلاع
العنوان : المغرب — قرية تندارارةطريق وجد بجوار المكتب الوطنى لكهرباء مم ق

مواقيت الصلاة

اليوم	المحرم ١٤٠٤	اكتوبر ١٩٨٣	فجر		شروق		ظهر		عصر		مغرب		عشاء	
			ه	ت	ه	ت	ه	ت	ه	ت	ه	ت	ق	ق
الجمعة	١	٧	٢٥	٤	٥١	٥	٤٣	١١	٠٤	٣	٣٥	٥	٥٢	٦
السبت	٢	٨	٢٥		٥٢		٤٣		٠٣		٣٣		٥٠	
الأحد	٣	٩	٢٥		٥٢		٤٣		٠٢		٣٣		٤٩	
الاثنين	٤	١٠	٢٦		٥٣		٤٢		٠٢		٣١		٤٨	
الثلاثاء	٥	١١	٢٧		٥٣		٤٢		٠١		٣٠		٤٧	
الأربعاء	٦	١٢	٢٨		٥٤		٤٢		٠٠	٣	٢٩		٤٦	
الخميس	٧	١٣	٢٨		٥٥		٤١		٥٩	٢	٢٨		٤٥	
الجمعة	٨	١٤	٢٩		٥٥		٤١		٥٨		٢٧		٤٤	
السبت	٩	١٥	٢٩		٥٦		٤١		٥٨		٢٥		٤٢	
الأحد	١٠	١٦	٢٩		٥٦		٤٠		٥٧		٢٤		٤١	
الاثنين	١١	١٧	٣٠		٥٧		٤٠		٥٦		٢٣		٤٠	
الثلاثاء	١٢	١٨	٣١		٥٨		٤٠		٥٥		٢٢		٣٩	
الأربعاء	١٣	١٩	٣١		٥٩		٤٠		٥٤		٢١		٣٨	
الخميس	١٤	٢٠	٣٢		٥٩		٤٠		٥٤		٢٠		٣٧	
الجمعة	١٥	٢١	٣٣		٠٠	٦	٤٠		٥٣		١٩		٣٦	
السبت	١٦	٢٢	٣٤		٠١		٤٠		٥٢		١٨		٣٦	
الأحد	١٧	٢٣	٣٤		٠١		٣٩		٥١		١٧		٣٥	
الاثنين	١٨	٢٤	٣٥		٠٢		٣٩		٥٠		١٦		٣٤	
الثلاثاء	١٩	٢٥	٣٦		٠٣		٣٩		٤٩		١٥		٣٣	
الأربعاء	٢٠	٢٦	٣٦		٠٤		٣٩		٤٩		١٤		٣٢	
الخميس	٢١	٢٧	٣٧		٠٥		٣٩		٤٩		١٣		٣١	
الجمعة	٢٢	٢٨	٣٧		٠٥		٣٩		٤٨		١٢		٣٠	
السبت	٢٣	٢٩	٣٨		٠٦		٣٩		٤٧		١١		٢٩	
الأحد	٢٤	٣٠	٣٨		٠٦		٣٩		٤٦		١١		٢٩	
الاثنين	٢٥	٣١	٣٩		٠٧		٣٩		٤٦		١٠		٢٨	
الثلاثاء	٢٦	١ نوفمبر	٤٠		٠٨		٣٩		٤٥		٩		٢٧	
الأربعاء	٢٧	٢	٤١		٠٩		٣٩		٤٥		٨		٢٦	
الخميس	٢٨	٣	٤١		١٠		٣٩		٤٤		٧		٢٥	
الجمعة	٢٩	٤	٤٢		١٠		٣٩		٤٣		٧		٢٥	
السبت	٣٠	٥	٤٢		١١		٣٩		٤٣		٦		٢٤	

"SURAT IÁ SIN"
SURATA DE IÁ SIN

Revelada em Meca; 83 versículos, com exceção do versículo 45, que foi revelado em Medina.

Em nome de Deus, Clemente, Misericordioso.

عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ
أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ
ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ
شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

67. E se quiséssemos, tê-los-íamos transfigurado em seus lugares e não poderiam avançar nem retroceder.
68. Só nós garantimos vida longa a qualquer um, para ser reservado na natureza; não o compreendem?
69. E não instruímos (ao Apóstolo) na poesia, porque não é própria dele. O que lhe revelamos não é senão uma Mensagem e um Alcorão lúcido,
70. Para admoestar a quem estiver vivo, e que a palavra seja provada a respeito dos incrédulos.
71. Porventura, não reparam em que entre o que Nossas mãos fizeram está o gado de que estão de posse?
72. E os submetemos a eles para seu uso? Entre eles há-os que lhes servem de cavalgadura e outros de alimento?
73. E deles obtém proveitos (outros) e bebidas (leite). Por que então não agradecem?
74. Todavia, adoram outras divindades em vez de Deus, a fim de que os socorram!
75. Porém, não podem socorrê-los; outrossim, são eles que serão trazidos como legiões[19].
76. Que seus dizeres não te atribulem porque conhecemos tanto o que ocultam, como o que manifestam.
77. Acaso, ignora o homem que o temos criado de uma gota de esperma? Contudo, ei-lo um oponente declarado[20]!
78. E Nos propõe comparações[21] e esquece sua própria criação, dizendo: Quem poderá recompor os ossos quando já estiverem decompostos?
79. Dize: Recompô-los-à Quem os criou a primeira vez, porque é Conhecedor de todas as criações.
80. Ele vos propiciou fazerdes fogo[22] de árvores verdes, que vós as usais como lenha.
81. Porventura, Quem criou os céus e a terra não será capaz de criar outros seres semelhantes a eles? Sim! Porque Ele é Criador por excelência, Onisciente!
82. Sua ordem, quando quer algo, é tão somente: Seja! e é.
83. Glorificado seja, pois, Aquele em cujas mãos está o domínio de todas as coisas, e a Quem retornareis.

MINBAR ALISLAM

القران الكريم

Alcorão Sagrado

سورة الفاتحة

Surata da Abertura

سورة يس

Surata de Iá Sin

جزء عم

30º Livro

Tradução
Samir El Hayek

(٣٦) سورة يس مكية
وآياتها ثلاث وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا
ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ
فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا
يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ
مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ
يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا
يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا
يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ
مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن
نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا
وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ

AL FATWA

Para quien es obligatoria la peregrinación ?

1 - La peregrinación incumbe al musulmán adulto en plena posesión de sus facultades mentales, sólo los musulmanes deben cumplirla.

2 - La peregrinación es un deber para los que pueden cumplirla, como dice El Corán, "Dios ha impuesto a los hombres la peregrinación a este Templo, a quienquiera que tenga medios para hacerlo".

3 - La peregrinación no es una obligación para los muchachos, pero si estos no han alcanzado la edad de la razón, sus padres o tutores llevan a cabo por ellos todos los ritos del Hagg.

4 - En lo que concierne a las mujeres, hay que tener en cuenta ciertas condiciones. Algunos ulemas insisten en el hecho de que las mujeres deben ir acompañadas de un pariente muy próximo hermano o hijo 'Maharim", otros no son categóricos en este punto y declaran que la mujer puede cumplir su peregrinación, tanto vaya acompánada por un próximo pariente, como no.

5 - El que muere sin haber llevado a cabo su peregrinación es liberado de esta obligación si sus descendientes la llevan a cabo por él, con su propio dinero o si pueden pedir a uno que la haga por delegación.

6 - Si un hombre es incapaz de cumplir la peregrinación a causa de su vejez o de una enfermedad incurable, puede escoger una persona y encargarle que la haga en su lugar. Este peregrinción por delegación no es válida sino en el caso en que la persona designada haya ya realizado el Hagg.

a) **Pregunta**

Qué pasa si la Umra "Peregrinación restringuida" es llevada a cabo durante los meses del Hagg ?

Respuesta :

En realidad, es posible que una persona pueda pertenecer a una de las tres categorías siguientes : Mufrid, qárin y mutarnatti ?

a) Si el peregrino desea cumplir el Hagg sólamente, se lla mufrid, lo que significa que no tiene intención de combinar la Umra con el Hagg.

b) El que, desde el comienzo, quíere combinar la Umra con el Hagg, se llama qárinla diferencia está, no en los ritos observados, sino en la intención primera.

c) El tercer caso es el de aquél que desea cumplir primero al Umra. lleva a cabo todos sus ritos y queda libre del Ihram.

Entouces, se dispensa de las restricciones impuestas por el estado sacro hasta que llega el octavo día de Dhu'l Hiyyá, en el que vuelve a tomar el Ihram para realizar el Hagg. A este se le llama Mutamatti'.

El Mutamatti no debe, en ningún caso haber conducido y a su bestia de sacrifició a la Ka'ba.

La peregrinación es una de las prescripciones obligatorias de Dios, y quien lo niegue no puede considerarse como un — buen musulmán. Dice el Altísimo, al hablar sobre la Kaaba en su Libro Sagrado, el Corán : (He aquí la traducción del arabista español Juan Vernet) :

"Realmente el primer templo que se fundó para los hombres es el que está en Bakka (La Meca), templo bendito y guía de los mundos. En él hay aleyas manifiestas : el lugar de Abraham ; cualquiera que entre en él está seguro. Dios ha impuesto a los hombres el deber de la peregrinación al templo para quien pueda conseguir los medios de hacerlo. Quien no crea en este precepto, sepa que Dios es rico respecto de los mundos".

Pero este deber, como es un deber difícil y costoso — Dios lo ha puesto, solamente, como obligación de quien pueda hacerlo, es decir, que un enfermo o pobre no tiene la obligación de hacerlo. Un hombre no puede hacer el viaje físicamente, pero tiene los medios de mandar a alguien en su lugar si, puede hacerlo, y en este caso recibe la recompensa de Dios como si fuera él quien hace la peregrinación, puede un hombre mandar a otro hombre o a una mujer. También puede una mujer mandar a otra mujer o a un hombre.

Es preferible que la mujer vaya en compañía de su marido o de un hijo o de cualquier pariente íntimo, para su protección del camino y para ayudarla en caso de necesidad.

Hay un tiempo fijado para realizar la peregrinación, se hace en los primeros diez días del mes de la peregrinación , dos meses después de la fiesta del ayuno de Ramadān. El mes de la peregrinación es el último mes del año musulmán.

Los musulmanes que tienen la intención de peregrinar — preparan su viaje a La Meca. Antes salían en caravanas, pero hoy día se van en aviones, barcos, coches o cualquier otro medio de comunicación.

Al llegar a La Meca, antes de entrar en la ciudad, deben despojarse de todo lo que les recuerde su vida cotidiana y rutinaria, es decir, dejar las ropas normales y ponerse, lo que podemos llamar indumentaria del Ihrām, que consiste en un tejido blanco de dos piezas sin costuras, una sobre el cuerpo desde la cintura hasta las rodillas, la otra le tapa la espalda y el hombro izquierdo, pasando por debajo del brazo derecho, y puede sujetarse con alfileres. También hay que quitarse los zapatos y ponerse babuchas o algo parecido para evitar las molestias del terreno.

Tras las abluciones y el cambio de ropa, el peregrino entra en estado sacro, "Ihram".

Durante el tiempo del Ihram, el peregrino debe abstenerse de : Relaciones sexuales ; caza de animales ; uso de perfumes ; no se debe afeitar ni cortar el pelo ni las uñas. Es decir, que debe olvidar todos los aspectos de la vida cotidiana y preparar su espíritu para unos días fuera del ámbito normal y para convivir con Dios y los recuerdos de su Profeta.

Ya purificado y preparado para el comienzo de la peregrinación, el peregrino, pronuncia una fórmula tradicional, en esta ocasión, la Talbia :

"Aquí estoy, ¡ Oh, Señor ! aquí estoy.
"Aquí estoy, no hay Dios más que Dios,
Aquí estoy, único, no tienes compañero
Tuyas son las alabanzas y la gracia
Tuyo es el Reino y no tienes otro igual.

Lo primero que hacen, los musulmanes, es visitar la mezquita de la Kaaba, la mezquita central de todo el mundo islámico, allí rezan y giran a su alrededor como homenaje de la llegada. Después recorren los caminos que, antiguamente, recorrieron el Profeta Abraham, el padre de los profetas, y Muhammad, el profeta de los musulmanes.

Tribuna del Islam

MINBAR AL ISLAM
"Tribuna del Islam"
Jefe del Consejo Editorial
Cheij Ibrahim Aldesuki
Ministro de Wakfs y Jefe del Consejo Superior de Asuntos Islámicos
Redactor en Jefe
Dr. Gamal Eldeen Muhammad Mahmoud
Consejo Editorial
Consejero : **Abdel Halim Al Guindi**
Dr. Abu Al-Wafa Al Taftazani
Dr. Abd Allah Abd Al Shakour Kamel
Redactor :
Señor Fouad Heba.

Querido Lector :

Gracias dadas a nuestro Señor clemente y misericordioso. Queridos Lectors : ofrecemos atráves de nuestras seis revistas ; artículos muy interesantes relacionados con el Islam.

¿ QUE ES EL ISLAM ?

Por Dr. Abdel Hamid Eissa

— 6 —

La peregrinación "Al-Haŷŷ"

La peregrinación o la visita a los Santos Lugares de — La Meca, es el quinto y último de los pilares principales de la religión musulmana. Consiste, este culto, en realizar un viaje a La Meca y hacer unos rituales religiosos, como : circunvalar — alrededor de la Kaaba (Tawaf), caminar y correr entre las dos — colinas de al-Safa y al-Marwa y subir al monte de ᶜArafat, y permaneciendo allí, hasta la puesta del Sol, y llevar a cabo todos — los ritos impuestos.

4. Wenn jemand eine begüterte Waise in seiner Obhut hat, und er ist mit mehreren Frauen verheiratet, dann sollte er sich mit soviel Frauen begnügen, wie er aus soinem Vermögen ernähren Mann. Er sollte das Vermögen der Waise für den Unterhalt seiner Frau (en) nicht antasten. Wenn er vier Frauen nicht unterhalten kann, sollte er notfalls nur eine Frau haben».

Das Zitat wurde in vollem Umfang Wiedergegeben, um die verschiedenen Auslegungen miteinander zu vergleichen. Tut man dies, so stellt man fest, daß alle Kommentatoren oder Exegeten der Meinung sind, daß die Mehrche nur unter Bedingungen zu rechtfertigen wäre. z.B. soll der Mann nicht in Versuchung hommen, Unzucht zu treiben oder Ehebruch zu begehen, wenn er seiner Frau nicht beiwohnen kann. Die Mehrehe kann auch dadurch gerechtfertigt werden, wenn die Frau unheilbar krank oder unfruchtbar ist.

Dabei darf nicht vergessen werden, daß der Islam die Zahl der Ehefrauen für einen Mann von beliebig vielen — nach der after Sitte — nun auf vier beschränkt, und dies dann unter einer Bedingung erlaubt, nämlich, daß der Ehemann jeder seiner Frauen gerecht behandelt. Dies verlangt von ihm «absolute Gleichheit und gerechte Verteilung von allem, einschließlich der Gefühle. Dies aber ist keinem Sterblichen möglich. Daher ist eine Mehrehe praktisch nicht erlaubt. Es wird heute als ein de — facto Bebet der Einehe betrachtet». (Elschahid, S. 4.).

Die für die Mehrehe verlangte Gerechtigkeit der Behandlung wird ein paar Verse weiter in der gleichen Sure für so gut wie unerfüllbar erklärt. Da heißt es : «Nimmer ist es euch möglich, in (gleicher) Billigheit gegen eure Weiber zu verfahren, auch wenn ihr danach trachtet...» (4, 128). Eine Mehrehe sollte demnach nur mit Vorbehalt eingegangen werden.

Weiterhin gibt der Islam der Frau das Recht, die gerichtliche Trennung zu verlangen. Zwar wird die Scheidung vom Islam nicht verboten, jedoch rät er davon ab. Mohammad sogte : «Die Scheidung ist das von Gott am meisten Verabscheute unter den erlaubten Dingen».

Die Stellung der Frau als Mutter wird in der islamischen Uberlieferung sehr hoch gepriesen. Mohammad hat den Müttern ein ewiges Denkmal in seinem Spruch fesetzt : «Das Paradies liegt unter den Füßen der Mütter». Für die Frau als Gattin gibt es auch einen berühmten Ausspruch Mohammads : «Der beste unter Euch is tder, der seine Frau am besten behandelt». An anderer Stelle sagte er auch : «Fürchtet also Gott im Hinblick auf Eure Frauen, und ich empfehle Euch, sie gut zu behandeln».

Nebenbei sei daran erinnert, daß die nicht — muslimische Frau eines Muslims das volle Recht zur Bewahrung und Ausübung ihrer Religion hat.

K. R.

Lebensauffassungen unserer Zeit.

Selbstverständlich gelten die religiösen Pflichten, die oben Kurz besprochenen fünf Säulen des Islam, auch für die Frau. Aus mehreren Koranstellen, — wie z. B. Sure 60 Vers 12, oder 33, Vers 35, oder 3, 97 usw. — kann man schließen, daß die Frau in der Ausübung der religiösen Grundpflichten dem Mann gleichgestellt ist, (Vgl. Schamah, S. 36 f.). Aus Rücksicht auf ihre Natur wird sie sogar von einigen Pflichten befreit oder gesondert behandelt : An einigen Tagen im Monat, während ihrer Menstruation, darf sie kein rituelles Gebet verrichten. Die Teilnahme am öffentlichen Freittagsgebet ist ihr freigestellt, und nicht, wie für den Mann, verpflichtend. Ebenfalls wird die Strenge des Fastens für sie erleichtert. Sie kann das Fasten vertagen (wegen Schwangerschaft z. B.). Alles in allem muß man zugeben, daß der Islam ihr gegenüber «tatsächlich nachsichtig (ist). Sogar ihre in Form von Kleinodien oder Schmuch angelegten Ersparnisse sind von der Zakaat-Steuer ausgenommen» (Hamidullah, S. 240).

Ebenso werden die religiösen Pflichthandlungen der Frau von Gott genauso bewertet wie diejenigen des Mannes Dazu heißt es im Koran : «Und es antwortet ihnen ihr Herr : «Siche, ich lasse nicht verlorengehen das Werk des Wirkenden unter euch, sei es Mann oder Weib; die einen von euch sind von den andern'» (Koran, 3, 193). An anderer Stelle heißt es auch diesbezüglich : «Wer aber Rechtes tut, sei es Mann oder Weib, und er ist gläubig — jene sollen eingehen ins Paradies und sollen nicht um einen Keimgrübchen im Dattelkern Unrecht leiden» (Koran, 4, 123) — Vgl. auch (Schamah, S. 40).

Nun muß hier auch auf die oft mißbrauchte, immer wieder viel gescholtene und als zivilisationswidrig bezeichnete Polygamie oder Mehrehe kurz eingegangen werden. Die einzige Koranstelle, die bedingt eine Mehrehe erlaubt, lantet : «Und gebet den (eurer Obhut anvertrauten) Waisen ihr Vermögen und tauscht (dabei) nicht etwas Schlechtes gegen etwas Gutes aus und zehrt nicht ihr Vermögen auf, indem ihr es eurem eifenen znschlagt ! Das wäre eine schwere Sünde. Und wenn ihr fürchtet, in den Sachen der (eurer Obhut anvertrauten weiblichen) Waisen nicht recht gn tun, dann heiratet, was euch an Frauen gut ansteht, (ein jeder) zwei, drei oder vier. Und wenn ihr fürchtet, (so viele) nicht gerecht zu behandeln, dann nur eine, oder was ihr an Sklavinnen besitzt» (Koran, 4, 2 f.). Nach Schamah (S. 73) wird diese Koranstelle in vierfacher Weise ausgelegt. Ich zitiere die ganze stelle :

«1. Wenn jemand begüterte weibliche Waisen in seiner Obhut hat, und sie wegen ihrer Schönheit und ihres Geldes heiraten möchte, so sollte er dieses micht tun, wenn er befürchtet, der Waisen unrecht zuzufügen, da die Waise keinen anderen Beschützer außer ihm hat. Er hat das Recht, statt der Waise zwei bis vier andere Frauen zu heiraten.

2. Als dieser Vers (4, 2) geoffenbast wurde, fürchteten sich viele Männer, Vormund einer Waisen zu werden, um nicht in Gefahr zu geraten, unrecht zu handeln. Visle dieser Männer hatten jedoch zehn oder mehr Frauen. Hier laufen sie gleichermaßen Gefahr, gegenüber den Frauen ungerecht zu sein. Infolgedessen folgte der Vers 3 der Sure 4, d.h. sie sollten sich auf vier oder weniger Frauen beschränken.

3. Wenn sich ein Mann fürchtet, gegenüber einer Waisen ungerecht zu sein, so soll er sich auch vor der Unzucht (zinā) fürchten, und Frauen heiraten, die ihm erlaubt sind und nicht anderen nachlaufen.

DAS ABC DES ISLAM (II)

Prof. Dr. Kamal Radwan

Bism -Illah -i Arrahmaan -i Arrahiem
(Im Namen Gottes, des Erbarmers, des Barmherzigen)

In einem vorigen Beitrag haben wir — wenn auch knapp — zwei wichtige Begriffe zu erläutern versucht, nämlich Islam und Muslime. Halten wir fest :

Der Islam ruht auf fünf Säulen :

1. Das Bekennen, daß es keinen anderen Gott außer Gott gibt, und daß Mohammad sein Prophet ist. 2. Das fünfmal täglich zu verrichtende Gebet. 3. Die Zahlung der Zakaat-Steuer. 4. Das Fasten im Monat Ramadan. 5. Die Pilgerfahrt (wer es sich leisten kann).

Bevor wir uns mit jeder dieser fünf Saülen ausführlicher beschäftigen, wollen wir in diesem Beitrag eine Frage erörtern, die die Europäer — oder die Nicht — Muslim überhaupt — immer wieder beschäftigt; es ist die Stellung der Frau im Islam. Dabei stützen wir uns auf folgende Quellen :

— Der Koran, übersetzt von Max Henning, Stuttgart 1960.

— Mohammad Schamah : Die Stellung der Frau im sunnitischen Islam, Diss., Berlin 1968.

— Muhammad Hamidullah : Der Islam, Genf 1974.

— Elsayed Elshahid : Gemeinsamkeiten und Verschiedenheiten zwischen Christentum und Islam. Ein Vortrag in Gummersbach 1978 gehalten.

Voransgeschicht sei noch, daß die Frau ihre Gleichberechtigung in einem Lande wie Agypten schon lange genießt, Frauen bekleiden die verschiedensten öffentlichen Amter. «Zu jeder Zeit der islamischen Geschichte, auch zu der des Propheten, haben die muslimischen Frauen jeden ihnen gemäßen Beruf ausgeübt : sie waren Krankenpflegerinnen, Lehrerinnen, notfalls auch Soldaten an der Seite ihrer Männer. Es gibt ferner... Wissenschaftlerinnen, weibliche Parlamentsmitglieder, Botschafterinnen und Minister». (Hamidullah, S. 249). Um das Familienleben seiner Angehörigen zu regeln, verkündet der Islam die Unverletzlichlient der Menschenrechte im Hinblick auf die Person, das Vermögen und die Ehre. Die Frau hat also «das uneingeschränkte Recht — genan wie der Mann — über ihr Vermögen oder Eigentum zu verfügen, auf das der Vater, der Gatte oder irgendein anderer Verwandter Keinerlei Anspruch hat». (ebda). Außerdem hat sie das Recht auf Unterhalt. Dazu ist der Vater, der Gatte oder der Sohn verpflichtet. Daher ist es nicht verwunderlich, wenn die Frau weniger zu erben hat als der Mann. Wenn sie ein Drittel erbt, und ihr Bruder dagegen zwei Drittel, ist das nur gerecht, weil sie dann einen Mann heiratet, der auch Zweidrittel geerbt hat usw.

Der Islam erwartet von der Frau, daß sie vernunftgemäß lebt. Er hütet sich, von ihr zu verlangen, daß sie ein Engel wird, ader ihr zu erlanben, sich in einen Teufel zu verwandeln. Die goldene Mitte ist das Beste (Vgl. Hamidullah, S. 239 ff.). Wer ihre Stellung innerhalb anderer religiöser oder rechtlicher Systeme zu vergleichen oder gegenübrzustellen wünscht, muß auf das Ganze blicken und nicht auf den einzelnen Branch. Der Islam ist auf dem Gebiet der Littlichkeit strenger und puritanischer als manche

MINBAR ALISLAM

TRIBÜN DES ISLAM

Schriftleiter:
Seine Eminenz Scheich Ibrahim Al Dessouky
Minister fur Waqf und Präsident des Obersten
Rates für islamische Angelegenheiten

Herausgeber:
Dr. Gamal El Din Muhammad Mahmoud

Redaktionsausschub:
Abd El-Halim Al-Gindy.
Prof. Dr. Abu Al-Wafa Al-Taftasani.
Prof. Dr. Ramadan Abdel-Tawab.
Dr. Abdallah Abd El-Schakur Kamel.

Herausgeber: Fouad Haiba.

Wissenschaftliche Betreuung

Dr. RAMADAN ABD-EL-TAWAB

Lieber leser

Das neue Jahr von El Heggra verschluckt sich und die islamische Nation braucht ihre Geschichte und ihre Gegenwart zu studieren, gemäß dem Koran und der Sunna des Propheten. Es gibt die ausreichende Bekanntgabe darin und Wege der Entdeckung der Sorgen. Die islamische Nation Kam auf Grundlage der Frömmigkeit, deshalb konnte sie trotz der Wenigkeit der Zahl und der Ausrüstung, das Königtum der Romans und der perser begegnen.

Der Staat der Gerechtigkeit kam anstatt des Staats der Ungerechtigkeit und die Liebe verbreitete sich Zwischen der Menschkeit. Alle sind für das leben glaich, Es gibt Keinen Unterschied Zwischen dem Araber und dem Perser durch die Frömmigkeit.

Die islamische Nation kam und die Kultur des Islams kam.

Die Wissenschaftler des Islams waren fähig dazu, deshalb erschienen der Frieden und die Kultur. Die Kultur war in der Periode der Dunkelheiten. Sie Kamen Zum leben, dann haben sie die Himmelsgesetze gelassen, Es gibt den pfad für die Ehre, wenn sie das islamische Recht durchsetzen und die Hoffnung ist groß mit der Erscheinung des neun Jahres für El Heggra.

Schriftleiter
Foad Heba

LE COIN DES ENFANTS

Jeune lecteur, jeune lectrice . . .

Nous avons parlé, la dernière fois, de la façon dont le Coran nous dicte notre conduite. Nous aimerions poursuivre ces propos . . . qu'en pensez-vous ?

Avez-vous jamais réfléchi aux trois dernières sourates du Coran, et que vous connaissez sûrement par cœur ? Ce sont, comme vous devez le savoir, sourate Al-Ikhlass, sourate Al-Falaq, et sourate Al-Nass. Notre prophète Mohammad (Salla Allahou allaïhi wa sallam) dit de la première qu'elle est équivalente au tiers du Coran, que la personne qui la lit trois fois est comme la personne qui lit tout le Corân . . . savez-vous pourquoi ? . . . parce que le tiers du Corân concerne l'unicité de Dieu, et invite les Musulmans à croire en un Dieu unique . . . c'est bien ce que sourate Al-Ikhlass comprend, n'est-ce pas ? Sourate Al-Falaq et sourate Al-Nass ont toutes deux un point commun : celui de se protéger contre le Mal en disant le nom de Dieu, c'est-à-dire par l'intermédiaire de Dieu, en l'évoquant comme protecteur. Il faut donc recourir à Dieu — Dieu de tous les gens — pour se protéger contre . . . quoi ? que nous disent les deux sourates ? La première des deux, sourate Al-Falaq, dit : contre tout ce qui est méchant parmi les créatures, et tout ce qui peut faire du mal contre l'obscurité de la nuit (ce n'est pas l'obscurité elle-même qui peut nous faire du mal, mais beaucoup de choses qui peuvent arriver lorsque les gens dorment et donc ne font pas attention, comme le vol par exemple, ou les bêtes féroces qui sortent de leurs cachettes pour chercher une proie), contre la magie (c'est-à-dire quand les êtres humains se servent d'êtres non humains, maléfiques, pour faire du mal à autrui), et contre l'envie, car il a été scientifiquement prouvé que chaque chose a des vibrations que nous ne voyons pas, mais qui se manifestent comme les ondes de la radio . . . quand une personne envie une autre, plus riche ou plus heureuse, ces vibrations, chargées de haine, peuvent atteindre la personne enviée, et lui faire du mal. Sourate Al-Nass nous indique un autre danger : le diable qui pousse les êtres humains à commettre de mauvaises actions. On ne le voit pas . . . raison de plus pour s'en méfier, d'ailleurs même en lisant le Coran il faut évoquer Dieu et recourir à lui pour éloigner le diable, comme nous l'apprend le Corân même (Sourate Al Nahl, verset, 98).

L'importance des trois dernières sourates du Corân, dans notre vie quotidienne est également prouvée par ce fait : notre prophète Mohammad (Salla Allahou allaïhi wa sallam) lisait les trois sourates dans les paumes de ses mains jointes, dans le creux des deux paumes, et avant de s'étendre sur sa couche, la nuit, il passait dessus ses paumes, pour en éloigner tout mauvais esprit et pour se protéger de tout genre de mal qui aurait pu l'y attendre.

Vous connaissez ces sourates . . . lisez les souvent . . . faites ce qu'elles nous enseignent, et comme le prophète, utilisez-les comme moyens de protection.

A la prochaine fois . . .

Aïda Hosni

LE MOUFTI

Question 1 :

Soucieux de donner satisfaction à quelques personnes de son entourage, un père de famille a juré sur le Coran tout en sachant au fond de lui-même qu'il mentait. Sa fille demande si son père décédé trois jours après ce faux serment a droit au repentir et quel est le châtiment de ce parjure. Elle demande également si elle peut obtenir — par ses prières le pardon de Dieu pour son père ?

Réponse 1 :

Ce serment mensonger est prémédité. Les jurisconsultes le qualifient de «serment d'immersion,» car celui qui le commet sera plongé dans l'enfer. Témoin ce Hadith du Prophète : «Il y a cinq péchés majeurs impardonables : l'idolâtrie, l'ingratitude envers les parents, l'accusation injuste d'un musulman, la désertion, et le serment de l'immersion. Il dit de même «le serment de l'immersion ruine les foyers».

Si ce père avait reconnu sa faute avant de mourir et avait demandé à Dieu de lui pardonner cette violation de serment, il y aurait espoir de la part de Dieu de lui accorder la rédemption de ce grave péché. Cependant, tout dépend de la volonté de Dieu Tout-Puissant. Les prières faites par sa fille seront exaucées en tant que signe de la reconnaissance de l'enfant à l'égard de son père mort. Notons que la prière du fils pour son père décédé ne sera efficace que grâce à la volonté de Dieu. Le Prophète a dit : «Quand le fils d'Adam meurt, son œuvre sur terre s'interrompt sauf de trois choses : une aumône courante, une science utile et un fils pieux qui prie pour lui».

Question 2 :

Un jeune homme contracte un mariage avec une jeune fille, lui remet la dotte, l'anneau d'alliance, quelques cadeaux et meurt avant de consommer le mariage. Quelle est l'attitude de la religion vis-à-vis de ce cas ?

Réponse 2 :

Alkama rapporte d'après Ebn Massoud, qu'on lui avait posé une question au sujet d'un homme ayant épousé une femme sans lui fixer la dotte puis mourut avant de consommer le mariage. Ebn Massoud répondit : «Elle a droit à une dotte semblable à celle remise à des femmes de sa famille sans réduction ni exagération ; de même qu'elle doit respecter la loi concernant le délai de l'abstention au mariage fixé par trois mois après le décès du mari, enfin elle a droit à l'héritage». Sur ce, Maekel Ebn Senan Al Achgai s'est levé en disant : «Le Prophète avait prononcé le même jugement que toi dans un cas pareil». Si bien qu'Ebn Massoud en fut satisfait. Ce récit a été rapporté par Ahmed et les quatre Imams et fut corrigé par Al Termesy et un groupe de savants.

A partir de là, les législateurs ont reconnu le droit de la femme — dont le mari meurt avant la consommation du mariage — à une dotte même si l'époux ne l'avait pas fixée.

Ils ont dit que la mort met fin au contrat de mariage et les décisions que son expiration stipule, doivent être respectées. C'est pour cette raison que même si la consommation du mariage n'a pas eu lieu, la veuve doit observer le délai prévu par la loi avant de contracter un nouveau mariage.

Elle a droit à une dotte complète de même qu'à l'héritage.

Toutefois l'héritage est dû dès la signature du contrat. D'autre part, l'anneau de mariage et les cadeaux doivent appartenir à la veuve sans contestation aucune.

Et, c'est à minuit, où quelques hommes drapés de blanc gravissent la pente «de la Qaaba», Mohammad et les musulmans de la Mècque, jurent de la défendre. Le prophète leur dit : «Votre sang, est mon sang, votre cause est ma cause». «Vous m'appartenez désormais et je vous appartiens». Mohammad fit partir par petits groupes tous ses fidèles. Le prophète restait encore avec Ali et Abou-Bakr. Il attendait l'ordre de Dieu. L'ordre vint — Une vie nouvelle commence, l'Islam doit vaincre ou mourir — Mohammad a tout essayé, tout supporté, rien ne lui a été épargné; il doit fuir, le dernier avec le fidèle Abou-Bakr, emportant cachée, sous son manteau la flamme vacillante de la foi nouvelle.

Les deux Grands hommes se réfugient dans une grotte — les Quoraichites battent le désert, de tous côtés — Mohammad prie son Seigneur; sa prière monte vers l'Etre Unique qui supporte tout être — Ils sont là — Abou Bakr touche Mohammad à l'épaule.

— «Ne crains, rien. Dieu est avec nous, répond-il seulement.»

C'est alors que se produit la merveille de l'accord de l'homme et du monde, créé. Un arbuste qui avait poussé dans la fente d'une roche raconte qu'il a vu une colombe se coucher à son ombre en roucoulant, et une araignée tisser entre la lumière extérieure et l'ombre fraîche de la caverne ses fils légers. Et, l'oiseau de l'amour la blanche colombe, pond-il ses oeufs dans le sable.

Quelle faveur sur la terre ! Que d'amour et de paix dans ce coin du monde !

Les poursuivants jettent un coup d'oeil et puis se décident à partir. Mohammad et Abou-Bakr partirent enfin, en suivant le littoral. Le guide chantait pour encourager le chameau. Et après, sept jours de voyage, ils arrivèrent à Yatreb qui plus tard, après leur entrée, fut nommé Médine, ou Madina El Nabi dont nous parlerons prochainement.

Quant à l'Année de deuil, on peut ajouter que pendant trois ans, à partir de 620, il perdit tout d'un seul coup :

Abou Taleb, son protecteur, et Khadija sa fidèle épouse, son amie et sa consolatrice : c'est pour cela qu'on l'a appelée l'année de deuil. Mohammad, cherchait un moyen de sortir de la situation. Il se plaignit à son Grand Dieu «Je me refugie en toi, mon Dieu contre ma faiblesse et mon impuissance. Tu es Le Dieu des faibles, Tu es Mon Seigneur et Mon Dieu. Il n'y a de force et de secours qu'en Toi»

«La sincérité en tout sens, me semble être le mérite du Coran. (Carlyle).

«Il est incontestable que Mohammad avait cette disposition particulière de l'esprit qui pousse certains hommes à réfléchir et à se tourmenter sur des questions réligieuses, jusqu'à ce qu'ils en aient trouvé leur solution. Mohammad considère son Coran comme une édition, à l'Usage des Arabes, de l'Evangile». (Snouck-Hurgonje)

Ces mots et ces idées ont été écrits après de longues études sur l'esprit formidable de ce grand génie.

Et c'est ainsi qu'on a bien vu et remarqué qu'avec chaque aube nouvelle, la lumière de l'Islam — qui irradie sa lumière sur le monde entier — pénètre dans les coeurs et les illumine par la grâce et la foi.

Malgré la mauvaise volonté des infidèles, Dieu veut que la vérité s'accomplisse.

Après avoir parlé, la dernière fois de la Mission du prophète, de ses persécutions, et de la résurrection. Cette fois-ci nous parlerons de l'année des deuils et de l'hégire.

Il est humain qu'une personne en possession d'une conviction religieuse profonde désire en faire profiter son entourage — Ce fut aussi le cas de Mohammad. A partir du moment où il eut pour disciples ses plus proches parents on doit considérer son rôle mondial comme commencé.

Les premières personnes convaincues de la mission du prophète furent sa femme Khadija, un parent de celle-ci, Waraqa, Zeid son esclave, son cousin Ali qui fut Calife par la suite et qui n'avait alors que dix ans.

Bientôt, il eut l'adhésion d'Abou Bakr, puis celle d'Omar qui furent, eux aussi, des Califes, mais plus tard; la conversion de ces deux hommes fut une grande victoire pour la doctrine nouvelle de l'Islam Abou-Bakr était un homme d'action réfléchi et perspicace, à qui sa fortune et son honnêteté incorruptible avaient valu un grand prestige à la Mecque.

Le second, Omar était aussi un homme d'action qui appliquait les projets que Mohammad avait élaborés et qu'Abou-Bakr, mit sous une forme réalisable. C'est pourquoi l'influence que ces deux hommes ont exercée sur la forme extérieure de l'Islam ne saurait être évaluée trop haut. Sa Conversion, d'Osman, calife lui aussi, n'était pas moins importante.

Par suite, quant Mohammad constata la grande résistance des Mécquois, il envoya une grande partie de ses partisans et de ses fidèles en Abyssinie sous la protection du roi chrétien, pour les mettre à l'abri des persécutions et des vexations de leurs compatriotes.

Cette décision de quitter la Mècque n'était pas sans intérêt au point de vue historique, bien, que, comme nous l'avons vu, Mohammad aît toujours conservé du point de vue religieux, des rapports tolérants avec les chrétiens.

Des Arabes de Yatreb, préparés au monothéisme par leurs alliés juifs, se demandaient si cet homme extraordinaire n'était pas le prophète de la fin des mondes. Dans ce cas, il était bon de se le concilier en se donnant à lui, avant tous les autres.

Et, puis, ce puissant prophète ramenèrait peut-être la concorde entre les Khazraj et les Aws. Ces circonstances orientèrent Mohammad, surtout après son refuge à El Taïf et son échec là-bas où les habitants demeuraient sourds à ses appels. Les gens de Yatreb lui fourniront l'appui qu'il ne trouva ni à Taïf ni, dans sa propre patrie.

MINBAR AL-ISLAM
Chef d'édition du Conseil :
Son Eminence le Cheikh Ibrahim Al-Dessouky.
Ministre des Waqfs et le Chef du Conseil
Supérieur des Affaires Islamiques.
Directeur en Chef :
Le Dr. Gamal El Dine Muhammad Mahmoud
Le Conseil d'édition :
Conseiller :
Abdel-Halim Al-Guindy.
Dr. Abou Al-Wafa Al-Taftazani.
Dr. Abd Allah Abdel-Chakour Kamel.
Editeur : **Mr. Fouad Haiba.**

Cher lecteur

Nous sommes au mois de Muharram. C'est le début de l'année lunaire ou de l'Hégire. Le Prophète a décidé de quitter La Mecque pour partir à Yathreb où il ramènerait la concorde entre les Aws et les Khazraj.

Cher lecteur bonne année.

L'Editeur.

MOHAMMAD, PROPHÈTE DE L'ISLAM

par

TAHA RIAD SEIF EL-NASR

«L'ANNEE DE DEUIL ET DE L'HEGIRE»

«L'Islam a cessé d'être aux yeux de l'Occident, un pur sujet d'érudition. Le voici, en effet, avec ses traditions et son histoire, ses siècles de splendeur, puis de déclin et d'engourdissement relatif, sa volonté actuelle de renouveau. Il a son mode de penser et de sentir, il a ses problèmes propres, mais transformés et adoptés des problèmes qui leur sont venus d'Occident — C'est tout un ensemble de valeurs humaines qui fermentent aujourd'hui, s'affrontent, meurent et naissent au sein de l'Islam». (Louis Gardet).

«Un homme faux fonder une religion ? Mais, un homme faux ne peut même construire une maison de brique. «La parole d'un tel homme est une voix sortie directement du propre coeur de la nature.

MAINTENANCE OF WEALTH

By
Prof. Dr. Ali Al-Ammary

Allah has endowed man's role with the instinct of owning. It is essential for his survival, since his life goes on as long as he has his sustenance.

The Qurân urged man to fetch wealth from the legal sources. It also urged him to maintain it, enjoy it and spend it in the way of good. But it prohibited extravagance at furnished legislations that aim at maintaining man's wealth. It prevented people from devouring up other people's wealth wrongly, and prevented usury that gravely affects the needy, when he borrows money, since a let of families and merchandise were ruined by it. The Qurân also prohibited gambling and cheating in trade as measures or weights in order to preserve the buyer's money. There are many verses that urge the fulfilment of measures and weights and warn against the evils of that. Allah the Almighty says :

« والسماء رفعها ووضع الميزان ، الا تطغوا فى الميزان ، واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان »

(الرحمن ٥٥ — ٧ — ٩)

Some interpreters said : Allah the Almighty mentioned the balance in three different meanings, by the first is meant the instrument itself, while the second means the act of balancing and the third indicates the weighed material. Allah the Almighty has prepared the severest punishment for the buyers who take more than they deserve, and the sellers who give people less than their due.

« ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ، واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون »
(المطففين ٨٣ — ١ — ٣)

It is said that some inhabitants of Al-Madina defrauded, so the verse was revealed.

The Qurân also prohibited robbery and dereed that the robber's hand be cut.

« والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم »
(المائدة ٥٥ — ٣٨)

Really this is a suitable penalty for such a shameful crime in peopl's properties that deprives of the fruits of their work.

It is the punishment of those who fight Allah and His Messenger and disperse in the earth with corruption, to be killed or crucified or that their hands and legs be cut from opposite directions. The corruption includes robbery.

strengthens steadfastness and creates the feeling of relief. Clinically ablution helps to alleviate depression hence the importance of the five daily washings. The group meetings in the Mosque and the mutual cooperation between Muslims help avoid any reactional depression.

« انما يوفى الصابرون أجرهم » .
(سورة الزمر ٣٩ — ١٠)

Suicide : This phenomenon is statistically almost nil in the Islamic community as the Muslim ideology is immune against suicide after the deep seated idea that those commit suicide are against the will of God and will be tormented in the there-after. This idea is deeply rooted after the Islamic Culture and of special concern to the role of the Mosque.

« ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما »
(سورة النساء ٤ — ٢٩)

Sexual Aberrations : These abrormalities are prohibited and warned against. Islam encourages early marriage and is strict regarding the normal sexual relationship between man and woman. Any illegal sexual relationship is a tabbo in Islam to the extent that people who commit adultry are punished in public. Statistically venereal diseases are very rare or even absent in true Muslim community.

« ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلا »
(سورة الاسراء ١٧ — ٣٢)

Illegetimacy : This sign which denotes free irresponsible sexual relationship is also considered one of the tabbos. Hence the rights of children and wives are well preserved, observed and protected by the community itself. Thus the family community enjoys mental health.

Substance abuse : This is totally prohibited in Islam. Alcohol was openly mentioned and the Islamic step by step prohibition, controled totally its abuse. All substances which curtail consciousness are also prohibited.

Alcoholism is rare in the Islamic countries, but drug addiction, though prohibited, is still rationalized by some people due to the fact that it was not openly mentioned, and hence the Mosque is trying to clarify that dilema.

« يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » .
(سورة المائدة ٥ — ٩٠)

Divorce : Although it is allowed restrictively in Islam yet statistically it is within the allowed limits. Free and irresponsible sexual life leads to increase divorce and separation. The community is usually the victim. The prophet says, «The most hateful licence to God is divorce».

Crime : The Mosque always calls for to lerance and forgiveness It also hails keeping friendly relationships even with the enemies.

High-way robbery and crime gangs are highly forbidden.

« أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا »
(سورة المائدة ٥ — ٣٢)

Breast Feeding : Is observed in the ideology of the Mosque. Children should be breast fed for a suitable period.

«والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين»
(سورة البقره ٢ — ٢٣٣)

Discrimination : There is no discrimination of any kind based on sex, colour, religion or relation and the Mosque overemphasizes that fact.

« ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم »
(سورة البقرة ٢ — ٢٢١)

MINBAR AL ISLAM

MINBAR AL-ISLAM

Edition's Council Chief :
His Eminence Sheikh Ibrahim Al-Dessouky, State Minister of Waqfs and President of The Supreme Council for Islamic Affairs.
Chief Editor :
Dr. Gamal El-Deen Muhammad Mahmoud.

The Edition's Council

Councellor : Abdel-Haleem Al-Guindy
Dr. Abul Wafa Al-Taftazany
Dr. Abd Allah Abd El-Shakour Kamel
Editor : Mr. Fouad Haiba.

Dear Reader,

This month is the month of Muharram which is the beginning of the Hejrite year. The Holy Prophet Muhammad emigrated from Mecca to Madina or Yathrib in that month to spread Islam. That event marked the increase of muslims and Islam gained more believers and followers. This is the beginning of the Hejrite years. We hope you dear reader many happy returns in steadfast belief and faith.

Editor

THE ROLE OF THE MOSQUE IN MENTAL HEALTH

By

Dr. Gamal Mady Abou El-Azayem

III

The combined phsychophysical elements given by the Mosque contributed to the formulation of the true Islamic ideology, which explains the quick, wide and wise spread of Islamic civilization all over the world though inciated by the very simple closed Arab community.

Such civilization gave enough care and attention to the observation of different sides of life combating the psychosocial aberrations which ruir and cause decay to civilization and is detrimental to mental health.

Loneliness : Such complaint cannot flourish in a community where the Mosque is respected and the five daily prayers are conducted. It will not even find the suitable circumstances to bud there is mutual responsibility among all the Muslim community. Besides, most of the daily religious activities are conducted in group.

Depression : This is one of the most wide spreal symptons in modern civilization. The core of depression stems from the inability of facing reality. The Mosque ideology coexists with reality and broadly declares that during the prayers. It stresses that waves of depression if they occur can be overcome with patience. This patience not only helps to relieve depression but also

MINBAR ALISLAM

with the six languages : Arabic, English, French, Germany, Spanish, Portuguese.

MINBAR ALISLAM

Third Number — Third Year
Muharram 1404 — October 1983
With this edition : Al-Ferdaous :
The Muslim Child Magazine.

Price : P.T. 25

MINBAR AL-ISLAM

TRIBUNE DE L'ISLAM

Volume No. 3 - 3ème Année
Avec le Volume
Al-Ferdaous : Revue de l'Enfant Musulman
Muharram 1404 - Octobre 1983
Prix : P.T. 25

MINBAR ALISLAM

Tribüne des Islam

2. Jahrgang — Heft Nr. 12
Muharram — 1404
Oktober — 1983
Price : P.T. 25

Minbar ALIsLam

TRIBUNA DEL ISLAM

Año II
Número 10
Muharram 1404 de la Héjira
Octubre 1983
precio 25 piastras

MINBAR ALISLAM

Tribuna Do Islão

12 Numero — Primeiro Ano
Muharram — 1404
Octubre — 1983
Preço : 25 Piastras

AL-AHRAM Press

إلى

جدة

٣٥

رحلة أسبوعيًا

بطائرات

مصر للطيران

الاتوبيس الجوى + بوينج ٧٠٧ + بوينج ٧٣٧

بالإضافة إلى رحلة يوميًا إلى الظهران

مع أطيب أمنيات

مصر للطيران

مطابع الأهرام التجارية